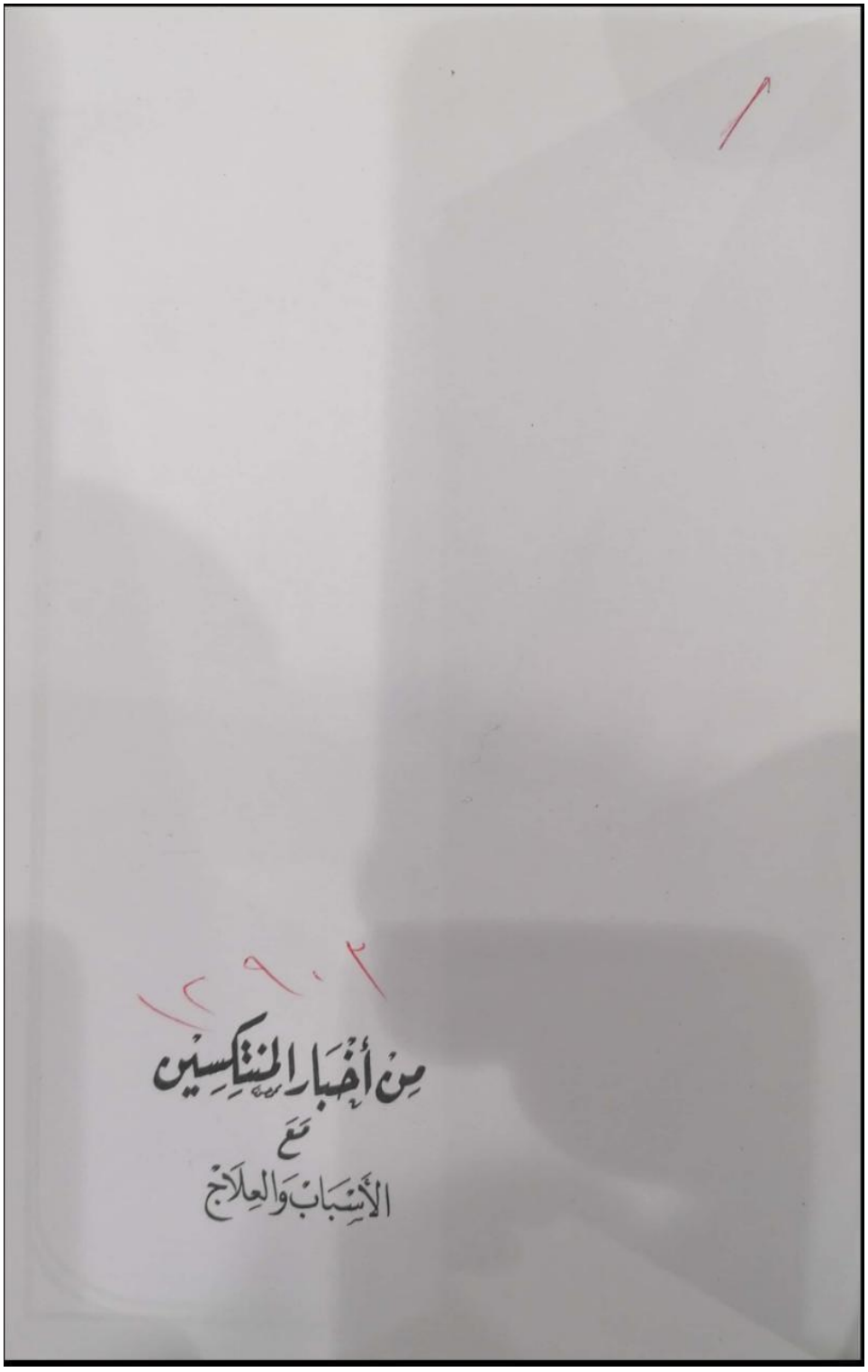
من أخبار المنتكسين
مع
الأسباب والعلاج

مقدمـــــــة الطبعة الرابعة لكتاب من أخبار المنتكسين

الحمد لله المستحق الحمد لآلائه، المتوحد بعزه وكبريائه، والقريب من خلقه في أعلى علوه، البعيد منهم في أدنى دنوه، العالم بكنين مكنون النجوى، والمطلع على أفكار السر وأخفى، وما استجن تحت عناصر الثرى، وما جال فيه خواطر الورى، الذي ابتدع الأشياء بقدرته، وذرأ الأنام بمشيئته، من غير أصل عليه افتعل، ولا رسم مرسوم امتثل، ثم جعل العقول مسلكًا لذوي الحجا، وملجأ في مسالك أولي النهى، وجعل أسباب الوصول إلى كيفية العقول ما شق لهم من الأسماع والأبصار والتكلف للبحث والاعتبار، فأحكم لطيف ما دبَّر، وأتقن جميع ما قدَّر.

ثم فضل بأنواع الخطاب أهل التمييز والألباب، ثم اختار طائفة لصفوته، وهداهم لزوم طاعته، من اتباع سبل الأبرار، في لزوم السنن والآثار، فزين قلوبهم بالإيمان، وأنطق ألسنتهم بالبيان، من كشف أعلام دينه، واتباع سنن نبيه، في جمع السنن ورفض الأهواء، والتفقه فيها بترك الآراء فتجرد القوم للحق وطلبوه، وذكَّروا به ونشروه، وتفقَّهوا فيه وأصَّلوه وفرَّعوا عليه وبذلوه، حتى حفظ الله بهم الدين على المسلمين، وصانه عن ثلب القادحين، وجعلهم عند التنازع أئمة الهدى، وفي النوازل مصابيح الدجى، فهم ورثة الأنبياء، ومأنس الأصفياء، وملجأ الأتقياء، ومركز الأولياء.

فله الحمد على قدره وقضائه، وتفضله بعطائه، وبره ونعمائه، ومنِّه بآلائه.

وأشهد أن لا إله إلا الذي بهدايته سعد من اهتدى، وبتأييده رشد من اتعظ وارعوى، وبخذلانه ضل من زلَّ وغوى، وحاد عن الطريقة المثلى.

وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بعثه إليه داعيًا، وإلى جنانه هاديًا، فصلى الله عليه وأزلفه في الحشر لديه، وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين.

أما بعد، فإن الله جل وعلا انتخب محمدًا × لنفسه وليًّا، وبعثه إلى خلقه نبيًّا، ليدعو الخلق من عبادة الأشياء إلى عبادته، ومن اتباع السبل إلى لزوم طاعته، حيث كان الخلق في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، يهيمون في الفتن حيارى، ويخوضون في الأهواء سكارى، يترددون في بحار الضلالة، ويجولون في أودية الجهالة، شريفهم مغرور، ووضيعهم مقهور.

فبعثه الله إلى خلقه رسولاً، وجعله إلى جنانه دليلاً، فبلغ × عنه رسالاته

وبين المراد عن آياته، وأمر بكسر الأصنام، ودحض الأزلام. حتى أسفر الحق عن محضه، وأبدى الليل عن صبحه، وانحط به أعلام الشقاق، وانهشم به بيضة النفاق.

وإن في لزوم سنته تمام السلامة، وجماع الكرامة، لا تطفأ سرجها، ولا تدحض حججها، من لزمها عصم، ومن خالفها ندم، إذ هي الحصن الحصين، والركن الركين، الذي بان فضله، ومتن حبله، من تمسك به ساد، ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل، والمغبوطون بين الأنام في العاجل[1].

قال القرطبي: قال العلماء: وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة، والاستقامة على مشيته موقوفة، والعاقبة مغيبة، و الإرادة غير مغالبة، فلا تعجب بإيمانك و عملك و صلاتك و صومك و جميع قربك، فإن ذلك و إن كان من كسبك فإنه من خلق ربك و فضله الدار عليك و خيره، فمهما افتخرت بذلك، كنت كالمفتخر بمتاع غيره، و ربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير، فكم من روضة أمست و زهرها يانع عميم. فأصبحت وزهرها يابس هشيم، إذ هبت عليها الريح العقيم. كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم، فيصبح وهو بمعصية مظلم سقيم. ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم.

قال علي بن الحسن: فقد الأحبة غربة، وكان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوائع العيون علانيتي، وتقبح في خفيات العيون سريرتي.

وإني لما رأيت الانتكاسات طرقها كثرت، ومعرفة الناس بأخطارها وأنواعها قلّت، أحببت أن أكتب في هذا الموضوع من أجل تجليته وإبرازه، وعندما قمت بكتابة البحث عام 1413هـ، ثم قمت بطرح هذا الكتاب لأول مرة في عام 1416هـ، وأنا أبرأ إلى الله من أي كلام أوردته في هذه الطبعة مخالفًا لمنهج السلف الصالح مع أنني ولله الحمد حرصتُ كل الحرص في أول طبعة أن لا أخالف المنهج السليم، ولكن صغر السن وحداثة العمر، وقلة المعرفة بالمناهج والأفراد، قد توقع الكاتب في مخالفات وأخطاء، خاصة عند كتابة الطبعة الأولى، والثانية، لأنها أتت بعد الأولى بفترة قصيرة، وتداركت بعدها في الطبعة الثالثة، والحمد لله أن الطبعة الثانية والثالثة نسخها

(1) هذه المقدمة كتبها الإمام ابن حبان في مقدمة صحيحه انظر ص100 في النسخة المحققة.

معدودة، عقدت العزم على ألا تخرج هذه الطبعة إلا بعد مراجعة شاملة وإضافات متعددة، وإليكم الطبعة الرابعة والتي تميزت بما يلي:

1. حذف ما رأيت أنه يستحق الحذف من نقولات عن أشخاص تبين لي أنهم على منهج المخالف للمنهج السلف، ومنهم (سيد قطب) حيث قمت بالنقل عنه في الطبعة الأولى، وتداركت بعد ذلك بحذفها، وقد تم هذا ولله الحمد والفضل ولا أستغني عن أي ملاحظة ترد حتى أقوم بالمراجعة والتمحيص، فالإنسان ضعيف بنفسه قويا بعد الله بإخوانه.

2. حذّرت في هذه النسخة معشر الشباب من سماع الملبين على حكامهم، وبيّنت أثره العظيم على الانتكاس.

3. نقلت كلامًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمنا الله وإياه وفيه التحذير من استخدام الوسائل البدعية للدعوة كالسماع.

كذلك قمت بما يلي ومنها:

1- إضافة أكثر من عشرة أسباب.

2- قمت بتخريج جميع الأحاديث وعزو الآثار.

3- قمت بإعادة تنظيم الكتاب بجعل الموضوعات المتقاربة في فصل واحد.

وهذا جهد قدمته في هذه الطبعة، وقبل أن أختم أحب أن أنبه بأنني لا أسخر ولا أشمت بمن انتكس -والعياذ بالله-، وإنما ذكر أخبارهم من باب أخذ العظة والعبرة كما قال -تعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] بل أنا وغيري لا نأمن على أنفسنا من الزلل، بل نسأل الله الثبات والعافية، ونردد الدعاء العظيم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[2]، وجميع ما في ثنايا هذه الرسالة اجتهادات بشرية كتبتها من خلال قناعات شخصية قد أوافق عليها أو أخالف، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي وقلة علمي، فلا تبخل على أخيك بما تلاحظه باتصال أو برسالة.

(1) سورة يوسف آية 111.
(2) سورة آل عمران آية 8.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يبارك في هذا الكتاب، وأن يجعله خالصًا لوجهه.

قاله وكتبه

أبوعبد الإله الدكتور/صَالِحُ بْنُ مُقبِلٍ العُصَيْمِيَّ التَّمِيمِيّ

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

والمشرف العام على موقع الإسلام نقي www alislamnaqi.com

تويتر ، وفيس بوك @DrsalehAlosaimi

البريد الإلكتروني: S55549291@gmail.com

رقم الجوال: 00966595670000

أسباب اختيار الموضوع

إن على الإنسان قبل أن يكتب في موضوع ما معرفة مدى الجدوى من كتابته، ومدى حاجة الأمة لما سطر قلمه.

إن لكتابة هذا الموضوع واختياره أسبابًا، من أبرزها:

1- أهمية الموضوع والحاجة الماسة إليه خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه البلايا والمحن.
2- حاجة الناس إلى معرفة طرق التعامل مع زملائهم المنتكسين دفعني إلى إضافة فصل في منهج التعامل مع المنتكسين.
3- كثرة من كتب عن التوبة وقصص التائبين، حتى كأن الانتكاس ليس له أثر، وأن الناس في منأى عنه.
4- عدم معرفة كثير من الناس الأسباب التي تؤدي بهم إلى الانتكاس.
5- حاجة المربين إلى معرفة أسباب الانتكاس حتى يحذروا طلابهم منها.
6- عدم وجود كتاب متخصص في هذا الفن.

الدراسات السابقة

وجدت ندرة ما كتب في هذا الموضوع وبعد الاستقراء وجدت ما يلي:

1- كتاب للشيخ عبد الله الجار الله -رحمه الله- بعنوان «الضلالة بعد الهدى» ويقوم الكتاب بمعالجة القضية من خلال الوعظ والإرشاد في الغالب كما أن من النادر أن يذكر الأسباب، وهو كتاب قيم نافع جدير بالاقتناء.
2- هناك من تعرض للأسباب في ثنايا كتبه بشكل مختصر كإيراد قصص كـ«الجواب الكافي» لابن القيم، و«التذكرة» للقرطبي أما ما عدا ذلك فلم أجد.

منهج البحث:

1- أطرح الأسباب، وغالبها من وجهة نظر شخصية، كما أنني أقوم بعلاجها من خلال تشخيصي للسبب في الغالب.
2- أقوم بعزو الآيات، كما أقوم بتخريج الأحاديث فإذا كان في الصحيحين اكتفيت بهما، وإن كان خارجهما حكمت عليه من خلال أقوال أهل الاختصاص.
3- إذا نقلت كلامًا لأحد أقوم بوضع علامة التنصيص مع العزو للجزء والصفحة إن وجد.
4- القصص أحاول صياغتها بأسلوبي الخاص ما أمكن، أو وضعها بنصها مع العزو إلى المصدر.
5- منهج ذكر الأشخاص وعدمه:

أ- إذا كانت انتكاستهم غير مخرجه من الملة يكون المنهج معهم ما بال أقوام.

ب- من كانت ردته حقيقية، وحكم أهل العلم الأثبات على ردته مع ذكر أدلتهم على ردته، وتأكد لدي موته على ذلك أذكره بالاسم، أما إذا ارتد وحكم أهل العلم عليه بذلك، ولا يزال على قيد الحياة فلا أتعرض لذكره؛ لأنه لا يعلم ماذا يختم له، خاصة وأن الكُتب تؤرخ الأحداث، وأخشى أن يكون هنالك تضارب في الحكم على شخصيته في المستقبل.

ت- لا يعد منتكسًا من ترك النوافل والتزم الواجبات، ولكن إذا ترك الواجبات أو تعاطى المحرمات باستمرار بعد ما كان من أهل الطاعة فيعد منتكسًا ولا يذكر باسمه ولا بوصف يدل عليه، حيث أحرص على الابتعاد كليًّا عما يفهم منه معرفة أشخاص بأسمائهم.

التمهيد وفيه مطالب

المطلب الأول: تعريف الانتكاس

يأتي الانتكاس في اللغة بمعنى الانقلاب، فيقال: فلان عاودته العلة، ويقال: انتكس على رأسه، أي: رجع عما عرفه.

ويقال: نكس الله فلانًا في العمر، أي: أطال الله في عمره حتى عاد إلى حال كحال الطفولة في الضعف والعجز[1].

قال ابن منظور معلقًا على حديث أبي هريرة: « تعس عبد الدينار وانتكس»[2]: (أي: انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة؛ لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر)[3].

المطلب الثاني: مفهوم الانتكاس

للانتكاس مفاهيم ثلاثة هي:

1- الارتداد عن دين الله.

2- ترك الاستقامة والتمسك بتعاليم الله.

3- ترك العمل في حقل الدعوة وهذا أخف حالات الانتكاس.

ثمة ظاهرة خطيرة، وجدت منذ بزوغ فجر الإسلام، ولكن اشتدادها في هذا الزمان أوضح وأظهر، ألا وهي ظاهرة الانتكاس.

والانتكاس ليس مرتبطًا بالإسلام، بل إن إبليس هو أول من انتكس في التاريخ، وكذلك فإن تاريخ بني إسرائيل مليء بمثل هذه الأخبار.

ولهذه الظاهرة أسباب عديدة، سأوردها في ثنايا هذه الرسالة إن شاء الله، ولذا فإن على المسلم أن يعلم أن القلب البشري ليس بيده، وإنما هو بيد خالقه سبحانه وتعالى.

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

وعليه أن يبذل جميع ما في وسعه وطاقته للتمسك بهذا الدين حتى يأتيه اليقين، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[4].

---

(1) المعجم الوسيط (نكس) 953/2.

(2) انظر أصل الحديث عند البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال رقم الحديث 6435.

(3) انظر لسان العرب 241/6 - 243 مادة نكس.

(4) سورة الحجر، آية: 99.

فلابد أن تعرف أن الهداية نعمة أنعم الله بها عليك يحسدك عليها أهل الكفر والفسوق والعصيان قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(2).

إن هداية من ضل بعد الإيمان من الأمور الصعبة: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(3) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾(4)، إن الحسرة تكون في موت الإنسان كافرًا أو ضالاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾(5).

وإن من أعظم أسباب الضلالة طاعة الكفرة والسير في مسلكهم واتباع منهجهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾(6)، لكن من يتدبر القرآن ويتعظ به ويجعله منهج حياة له يجد الله يحذر من موالاة الكافرين كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾(7)، فلتعلم أيها المسلم أن الردة من عمل الشيطان وتدبيره والله حذرك منه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا

(1) سورة البقرة، آية: 109.
(2) سورة آل عمران، آية: 69.
(3) سورة آل عمران، الآيات: 86-89.
(4) سورة آل عمران، آية: 90.
(5) سورة آل عمران، آية 91.
(6) سورة آل عمران، آية 100.
(7) سورة آل عمران، آية 149.

نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (1).

لتعلم أن الردة وبال على صاحبها ولن يضر الله شيئًا، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ (2)، ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(3).

فاحذر أن تكون ممن أصابه الحور بعد الكور، فقد ورد عند مسلم(4) وأحمد وغيرهما من حديث عبد الله بن سرجس قال: « كان رسول الله × يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور(5) بعد الكور».

إن الله لا يضل من اتعظ وخاف واعتبر ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾(6)، فلا يصرف الله آياته ولا يحرمها إلا عمن يستحقها ولا يتعظ بها ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ﴾(7).

ويقول الله مبينًا أن الإنسان هو الذي يقود نفسه للضلالة ويختار لنفسه طريق الغواية مع وضوح طريق الحق وظهوره: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(8).

وبعد سرد هذه النصوص من الكتاب والسنة والتي اكتفيت بها تمهيدًا لهذه الرسالة أسأل الله أن ينفع بها من كتبها ومن قرأها، إنه سميع مجيب.

* * *

(1) سورة محمد، الآيات: 25-28.
(2) سورة محمد، آية: 38.
(3) سورة البقرة، آية: 209.
(4) مسلم كتاب الحج باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره. حديث رقم (1342).
(5) الحور هو الرجوع عن الشيء. وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حار يحور حورًا والحور أيضًا: النقصان بعد الزيادة، أو فساد الأمور بعد صلاحها. ومن ذلك التحول من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية. وأصل ذلك من نقض العمامة بعد لفها. انظر لسان العرب مادة (حور).
(6) سورة النساء، الآيات: 66-68.
(7) سورة الأعراف، آية: 146.
(8) سورة الصف، آية: 5.

الفصل الأول

دور الشهوات في الانتكاس

وفيه مباحث:

المبحث الأول: دور الشهوة الجنسية.

المبحث الثاني: التعرض للشهوات.

المبحث الثالث: حب المال وخوف الفقر.

المبحث الرابع: حب الرياسة والصدارة.

المبحث الخامس: الترخص والتساهل.

المبحث السادس: إتيان محقرات الذنوب.

المبحث السابع: الحنين إلى الماضي.

المبحث الثامن: استقامة ناقصة خير من انتكاسة كاملة.

المبحث الأول

الشهـــوة الجنسيـــــة

يعتبر هذا المرض من أخطر ما يواجه الإنسان في حياته الدنيا، وهو من أكثر الأسباب التي تؤدي إلى النار، وقد ضمن رسول الله × الجنة لمن ضمن ما بين فكيه وفخذيه[1].

إن الشهوة خطر محدق بالإنسان، وغالبًا ما تحول بينه وبين ربه، والشهوة التي سوف تكون مدار حديثي هي شهوة الفرج والنظر، فكم من عابد لله حولته إلى فاسق، وكم من عالم حولته إلى جاهل، وكم أخرجت أناسًا من الدين كانوا عند من يعرفهم من أبعد الناس عن الانتكاس، وأورد هنا بعض الأخبار والقصص منها:

1- (إن رجلاً كان مؤذنًا بمصر في أحد المساجد سنين طويلة، وكان مثالاً لأهل الخير والصلاح، ترى على وجهه نور الطاعة والعبادة، وكان يرقى المنارة للأذان كل يوم، وفي أحد الأيام نظر إلى بيت نصراني ذمي تحت منارة المسجد، فرأى بنت صاحب الدار؛ فافتتن بها، وترك الأذان، ونزل إليها، ودخل الدار، فقالت له: ماذا تريد؟ قال: أريدك أنت، قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبتني لبي، وأخذت بمجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال: أتزوجك.

قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال لها: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل، فتنصر ليتزوجها، وأقام معها في الدار، وقبل الزواج رقى إلى سطح الدار فسقط منه فمات، فلا ظفر بها ولا ظفر بدينه، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة)[2].

انظر -رحمك الله- كيف باع دينه من أجل امرأة نصرانية! انظر إلى هذا المسكين كيف ظل محافظًا على دينه سنين طويلة، ولكن سقط في النهاية من أجل امرأة نصرانية تقول: (الله ثالث ثلاثة)!

إن الإنسان إذا ثارت شهوته ولم يمسكها بتعقل أوردته المهالك، وانظر - حماك الله - وقارن بين هذا الرجل وبين نبي الله يوسف عليه السلام، فإذا

---

(1) انظر أصل الحديث في صحيح البخاري (6109) في كتاب الرقاق باب حفظ اللسان حديث رقم (6474).

(2) انظر التذكرة ص 43، 44، والجواب الكافي ص 259.

نظرت وجدت العجب العجاب، إن هذا الرجل لم تبتله هذه المرأة بنفسها كما ابتلت امرأة العزيز يوسف، وهيأت له أجواء المومسات، ودعته إلى نفسها، لكنه من الرجال الذين يحملون شعارًا عظيمًا ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[1].

ولكي لا أُتهم بالمبالغة عندما أقارنه بالأنبياء والأصحاب أقارنه برجل ليس من أولئك، ومنهم:

خالد المسكي الذي تواتر خبره وانتشر أمره، وملخص خبره ما يأتي:

كان خالد المسكي شابًّا جميلاً لكنه تقي ورع، يكسب قوته بعمله وتعبه، يحمل بضاعته على رأسه كبائع متجول، فانبهرت بجماله إحدى النساء، ودعته لبيتها بحجة أنها تريد الشراء منه، غلقت الأبواب وقالت: إن لم تفعل بي فضحتك أمام الناس، واتهمتك أنك تريد أن تهتك عرضي، ولما لم يستطع الخلاص منها بشتى الطرق أظهر لها الموافقة، وطلب منها السماح له بدخول بيت الخلاء من أجل أن يزيل الأوساخ والأدران، فسعدت بذلك ووافقت، فدخل الحمام، وبحث عن مخرج من هذا الابتلاء، فوجد حيلة تدل على رجاحة عقله وقوة إيمانه، حيلة بها من القذارة الظاهرة الكثير، لكن لا ضير بها إذا كانت من أجل الفرار من معصية الله، فلطخ جسده بالغائط ولوث به وجهه، فأصبح يحمل رائحة كريهة ومنظرًا بشعًا ثم خرج إليها، فلما رأته على هذه الحالة استقذرته، وأمرته بالخروج من بيتها وطردته، وفر بنفسه وضحى بجمالها ومالها، بل ترك بضاعته عندها لينجو بدينه، فأنعم الله عليه بدلاً من هذه الرائحة الكريهة برائحة زكية كأنها المسك، حتى أصبح الناس يعرفون قدومه عند شم رائحته، وأصبح يسمى عند الناس (بخالد المسكي).

وجدير بالذكر والتنويه أن هذه الصورة ليست هي الصورة الوحيدة لشبابنا، بل هناك صور بيضاء وناصعة لشباب ما زالوا أحياء، منها:

النموذج الأول: لشاب أعرفه جيدًا مُلِئَ نقاءً وعفةً، واكتنز شهامة ومروءة، فحب الخير يسري في عروقه، ومساعدة المحتاجين جزءٌ يومي من حياته، كان يتنقل بين أحياء فقيرة يوزع الصدقات، ويُغيث الملهوفين ويساعد المحتاجين، يقول:

«وفي ذات يوم، وبعد ما صليت العشاء، ذهبت كعادتي إلى ذلك الحي

(1) سورة يونس، آية: 15.

الذي تعهدته منذ فترة، فطرقت باب بيت من أبواب الفقراء كعادتي، فقالت لي إحداهن على استحياء: «إننا نريدك في حاجة»، - يقول -: فقلت لها: دعيني أكمل مشواري ثم آتيك فأقضي حاجتك، يقول: فلما وزعت ما بيدي على المستحقين، عدتُ إلى ذلك البيت، فقلت لصاحبة البيت: أي شيء تريدون؟ فقالت: ادخل فإن الذي يحتاج إليك وإلى مساعدتك في جوف البيت، (يقول): فدخلت ففوجئت بأن التي تخاطبني قد بادَرتْ إلى إغلاق الباب، وقد لبست ثيابًا فاتنة، وكشفت عن وجهها، وأنا مذهول بين مصدق ومكذب، أبهذه البساطة وقعتُ في شباكها، وبهذه السهولة نجحتْ في استدراجي؛ فقلتُ لها مرة أخرى: ماذا تريدين؟ (يقول): فقالت لي: إني أريدك -قال-: فتأكد عندي الآن مرادها، وبان لي ما كانت تخبئه عني، فما كان مني بعد ما سمعت منها مقالها إلا أن أجهشتُ بالبكاء، وبدأتُ أبكي كبكاء الطفل، - يقول -: فصُدِمتْ، وفوجئتْ ببكائي فما كان هذا في حسابها، يقول: فقالت لي باستغراب وتعجب واستفهام، بل قل باستنكار: «أعرض عليك نفسي فتبكي »، يقول: فقلتُ لها -وأنا أبكي وأبكي-: إنك تعرضين عليّ النار؟، وتريدين أن تقدمي لي المتعة الحرام، وتريديني أن أعصي القوي الجبار، يقول: فقالت: أريد أن أشكرك! يقول: فقلت لها: أتشكريني بأن تجعليني أغضب ربي، أبمثل هذا يرد المعروف؟ أبمثل هذا يكافأ الإحسان ويُشكر من يُحسن؟ يقول: فلما رأت شدة نشيجي، ورفضي القاطع، أظهرتِ التحسر، وأعلنتِ التأسف، وفتحتْ لي الباب، يقول: فغادرته مسرعًا، وكأني ولدت من جديد، وقضيتُ عجبًا مما رأيت.

النموذج الثاني: ويتكرر هذا النموذج الطيب للشاب العفيف النفس المطيع لربه فإن من يتق الله يجعل له مخرجًا، فأي فرَجٍ أعظم من أن ينجو الإنسان من هذه الأوحال.

هذا شاب آخر أعرفه حق المعرفة ذكر لي قصته فقال: في يوم من الأيام، كنت في رحلة سياحية، وبعد صلاة العشاء، خرجت من غرفتي في الفندق، متوجهًا إلى سيارتي، وعندما هممت بركوبها، فإذا بامرأة معها طفل، وضعته على عربة، وقالت لي بكل هدوء: إنني امرأة فقيرة، وإن ابني مريض، ويحتاج إلى علاج، ولا أملك ثمنه، ثم أكدتْ لي صدقها بإخراج وصفة طبية، فقلتُ لها: كم ثمن العلاج؟ فقالت: لا أعلم، لكنه يزيد على خمسين، يقول: وكان من حسن حظي أن بجوار الفندق الذي أقطنه صيدلية،

يقول: فأخذتُ الوصفة وهي تتبعني، ثم ذهبتُ إلى الصيدلية، واشتريتُ لها العلاج، يقول: ثم خرجتُ وأعطيتها العلاج، يقول: فشكرتني، ثم تبعتني، وبعد ما مررت على منطقة مظلمة؛ أوقفتني وقالت: قف قليلاً؛ فإني أريدك، يقول: فالتفتُّ إليها، فكشفتْ عن ساعديها، وقالت: خذ، هذا رقم جوالي أريدك أن تزورني غدًا في بيتي؛ وسوف أمكنك من نفسي شكرًا لك على ما قدمتَ لي، يقول فصُدِمتُ من منطقها وصُعِقْتُ من وقاحتها، فقلتُ لها: أما تتقين الله؟ أصنع لكِ معروفًا، وتريدين أن تكافئيني بثمنه آثامًا؟ إن كنتِ لم تستح من ابنك الذي قد أرهقته الأمراض، أفلا استحييتِ مني؟ أو ما قدَّرتِ موقفي؟ أما رأيتِ لحيتي الكثة، وثوبي القصير؟! أما أخبراك بأني لستُ من ذاك الصنف؟! أو ما خفتِ من الله واستحييتِ من نظره وعقوبته؟! يقول: فوعظتها؛ فأظهرتِ الأسف، وقالتْ: كنتُ أظنك ستسعد. أليس في هذه عظة وعبرة ونماذج بها يحتذى لأناس أحياء؟ فكم هذا الدين عظيم؟!

نماذجه الرائعة لا تنقطع ولله الحمد.

إن الإنسان يحار عقله عندما يقابل هذه النماذج الطيبة بنماذج سيئة لبعض شباب الإسلام الذين يقطعون آلاف الأميال ويتحملون متاعب السفر، ويبذلون الكثير من الأموال ليمارسوا الرذيلة دون خوف من الله، دون خوف من نهاية مأساوية قد تحصل لأحدهم، بل حصلت لبعضهم، فهذا فتى سافر إلى (بانكوك) وتعرف على فتاة بغي هناك، يتلذذ بمنظرها، ويستأنس بحديثها، ولا يحتمل فراقها، ولا يستغني عنها، وفي أحد الأيام تأخرت عن القدوم إليه، فطار صوابه، وعاش ساعات حرجة وأوقاتًا صعبة، حتى قدمتْ إليه، فزال حزنه وانفرج همه، واستقبلها استقبالاً خطَّطتْ له الشياطين طويلاً، ونجحتْ في نهايته، لقد عبر لها عن مقدار فرحته بقدومها بأن جعلها إلهًا له، فخر لها ساجدًا، ولكن... كانت السجدة الأخيرة.

فشتان بين من يموت وهو ساجد لله، وبين هذا الذي مات وهو ساجد لداعرة، إن العقلاء تردعهم مثل هذه القصص وتخوفهم أمثال هذه النهايات ولكن!

لَقَدْ أَسْمَعتَ لَوْ ناديتَ حَيًّا وَلَكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

2- رجل آخر تعلق بشاب فأحبه، وأصبح جزءًا من حياته، يعدل رضاه عنده رضا أهل الأرض جميعًا، لقد شغفه هذا الفتى حبًّا، وأصبح عشقه له مضربًا للمثل، فتندر به الناس، فضاق ذلك الشاب ذرعًا بحب هذا الرجل

له، فقرر أن يختفي عنه صيانة لدينه وحفاظًا على سمعته؛ لأن شعاره ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[1] فأصبح الرجل في حيرة من اختفاء محبوبه، فمرض ونحل جسمه واشتد ذلك عليه حتى ألزمه الفراش، فعاده من رفاقه رجل يثق به، فشكا إليه حاله وأخبره بخبره، فتأثر من أجله وقال له: أنا كفيل بإحضاره لك، وذهب إليه وقال له: إن فلانًا قد أعياه التعب من أجلك، فلماذا لا تذهب إليه؟ فلعل الله يزيل عنه ما به إن هو رآك، فتأثر الغلام بالموقف ووعده بالزيارة، فانطلق الصديق إلى صديقه يبشره، فزال عنه سقمه، وعادت إليه قوته؛ لأنه سوف ينظر إلى معشوقه (أسلم)، فلما حان الوقت المعلوم والموعد المضروب تراجع الغلام عن الحضور في اللحظات الأخيرة عندما تذكر ربه وخاف على نفسه، وقال لها: والله لا أقودك إلى ريبة، فذهب الصاحب إلى صاحبه حزينًا، وقال له: إن (أسلم) قد انسحب في الطريق، ورفض مقابلتك فعاد إليه سقمه ومرضه أسوأ مما كان، بل بدت عليه علامات الموت وظهرت، ثم قال في سكرته الأخيرة:

يا سَلْمُ يَا رَاحة البَال العَليل ويَا شِفَـاء المُدْنف النَّحيل

رِضَـاك أشْهَى إلى فُـؤادي مِنْ رَحْمَـةِ الخَالقِ الجليل

فقال له صاحبه: يا فلان، اتق الله. قال: قد كان، فقام عنه فما جاوز باب داره حتى سمع صيحة الموت، وهذه نهاية من كان هذا مذهبه وذاك هدفه[2].

3- ومما يذكر في هذا الباب أن رجلاً كان واقفًا بإزاء داره، فمرت به جارية جميلة، فقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال: هذا حمام منجاب، وأشار إلى باب داره، وكان يشبه باب الحمام، فدخلت ودخل وراءها، فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه قد خدعها أظهرت له البشرى والفرح باجتماعها معه، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا.

فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين، فخرج وتركها في الدار ولم يغلق الباب، فأخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد هربت ولم تخنه في شيء، فهام الرجل بها وأكثر ذكرها، وجعل يمشي في الطريق والأزقة ويقول:

---

(1) سورة يونس، آية: 15.

(2) انظر أصل القصة عن القرطبي في التذكرة ص43 والجواب الكافي لابن القيم ص 259.

يا رُبَّ قائلةٍ يومًا وقَد تَعِبَتْ كيف الطّريق إلى حمام مِنْجَابِ

فبينما هو يومًا يقول ذلك سمع جارية تقول:

هَلا جَعَلْتَ سَرِيْعًا إِذْ ظَفَرْتَ بِهَا حِرْزًا على الدَّار أو قُفلاً على الباب

فازداد هيمانه بها واشتد، ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا[1].

فكيف يليق بالمسلم الذي يؤمِّل أن يكون آخر كلامه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله كيف يليق به أن يكون آخر كلامه من الدنيا المجون والغزل والشرك بالله!.

قال ×: « النظر سهم مسموم من سهام إبليس»[2]، فالنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان.

قال الإمام ابن القيم: «النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة فتولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة».

كُل الحوادثِ مَبْدَاها مِنَ النَّظر ومعظم النار مِن مُسْتصغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظرةٍ بَلَغت من قَلبِ صَاحبها كمبلغِ السَّهم بين القَوْسِ والوترِ

والعبد مَا دام ذا طَرْف يُقلِّبهُ في أعْيُن الغَيد موقوفٌ على الخطر

يسرُّ مُقلتَهُ ما ضَرَّ مُهْجَتَه لا مرحبًا بسرورٍ عَاد بالضَّررِ

وقال أيضاً:

مَا زلتَ تُتْبِعُ نظْرةً في نظرةٍ في إثْرِ كُلِّ مَليحَةٍ وَمَليحِ

وَتَظُنُّ ذاك دواء جُرْحِكَ وهْو في تَحقيق تجريحٌ عّلى تجريحِ

فَذَبحتَ طَرْفَكَ باللحاظِ وبالبُكا فالقلبُ مِنْك ذَبيحُ أي ذَبيحِ(3)

(1) الجواب الكافي ص 258.
(2) أخرجه الحاكم (313/4) وقال: صحيح الإسناد، وضعفه الذهبي في التلخيص، وقال عنه الألباني: ضعيف جدًّا. انظر (الضعيفة) حديث (1065).
(3) الجواب الكافي ص 234.

الشهوة تؤثر على قلب صاحبها وتجعله أسير الهوى شقيًّا بالمحبة.

وقال ابن القيم: «فإن من أحب شيئًا غير الله عذب به ولا بد، كما قيل:

فما في الأرض أشْقَى مِنْ محبٍّ ... وإن وجد الهوَى حُلْوَ المذَاقِ

تَراهُ باكيًا في كُلِّ حين ... مخافَةَ فُرْقَةٍ أوْ لاشْتِيَاقِ

فَيبكي إن نأَوْا شَوقًا إليهم ... ويبكي إنْ دَنَوْا حَذَرَ الفِرَاقِ

فتَسْخُنُ عَيْنُه عِنْدَ الفِراقِ ... وَتَسخن عينُه عند التَّلاقي[1]

هذه هي النهاية المتوقعة لأمثال هؤلاء البكاء والحسرة والندم، وكما قال شيخ الإسلام: «من أحب شيئًا غير الله عذب به»[2].

4- ومما يذكر في باب الشهوة أن رجلاً أحب فتاة نصرانية، وكان حافظًا للقرآن فتنصَّر من أجلها فتزوجها، وبعد مدة لقيه أصحابه القدامى فقالوا له: ماذا فعلت يا فلان؟ قال: تنصرت، قالوا: وكيف القرآن معك؟ قال: نسيتُه إلا آية واحدة: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾[3][4].

فانظروا إلى هذا الأثر الخطير للاستسلام للشهوة والهوى، وكيف أدى بأصحابه لمفارقة هذا الدين! بل انظر إلى حامل القرآن هذا الذي تنصر! كيف لم يردعه حفظه القرآن عن ذلك! فكفر بالله ونسي القرآن إلا آية تحمل شعوره وشعور الملايين من الكفار غيره ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾.

والنفسُ إنْ أَعْطَيتَها مُنَاهَا ... فَاغِرة نحو هَواهَا فاها[5]

5- وفي هذا المعنى يذكر ابن الجوزي في التبصرة بسنده عن أبي الأديان قال: كنت مع أستاذي أبي بكر الدّقَّاق فمر غلام فنظرت إليه، فرآني الأستاذ أنظر إليه فقال: يا بني لتجدن غبَّها ولو بعد حين؛ فبقيت عشرين سنة وأنا

(1) الجواب الكافي ص 325.
(2) انظر مجموع الفتاوى (24/1، 29) باختصار وتصرف يسير.
(3) سورة الحجر، آية: 2.
(4) البداية والنهاية (74/11).
(5) انظر الفاحشة عمل قوم لوط ص 110.

أراعي ذلك الغب، فنمت ليلة وأنا متفكِّرٌ فيه فأصبحت وقد أنسيتُ القرآن[1].

فيا لها من نهاية مأساوية لكل صاحب معصية. قال القحطاني -رحمه الله- في نونيته:

والدِّينُ رَأسُ المال فاستمْسِكْ بِهِ ... فضياعه مِنْ أَعْظَم الخسَرانِ

واغضضْ جُفونَك عَنْ مُلاحَظَةِ النساء ... ومحاسنِ الأحَدَاث والصبيانِ

إن الرِّجال النَّاظرين إلى النِّساء ... مثلُ الكِلابِ تطوفُ باللّحمانِ

إن لم تصنْ تِلْكَ اللحوم أسودُها ... أَكِلتْ بلا عِوَضٍ ولا أثْمَانِ

وقال آخر يبين خطر العشق:

قَالوا جُنِنْتَ بمن تَهْوَى فقُلْتُ لهم ... العِشْقُ أعظمُ مما بالمجانينِ

العِشْقُ لا يَسْتَفيقُ الدَّهرَ صَاحبُهُ ... وَإنما يُصْرَعُ المجنونُ في الحينِ[2]

6- وأيضًا مما يذكر في هذا الباب أن أديبًا أُولِع بحب غلام نصراني يقال له: عمرو بن حني من أحسن الناس صُورة وأجملهم خلقة، فبدأ مدرك بن علي الأديب ينشد به الشعر حتى أخرجه من الملة ومن هذا قوله:

إن كان ذَنْبي عِنْدَهُ الإسْلامُ ... فَقَدْ سَعَتْ في نَقْضِهِ الآثامُ

واختلافُ الصَّلاةِ والصيامِ ... وجازَ في الدينِ لهُ الحرامُ

ومنه:

يَا لَيْتَني كُنْتُ لَه وَصِيفًا ... وله أَكونُ مِنْهُ أَبَدًا قَرِيبًا

أبصرُ حُسْنًا وَأَشُمُّ طيبًا ... لا ماشيًا أَخْشَى وَلا رَقِيبًا

وله من هذا كثير، ثم إنه زاد به الشغف وصار إلى التلف ولزم الفراش وذهل لبه وطاش، فحضره بعض أصدقائه عائدًا، ولمودته رائدًا، فوجدوه في حالة شنيعة وهيئة فظيعة، فقال لهم: ألست صاحبكم القديم، وصديقكم النديم، أفلا أحد يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو فقد ضاع مني الأجل والعمر،

(1) انظر قرع السياط ص 71.
(2) انظر الجواب الكافي ص 276.

فمضوا إلى عمرو مسرعين وعلى الإجماع بينهما مجمعين فأخبروه بالحال وأعلموه بما إليه مدرك قد آل، فلبس ثيابه مبادرًا، ولجناب مدرك زائرًا، فدخل عليه وسلم، وأخذ بيده وتبسم وقال: كيف تجدك يا سيدي؟ فهذه يدك في يدي، فنظر إليه البائس ثم غاب من فرط وجده، وفرحه بعابد الصليب وعظم المودة، ثم أنشده شعرًا ثم شهق شهقة فارق الدنيا[1].

ولقد أحسن القائل:

جِسْمُكَ بالحمية حصنتَهُ مخافَةً مِنْ ألمٍ طاري
وَكَانَ أَوْلى بِكِ أن تَحْتَمي مِنَ المعَاصِي حَذَرَ النَّار [2]

وقال آخر:

أيضْمَنُ لِي فَتًى تَرْكَ المعَاصي وَأَرْهنَهُ الكَفَالةَ بالخلاصِ
أَطَاعَ الله قَوْمٌ فَاسْتَراحُوا وَلَم يَتَجَرَّعُوا غُصَصَ المعَاصي

وقال آخر:

العُمْرُ يَنْقُصُ والذنوبُ تَزِيدُ وَتُقَالُ عَثَراتُ الفَتَى فَيَعُودُ
هَلْ يَسْتَطيعُ جُحُودُ ذَنْبٍ وَاحِدٍ رَجُلٌ جَوَارِحُهُ عَليهِ شُهودُ
وَالمرءُ يُسْأَلُ عَنْ سِنيهِ فَيَشْتَهِي تَقْليلَها وَعَنِ الممَات يَحيدُ

وقال آخر:

خَلِّ الذّنوبَ صَغيرهَا وكبيرها فهو التُّقى
كُنْ مِثْلَ مَاشٍ فَوْقَ أَرْ ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لا تَحْقِرَنَّ صَغيرة إن الجبال مِنَ الحصَى

وقال ابن المبارك:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذلَّ إدمانُها

(1) انظر قرع السياط ص 84.
(2) انظر الجواب الكافي ص 170.

وترْكُ الذنوبِ حَيَاةُ القلوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُها(1)

وقال آخر:

وهي لِسانٌ ثُمَّ فَرْجٌ وَبَطنُ يَدٌ وَرِجْلٌ ثُمَّ عَينٌ أَذُنُ

ومَن عَصَى بِوَاحِدٍ مِنْهَا فَقَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ جَحِيمٍ قَدْ رَقَدْ

إنني عندما أتكلم في هذا الموضوع؛ فإنني أتكلم عنه من حيث خطره الظاهر، ومع ذلك فكثير من الناس غير عابئين به، وهذا يعود إلى استهانتهم في قضايا الشهوة والنظر، ولعل من أكثر الأسباب التي أدت إلى حدوث الانتكاس بالشهوة ما ابتلي به أهل هذا العصر من الأجهزة المحرمة، وما يبث فيها من مجون، وسأتكلم عن جهاز واحد منها وهو:

الدش «القنوات الفضائية»:

يعد هذا الجهاز من أكبر المصائب التي بليت بها الأمة الإسلامية؛ حيث ساهم هذا الجهاز في انتكاسات كثيرة عايشت بعضها.

إن للشيطان وسائل متعددة في إدخال هذا الدش للبيوت؛ حيث يبدأ بذريعة الاستفادة منه في الجانب الإخباري، والذي أجزم أن كثيرًا ممن أدخلوا هذا الجهاز لا يولون هذا الجانب أي اهتمام - أعني الجانب الإخباري -.

وخطورة هذا الجهاز تنبع من حرص بعض أصحاب القنوات الفضائية على تقديم البرامج التي تحمل في طياتها الإغراءات الجنسية والأفلام الهابطة التي تحرك مكامن الشهوة عند الإنسان، حتى أصبح مشاهدوه أسرى لهواهم، فلم يعودوا يراعون الأوامر الصريحة من الرب بغض البصر، وكأن الأمر لا يعنيهم والخطاب موجَّه لغيرهم، وكم من الشباب كان معتكفًا في المساجد أصبح معتكفًا عند هذه الأجهزة.

ولو تفكر هؤلاء بعواقب النظر ما فعلوه، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(2).

وقد ورد في الحديث: « لا تتبع النظرة بعد النظرة فإن لك الأولى وليست

(1) الجواب الكافي لابن القيم ص 95.
(2) سورة النور، آية: 30.

لك الثانية»[1].

وورد في صحيح مسلم عن جرير -رضي الله عنه- قال: « سألت رسول الله × عن نظرة الفجأة؛ فأمرني أن أصرف بصري»[2].

إنني أقول لإخواني: إن المؤمن الحقيقي إذا جاءه الدليل والنهي الصريح ارتدع.

لقد حول هذا الجهاز الكبار إلى مراهقين وبعض الملتزمين إلى منتكسين، أعرف شابًّا كان معنا وكان على بر وتقوى، داعية مصلحًا، كان منظمًا لوقته بذل كل الجهود لحفظ كتاب ربه، يقضي ليله قائمًا ونهاره صائمًا، وفجأة دخل هذا الجهاز الخبيث إلى بيته، وبذل كل الجهود لمنعه، ولكنه لم يستطع لقلة حيلته وضعفه وهوانه على أهله، ومع مرور الأيام قاده هذا الجهاز إلى التجربة، وقال له الشيطان: إن هذا الجهاز فيه خير وفائدة فخذ ما يفيدك، ودع ما لا يفيدك، وبعد تردد فتح الجهاز وأغراه منظر جعله يتسمر! ومن ذلك الحين لم يطق مفارقته، فقد سحره هذا الجهاز، وفرَّط في صلاة الجماعة، وأصبح يؤديها في البيت في الأوقات التي ليس فيها أفلام أو مباريات! ولا يزال على وضعه، نسأل الله لنا وله الهداية.

وآخر كان حافظًا للقرآن سقط كذلك أسيرًا لهذا الجهاز الخبيث ففارق الصالحين، والله المستعان.

وقبل طباعة هذا الكتاب هاتفني صديق لي وقال: إن الوضع الآن مُزرٍ، وأعداد المنتكسين بسبب هذا الجهاز تتزايد، ثم ذكر لي نماذج، فتذكرت قوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[3]، وقلت: إن هذا ابتلاء ولا شك، فعلينا النصح والتذكير، والله يفعل ما يشاء وما يريد.

إن الأمر خطير، جد خطير، يجب ألا نهونه في أعين الناس، ويجب أن نذكرهم دائمًا بما يحمله هذا الجهاز من ملذات وتحريك للشهوات وتضييع للأوقات ومفارقة للإخوان، ولكن النهاية ماذا ستكون؟

---

(1) رواه الترمذي في سننه كتاب الآداب، باب ما جاء في نظر الفجأة حديث رقم (2777)، وأبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في ما يؤمر به من غض البصر حديث رقم (2149)، والحاكم، وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي (194/2)، وأحمد في المسند حديث رقم1373 (353/5) وصححه الألباني في صحيح الجامع (1316/2).

(2) رواه مسلم، كتاب الأدب، باب نظر الفجأة حديث رقم (2159).

(3) سورة الأنبياء، آية: 35.

تفنى اللذاذةُ ممن نال صَفوتَها من الحرام ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ لا مردَّ لها لا خير في لَذّةٍ مِنْ بَعْدها النارُ

* * *

المبحث الثاني
التعـــرض للشهـــــــوات

لقد حذر النبي × أمته من التعرض للابتلاءات والمحن؛ حيث إن عاقبتها ذل وهوان، قال ×: « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: « يتعرض من البلاء، ما لا يطيقه»[1].

إن في هذا الحديث توجيهًا نبويًّا كريمًا بالبعد عن مواطن الفتن، والتي قد تؤثر على دين الإنسان وعقيدته واستقامته، فمن يرى في نفسه ضعفًا فعليه ألا يقترب من مواطن الشهوات، فكيف بمن يقع في بعض المحرمات وهو يظن أنه يحسن صنعًا؟!

وقد أرسل لي أحد الإخوة من مصر قصة شاب كله نشاط وذكاء، كان محبوبًا من جميع إخوانه، يقول: أتاني هذا الشاب في يوم من الأيام فقال لي: صديقي يدعوني لأحفظ أختيه القرآن، إحداهما في سن العشرين والأخرى في السابعة عشرة تقريبًا، فقلت له: لا تفعل لعلها باب فتنة، فأبى وأصر، فقلت له: أنت حر ولكن أخشى أن تندم.

فبدأ معهما التحفيظ، وفجأة اختفى من المسجد، ولم نعد نراه أو نسمع عنه شيئًا، وبعد سنة تقريبًا إذا بباب بيتي يطرق، ففتحت فإذا بصاحبي هو الطارق وفي يده سيجارة ثم ألقاها ودخل، فبادرني وقال: لا تتعجب أني أشرب الدخان؛ فأنا أفعل أكثر من ذلك، فقلت: ما هو؟ قال: أتذكر يوم أن حذرتني من تحفيظ أخوات صديقي القرآن؟ فقلت: نعم، فقال: لقد وقعت في فاحشة الزنا وحصل ما حذرتني منه.

فإن هذا الشاب الذي خلا بمحارم الله ولم يتنبه لتحذير النبي من فتنة النساء عندما قال: « فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[2].

فلو كان هذا الشاب عالمًا بالتحذير أو عاملاً به؛ لما وقع فيما وقع فيه،

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، وقال عنه أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، انظر سنن الترمذي حديث (2261) في كتاب الفتن (112/4)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم} حديث (4016)، قال عنه الألباني: حديث حسن، انظر السلسلة الصحيحة، حديث (613)، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (3259).

(2) أخرجه مسلم، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة في النساء حديث رقم (2742).

ولا شك بأن التعرض للفتن من أقوى مسببات الانتكاس، ومن صور ذلك الذهاب إلى الأسواق منفردًا والسفر إلى بلاد الكفر، والتجول في الأسواق التجارية بهدف التقاط رسائل عبر (البلوتوث) بحجة أنه يريد أن يعرف ما عند الناس، فيستقبل الرسائل التي يكون بعضها يحمل صورًا عارية ولقطات ماجنة، فيشاهد هذه الفتن والمغريات، ويشاهد أمورًا ما كان يعرفها من قبل، فتشتعل الغرائز في جسده وتغريه بالعودة إلى مثلها، وقد توقعه في الفاحشة، وهذا ما حدث للبعض، ومن صور ذلك أيضًا التساهل في إدخال القنوات الفضائية المحرمة بحجج واهية كالأخبار أو المباريات، أو متابعة أحوال المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فإن على المسلم الحق الفرار من مواطن الفتن.

المبحث الثالث

حب المال وخـــوف الفقـــــر

المال من أعظم الفتن التي تواجه الإنسان، فكم من رجل باع دينه بحفنة من المال؛ وكم من إنسان ضحى بدينه خوفًا على منصبه وخشية على رزقه!

1- «إن الذين يتساقطون على طريق الدعوة بهذا السبب كثيرون، ولكن القليل منهم الذين يعترفون بذلك ويشعرون به» لأن الدنيا ألهتهم، وما حسبوا أنفسهم قد لهوا وأذكر على ذلك موقفًا شهدته:

كان لي موعد بعد صلاة العشاء مع رجل أعمال ملتزم، ولما حضرت إليه أخبره مدير مكتبه، فخرج إليَّ وهو يبتسم -كأنه قد أمسك عليّ شيئًا- فقال لي: يظهر عليك أنك قد كبرت، وأن ذاكرتك قد امتلأت؛ فقلت: لم؟ قال: أليس موعدنا بعد صلاة العشاء؟ قلت: بلى؛ قال: فكيف تحضر الآن قبل صلاة المغرب؟!

قلت له: يظهر أن الدنيا قد فتنتك حتى صرت لا تشعر بمرور الوقت! انظر إلى ساعتك، وأعد النظر بوضعك ووضع مدير مكتبك الذي انشغل معك، وكيف فرَّطتما بفريضتين؟

لقد صليت في مسجد مجاور لبيتي، ثم جئت إليك بحسب الموعد يا صاحبي، إننا الآن بعد العشاء، ولسنا قبل المغرب، ألم تعلم ذلك؟

فنظر إلى ساعته، ثم أطرق رأسه، وبدأ يحوقل، وقال: لقد كنت في اجتماع وما شعرت بمرور الوقت بهذه السرعة؛ فذكّرته بربه ومضيت.

وبعد مدة زرته فوجدته قد حلق معظم لحيته، وبانت جلدة ذقنه، وظهر التغير عليه بسبب غرقه في دنياه، وانشغاله مع الصفقات والأسواق من دون اعتدال، فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير. أسأل الله لي وله ولجميع أهل الإسلام الهداية والثبات.

2- إن القرآن الكريم مليء بالكثير من الآيات التي تشير تلميحًا وتصريحًا إلى هذا الداء العضال الذي قد يجرد المؤمن من إيمانه ويلقي به في هاوية من الضياع ليس لها قاع، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُم نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[1].

(1) سورة الفتح، آية: 11.

وقال سبحانه: ﴿ ۞وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1].

قال ابن حزم: «هذه صفة أوردها الله، يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه، وليس فيها نص ولا دليل على أن صاحبها معروف بعينه»[2].

ومن المفيد أن أذكر هنا أنه قد اشتهر على الألسن أن هذه الآية نزلت في الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب وهذا غير صحيح، ولقد قام أهل العلم بتفنيد هذه القصة[3].

3- وأعود فأقول: إن المؤمن الحقيقي عليه أن يعرف أن أموال الدنيا لا تساوي شيئًا أمام المحافظة على الدين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾[5]، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[6].

إن على المؤمن أن يعلم أن الأموال والوظائف والمناصب فانية، وأن الآخرة باقية، وأن حبه للدنيا وإيثارها على الآخرة سيجعله يندم بلا شك + أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا"[7].

أصون ديني بمالي لا أدنّسه ... لا بارك الله بعد الدِّينِ في المَال

4- فالمال لا خير فيه إذا كان الثمن هو الدين، ولا عليك يا أخي فإن الرزق بيد الله +وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ

(1) سورة التوبة، الآيات: 75-77.
(2) انظر المحلى (207/11، 208).
(3) ومن ذلك ما كتبه الأستاذ عداب محمود الحمش بعنوان (ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه).
(4) سورة المائدة، آية: 36.
(5) سورة آل عمران، آية: 10.
(6) سورة الشعراء، الآيتان: 88-89.
(7) سورة الأحقاف، آية: 20.

"[1].

قد نجد صاحب محل يترك الصلاة خشية أن يفوته زبون، وكذلك نجد موظفًا يداهن في الدين خشية فصله، ورجلاً يعمل بالحرام ويرتكب الحرام طمعًا في الراتب، فكل من آثر الدنيا على الآخرة بأي شكل من الأشكال فهو خاسر، إن المنتكسين بسبب هذا كثيرون، ولكن يظل قارون أشهر من انتكس بسبب زخرف الأموال وبهرجها.

5- إن العاقل ليعجب ممن باع الدين واشترى الدنيا، والله يقول: +وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ "[2].

+إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[3].

+ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ"[4].

دنيا وأرخَصُوا مِنْ أَجْلِها العليا ... فيا بؤسًا لِبَيْعِ المشْتري والشَّاري

وقال ابن المبارك:

يَا جَاعِلَ العِلْمِ لَـهُ بَازيًا ... يَـصْطَادُ أَمْـوَالَ المسَاكـينِ

احْتَلْـتَ للدُّنيَـا وَلَـذّاتِهـا ... بِحِيلَـةٍ تُذْهِـبُ بـالدينِ

فَصِرْتَ مجنونًا بها بعد مَا ... كُنْـتَ دَوَاءً للمـجـانينِ

أَيْنَ رِوَاياتُك في سَرْدِهَا ... عَن ابن عَوْنٍ وابن سيرينِ

أين رواياتُك فيما مَضَى ... في تَرْكِ أَبوابِ السَّلاطينِ

إن قلتَ أَكْرِهْتُ فما هكذا ... زَلَّ حمارُ العِلْمِ في الطينِ[5]

6- لقد أثر حب المال على صنفين من الناس حتى جعل بينهم وبين

(1) سورة الذاريات، الآيتان: 22، 23.
(2) سورة البقرة، آية: 41.
(3) سورة آل عمران، آية: 77.
(4) سورة التوبة، آية: 9.
(5) سير أعلام النبلاء 412/8.

الاستقامة مسافة شاسعة:

أ- أناس ذات يدهم قليلة، فانشغلوا بالبحث عن لقمة العيش عما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

ب- صنف أغراهم حب المال والبحث عن زيادة الأرصدة مما أشغلهم عن ذكر الله والدار الآخرة، ولقد استعاذ النبي × من نفس لا تشبع[1].

فما أكثر تلك الأنفس التي لا تشبع، وليتهم اعتبروا بمن قص الله علينا أخبارهم، وكيف فُتِنُوا بالمال؛ كقارون وصاحب الجنة كما في سورة الكهف وأصحاب الجنة كما في سورة القلم، والله المستعان.

* * *

(1) انظر أصل الحديث كما عند أحمد رقم (6557)، وأبو داود رقم (1548) وأخرجه الحاكم في المستدرك (104/1)، (534) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر الموسوعة (117/11).

المبحث الرابع
حب الرئاسة والصدارة

من أعظم الأمراض التي يبتلى بها المرء حب الرئاسة والصدارة، فهو داء عضال ومن أخطر الأمراض التي يصاب بها الشباب خصوصًا، وهي مرحلة من مراحل إغواء الشيطان للبشر، فتؤدي به إلى نهاية خطيرة، وانظر إلى التاريخ كم سجل لنا أسماء رجال بذلوا المال والجاه ليصلوا إلى مناصب إلى عظمى، وسحلوا من جراء ذلك الرجال والنساء؛ فصعدوا القمم على الجماجم والجثث؛ لذلك بين رسول الله × خطورة الرئاسة وقال لأحد أصحابه: «إنها لأمانة، وإنها يوم القيامة لخزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[1] ولكن كثيرًا من المنتسبين للإسلام عزفوا عن هذه النصوص ولم يعباؤا بها لا لشيء إلا لأنها خالفت شهواتهم.

وقبل أن أدخل في صلب الموضوع أنبه إلى قضية هامة وهي أن حب الرئاسة يمنع صاحبه من الإيمان ابتداء ويخرجه منه انتهاء، فها هو عبد الله بن أُبيّ بن سلول، رجل مقدم في قومه زرع له مكانة وبرز بينهم بجاهه، ولم تجتمع الأوس والخزرج على تولية زعيم كاجتماعهم عليه فصنعوا له تاج الملك، وهيأوا له مكان العرش وقدموا له السمع والطاعة، ولما ازدانت المدينة بنور الإسلام وضياء القرآن ومقدم خير الأنام ×؛ التف الناس حوله × وآمنوا به، وكانت هذه كالصاعقة على عبد الله بن أُبَي فأبطن النفاق وأضمر العداء لأهل الإسلام، وأسس مذهبه الخبيث، وأثبت معدنه الخسيس، إنك عندما تتأمل في سيرته تعرف أن الذي حال بين هذا العاقل اللبيب وبين الإسلام هو حب الرئاسة والتصدر فجعلته من أكبر أعداء الإسلام[2]، وأنقلكم إلى صورة أخرى لا تقل عنها غرابة ووافقتها في النهاية، وهي قصة هرقل إمبراطور الروم وعظيمها، الذي عرف الإسلام وتبين له صدق الرسول × فكان من خبره أن جمع قومه وعرض عليهم الإسلام، ولكنه لما رأى إعراضهم وأن مخالفته إياهم ستبعده عن عرشه وملكه تراجع عن موقفه، واحتال حيلة لئلا يفتضح أمره لكي يحافظ على رئاسته وصدارته في

(1) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم (4696).
(2) انظر سيرة ابن هشام ص 494.

قومه[1]!!.

فانظر - يا رعاك الله- إلى هؤلاء البائسين كيف حُرموا من هذا الدين من أجل رئاسة فانية، مع ذلك كله فإننا لا نستغرب من هؤلاء هذا الإعراض؛ لأنهم وبكل بساطة لم يُشربوا الإيمان في قلوبهم، فلذا لا يتعجب من تصرفاتهم، ولكن العجب يكون عندما يظهر هذا التصرف من شباب الإسلام الذين تربوا عليه، وعلموا ثقل المسؤولية وخطورة الدعوة وحملوا همها، ومع ذلك اصطادهم الشيطان بحباله الشائكة، وأوقعهم في مزالقه الخطيرة، ووقعوا كما يقولون في المصيدة، وأشربوا في قلوبهم حب الرئاسة، حتى أصبحت مخالطة لدمائهم؛ لذا انحصرت دعوتهم في تحصيل هذه المحمدة التي لا يرجى نفعها.

إن على الشاب أن يحمل شعار +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ "[2] ويترك شعار أدعو إلى نفسي على بصيرة، بل على غير بصيرة.

وليقرأ في سير السلف الصالح كيف كانوا يفرون من الإمارة والولاية، بل إن من أسوأ الأخبار عندهم أن يخبر أحدهم بتوليته على أمر ما.

وقد يتساءل شاب: هل هذا الداء خاص بالشباب؟ فأقول له: إن هذا الداء يصيب الكبار أيضًا، وهو بهم أشد وأنكى وأمضى طعنًا. وما أحداث الأفغان ونزاع شيوخها عنا ببعيد.

وعندما ندقق في الأمر ونطرح سؤالاً نقول ما هو الدافع لهذا الحب؟ والجواب له دوافع عدة:

أولاً: حب الشهـــرة:

رحم الله عبد الله بن المبارك؛ فقد كان في يوم يستقي من الماء ومعه بعض علماء عصره، وكان الناس يتدافعون للوصول إلى الماء، ولم يفسحوا الطريق لعبد الله، وعاملوه كغيره من الناس فدخله السرور ثم التفت إلى أصحابه وقال: هكذا الحياة حيث لا نُعرَف[3].

إنني عندما أضع هذا الخبر في كفة وأضع رغبات الشباب في أخرى، وكيف يبذل بعضهم ما في طاقته ووسعه ليبرز نفسه وليصافح أذنَه لقبُ (يا

(1) انظر أصل الحديث عند البخاري عن ابن عباس، كتاب بدء الوحي، حديث رقم 7.
(2) سورة يوسف، آية: 108.
(3) انظر السير (378/8).

شيخ)!! ثم يحيط نفسه ببطانة لا يسير إلا وهم حوله ولا يجلس إلا وهم بين يديه، امتلأ قلبه بحب الرئاسة وتاقت نفسه للشهرة، إنك عندما تسأله: ما فائدة الشهرة بالنسبة لك؛ هل تريدها لوجه الله؟ أم تريدها لتكون مقدمًا في قومك وإن سرت عرفك الناس؟ أتريد أن يكون لك شفعاء في كل مكان؟ إن كان هذا هدفك؛ فلقد والله وقعت في المحظور، وأوقعت نفسك في بؤس يبور، ألم تسمع قول رسول الله ×: « إن الله حرم الجنة على من تعلم العلم ليصيب به عرضًا من الدنيا»[1]؟ أوَ ما سمعت الرسول × يقول لعدي بن حاتم عندما ذكر محامد والده ومفاخره: «إن أباك أراد شيئًا فأدركه»[2]؟ وهذا عبدالله بن جدعان الذي عُرفت مآثره في الجاهلية، فقد قالت عائشة - رضي الله عنها -: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذاك نافعه؟

قال: «لا، يا عائشة، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[3] فاحذر أن تكون هذه حالك يا عبد الله، واحذر أن تكون ممن يقال لهم يوم القيامة: +وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ"[4] وقد يطرح شاب سؤالاً آخر: وما علاقة هذا بالانتكاس؛ فلقد أغربت وأطنبت؟ فأقول له: بل أنت الذي شطحت وما فهمت ما قصدت! إن الشاب عندما يدخل في هذا المضمار، وقد جعل هذه الأهداف نصب عينيه، ولم يحصل عليها، فعندئذ سوف يبحث عن مكان آخر ليحقق مراده ويحظى بمطلبه ولو كان المجال مجال فسق وفجور، وأذكر بهذا الصدد قصة

(1) مسلم، باب الإمارة (16).
(2) رواه الإمام أحمد في المسند (258/4) وقال شعيب في المسند: حديث حسن (201/30)، والبيهقي في السنن (279/7)، وابن حبان (42/2)، وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات (119/1).
(3) أخرجه الإمام أحمد في المسند (201/30)، وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(4) سورة الأحقاف، آية: 26.

مأساوية لشاب كان يفني نفسه ويبذل جهده لخدمة دينه فما سمع عن خير في مكان إلا ذهب إليه حتى أصبح لا يأتي إلى بيته إلا نادرًا، ولكن المشكلة التي عانى منها أنه يعمل تحت رئاسة غيره، وكان كل إنجاز ينسب لرئيسه فضاق بهذا ذرعًا، وقال لي ذات يوم، وأُشهد الله على ما قاله: إننا نعمل وينسب الفضل إلى فلان، ثم مضت به الأيام فإذا به يترك عمله ويلتحق بآخر غيره، فابتعد عن الدعوة وأصبحت بالنسبة له ذكرى قد لا تكون جميلة.

يا سبحان الله! هل هذا الشاب كان يعمل لنفسه أم لله؟ إن كان يعمل لنفسه فلا أشك لحظة أن حرمانه من مراده عقوبة، وإن كان يعمل لله أفليس الله يعلم عمله ويرى فعله وصنيعه؟

أخي الشاب! إن حب الرئاسة داء عضال، ومن رغب في ثناء الناس وحمدهم فعليه أن يعلم أنهم لا يملكون من قطمير ولا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فأخلص لله واجتهد فيما يرضيه، ولا تفسد عملك، ولا تجعل حب الرئاسة والشهرة هدفك، فوالله إنها همّ وغم ونكد وكرب، سبحان الله!! أتظهر يا مسكين، يا بائس، يا ضعيف أنك تعمل لله وأنت في حقيقة أمرك وقرارة نفسك تعمل لتكون علمًا بارزًا يشار إليك بالبنان، أفتجعل الدعوة إلى الله هدفًا لنيل مآربك من الدنيا؟ إنني لا أشك أن من جعل هذا هدفه فإن مآله الفشل لا محالة إلا من رحم ربك.

وأختم بهذا الخبر عن رجل كان رمزًا للشباب، لا يرى إلا وهو مبتسم، عمل بحقل الدعوة سنين عدة، ولكن الشيطان أدركه فصاده فأصبحت الشهرة

والرئاسة مقصده ومطلبه، وبدأ يضعف في دعوته رويدًا رويدًا حتى ضاق ذرعًا بوضعه فترك الدعوة لينال هذه المنقبة التي وجدها في مكان آخر؟

ثانيًا: حب المال:

المال كما يقولون عصب الحياة، ونعم المال الصالح بيد الرجل الصالح، ولا يشك عاقل بأهميته، ولكن أن تكون الدعوة هي الضحية، وتطمع بالرئاسة لتنال المال على حساب آخرتك، فهذا والله ما لا يُقبل، إن هناك من هو على استعداد أن يضحي بالدين وأهله ليحقق من جراء ذلك مالاً، ولن ينسى الدعاة ما فعله بعض البائسين الهالكين عندما تقمصوا شخصيات الدعاة وانخرطوا معهم وحملوا فيما يظهر هَمّ الدعوة، وكانوا مبطنين حب المال والرئاسة؛ فلما ظفروا بالمراد انقلبوا على أعقابهم خاسرين، ومكروا بزملائهم المصلحين وأظهروا عداوتهم لهذا الدين ولكن: +وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ"[1].

سَتَعْلم حين ينكشفُ الغُبارُ أفرسٌ كان تحتك أم حِمارُ

* * *

(1) سورة الشعراء، آية: 227.

المبحث الخامس

الترخـــص والتساهـــل

إن احتقار الصغائر والانغماس في المكروهات والمباحات وتتبع الرخص والتهاون بمحقرات الذنوب بوابة تولج في الغالب صاحبها في مواطن الردى، فكم من صاحب عبادة تساهل وتساهل وقاده تساهله إلى أعظم الكبائر.

«أعرف رجلاً كان صاحب عبادة ظاهرة ودعوة عريضة، عرض له شيء من التساهل والترخص فأخذ به، واستمرأه وأكثر منه حتى رأيته بعد ذلك عبرة للمعتبر.

وأعرف آخر مثله كان يملأ الدنيا ضجيجًا، ويكثر من ادعاء العلم والعمل حتى أخذ بالرخص وترك العزائم بالكلية فصار في عداد العوام المقصرين».

إن هناك من يتساهل، ويشاهد الأفلام ويقول هذه صغيرة، ويدخل في مواطن الاختلاط ويقول هذه سياحة ورحلة ثم أعاود نشاطي، وهكذا يحقر الذنوب حتى يثقل قلبه بالمعاصي والعياذ بالله.

قال ابن مسعود - رضي الله عنه-: « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»[1].

وقال سليمان التيمي: «ولو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله»[2].

إن التساهل خطر مهلك كل من ولجه، وكلامي هذا لا يعني رفض الرخص الشرعية فإنها من الأمور المندوب الأخذ بها، ولكن حديثي عن ترخيص الإنسان لنفسه وحكمه على المعصية من خلال رغبته وهواه.

حمانا الله من شر الهوى، والله المستعان.

* * *

(1) أخرجه أحمد في المسند برقم (3818) وقال شعيب: حسن لغيره. انظر الموسوعة (376/6) وله شاهد من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه- بنحو هذا الحديث، قال عنه شعيب: صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين. الموسوعة (467/37).

(2) نزهة الفضلاء (529/1).

المبحث السادس

إتيان محقــرات الذنـــــوب

إن من أهم أسباب الانتكاس استهانة كثير من الناس بالذنوب والمعاصي، وبخاصة الصغائر، فيكثرون منها، ويحتجون بأنها من اللمم حتى تجتمع عليهم وتهلكهم.

ولو رأينا مذهب الصحابة في التعامل مع هذه الذنوب والنظر إليها، وقسناها بأحوالنا لبكينا على أنفسنا، ولحزنَّا من وضعنا. فهذا أنس يقول: «إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد النبي × من الموبقات»[1].

بل هذا النبي × ينصح زوجته ويقول لها: «يا عائشة، إياك ومحقرات الأعمال فإن لها من الله طالبًا»[2].

لقد كان منهج السلف الصالح التحذير من هذه الأمور. فعن الحسن قال: «أيسر الناس حسابًا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم في الدنيا، فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الذي هموا لهم مضوا، وإن كان عليهم أمسكوا. قال: وإنما يثقل الأمر يوم القيامة على الذين جازفوا الأمر في الدنيا، أخذوها عن غير محاسبة، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر وقرأ: +مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا "[3] »[4].

وهذا الربيع بن خثيم يقدم نصيحة عن ذنوب السر؛ فكان يقول: «السرائر السرائر اللاتي يخفين على الناس، وهن لله بوادٍ»[5].

ورحم الله الشافعي عندما قال:

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقائق، باب محقرات الذنوب رقم (6492).
(2) أخرجه أحمد في المسند برقم (24415) وابن ماجه، حديث رقم (4243) قال البوصيري: هذا إسناد رجاله ثقات (مصباح الزجاجة 307/3)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (424/3)، وقال شعيب: إسناده قوي. انظر الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد (478/4).
(3) سورة الكهف، آية: 49.
(4) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم 6896 وقال محققه: إسناده حسن انظر شعب الإيمان (540/12).
(5) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان رقم (6897) وقال محققه: رجل إسناده ثقات. انظر الجامع (540/12). وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (15/14) وأبو نعيم في الحلية (108/2).

إذا ما خلوتَ الدهر يومًا فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليّ رقيبُ
ولا تحسبنّ اللهَ يغفلُ ساعة ولا أن ما يخفَى عليه يغيبُ
غفلْنا لعمرُ الله حتى تداركتْ علينا ذنوبٌ بعدهن ذنوبُ
فيا ليتَ أن الله يغفرُ ما مضَى وبأذنُ في توباتِنَا فنتوبُ[1]

وقال حبيب الوراق:
ألا أيُّها المستطرفُ الذنبَ جاهلاً هو الله لا تخفى عليه السَّرائرُ
فإن كنتَ لم تعرفْه حين عصيتَه فإن الذي لا يعرفُ اللهَ كافرُ
وإن كنتَ عن علمٍ ومعرفةٍ بهِ عصيْتَ فأنت المستهين المجاهرُ
فأيَّة حالَيْك اعتقدتَّ فإنه عليمٌ بما تُطوَى عليه الضَّمائرُ[2]

قال عاصم الأحول: ما سمعت الحسن يتمثل ببيت شعر قط، غير أني سمعته يتمثل بهذا البيت:
ليس من مات فاسْتراح بميّت إنما الميْت ميّتُ الأحياءِ

ثم يقول: صدق والله إنه ليكون حي الجسد ميت القلب.
يسُرّ الفتى ما كان قدَّم من تُقَى إذا عَرفَ الداءَ الذي هو قاتِلُه[3]

وقال ابن المبارك:
رأيت الذنوب تميتُ القلوب ويُتبعها الذلَّ إدمانُها
وترك الذنوبِ حياة القلوبِ وخيرٌ لنفسك عصيانها
وهل بدَّل الدينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سوء ورهبانُها

(1) انظر الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (546/12).
(2) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (547/12) برقم (6910).
(3) الجامع لشعب الإيمان (552/12) الأرقام (6916، 6917).

وباعوا النفوسَ فلم يربحوا وفي البيْع لم تغلُ أثْمانُها
لقد وقع القومُ في جيفةٍ يبينُ لذي العقلِ إنتانُها[1]

وقال ابن المعتز:

خلِّ الذنـــوبَ حـقيرها وكبيرهـــا فهــو التَّقَى
كُنْ مثـلَ مَاشٍ فــوقَ أر ضِ الشَّوكِ يحذرُ ما يَرى
لا تـحـقِرنَّ صَغـيرة إنَّ الجِبَـــال مِنَ الحَصَى[2]

أخبرنا أبو عمر بن مطر قال: حضرت مجلس أبي عثمان الحيري الزاهد فخرج، وقعد على موضعه الذي كان يقعد للتذكير، فسكت حتى طال سكوته، فناداه رجل يعرف بأبي العباس: ترى أن تقول في سكوتك شيئًا، فأنشأ يقول:

وغيرُ تقيٍّ يّأمُرُ النَّاسَ بالتَّقى طبيبٌ يُداوي والطبيبُ مريضُ[3]

فعلى المسلم أن يعلم خطر محقرات الذنوب وأثرها على التدين، فكم ضل بسببها أناس، حتى أهلكتهم، وأدمنوها حتى أصبحت جزءًا من حياتهم، وإن التساهل بها عاقبته وخيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الإنسان قد يتساهل في المعاصي حتى تسقطه، وقد حكى معاذ -رضي الله عنه- حكاية لأحد بني إسرائيل حيث قال: « كان في بني إسرائيل رجل عقيم لا يولد له، فكان يخرج فإذا رأى غلامًا من غلمان بني إسرائيل عليه حلي يخدعه حتى يدخله فيقتله ويلقيه في مطمورة له، فبينما هو كذلك إذ لقي غلامين أخوين عليهما حلي لهما، فأدخلهما فقتلهما وطرحهما في مطمورة له، وكانت له امرأة مسلمة تنهاه عن ذلك، وتقول له: إني أحذرك النقمة من الله -عز وجل- وكان يقول: لو أن الله أخذني على شيء أخذني يوم فعلت كذا وكذا، فتقول: إن صاعك لم يمتلئ، ولو أن صاعك قد امتلأ لأُخِذن، فلما قتل الغلامين الأخوين خرج أبوهما يطلبهما؛ فلم يجد أحدًا يخبره عنهما، فأتى نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل، فذكر ذلك له؛ فقال النبي: هل كانت لهما لعبة يلعبان بها؟ قال: نعم، كان لهما جرو، فأتى بالجرو، فوضع النبي خاتمه

(1) الجامع لشعب الإيمان رقم (552/12، 553) برقم (6918).
(2) انظر الجامع لشعب الإيمان برقم (6919).
(3) الجامع لشعب الإيمان (554/12) برقم (6921).

بين عينيه، ثم خلى سبيله، فقال: أول دار يدخلها من دور بني إسرائيل فيها ميتان، فأقبل الجرو يتخلل الدور به حتى دخل دارًا، فدخلوا خلفه فوجدوا الغلامين مقتولين مع غلمان قد قتلهم وطرحهم في المطمورة، فانطلقوا به إلى النبي فأمر به أن يصلب، فلما رُفع على خشبة أتته امرأته فقالت: يا فلان، قد كنت أحذرك هذا اليوم وأخبرك أن الله غير تاركك، وأنت تقول: لو أن الله أخذني على شيء؛ أخذني يوم فعلت كذا وكذا؛ فأخبرك أن صاعك لم يمتلئ، ألا وإن هذا أوان امتلاء صاعك»[1].

فيا ترى هل نعود إلى ربنا وننيب ونستغفره قبل امتلاء الصاع؟!

* * *

(1) انظر في شعب الإيمان برقم (6911) وقال محقق الشعب: إسناده حسن (547/12).

المبحث السابع

الحنين إلى الماضي وعدم القضاء على آثاره

من شروط التوبة الندم على ما فات، والعزم على عدم العودة إليه، ولكن هناك من يعود إلى الله دون أن يقضي على آثار الماضي، بل هناك من يجعل ماضيه المليء بالمعاصي والذنوب والآثام ذكرى جميلة وشريط ذكريات لا يمل منه، بل بعضهم يتمنى عودة تلك الأيام الخوالي لا لكي يكررها، بل من أجل أن يزيد في فسقه وفجوره، فأصبح الماضي بالنسبة له لذيذًا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، ولكي أقرب المفهوم إلى الأذهان أذكر بعض الأخبار:

1- «فنانًا تاب، وإلى ربه عاد، جالس الصالحين، وعاش معهم فترة من الزمن، يقول الشيخ:

وكنا نأمره بالقضاء على آثار الماضي، ومن أهمها كسر العود، وكان يعدهم خيرًا بذلك، ولكنه كان يتحرج من هذا الفعل، وألح عليه أصحابه بكسر العود، ولكنه كان يسوِّف، واستمر على وضعه هذا فترة، ثم دخل يومًا من الأيام إلى غرفة نومه، فشده منظر العود وهو مهمل في إحدى الزوايا، قد أحاط به الغبار من كل جانب، ثم كرر النظر إليه فحرك عنده الماضي، ثم وجد نفسه بلا شعور منه يتجه نحو هذا العود، فاستلمه بيمينه، وأماط عنه الأذى، ثم بدأ بضرب موشحات دينية وكأنها حلال! وانساق وراء هذه الشهوة حتى وجد نفسه بعد فترة من الزمن خارجًا عن دائرة الالتزام داخلاً في دائرة أهل الفسق والضلال».

2- ومما يدخل في هذا الجانب الحنين إلى أصدقاء الماضي، وهذا هو أخطر ما يواجهه الشباب. ذكر أحد الفضلاء أن شابًّا كان مولعًا بالغناء، ثم عاد إلى الله وهجر أصدقاء الماضي، وفي ليلة من ليالي العشر الأخيرة من رمضان اتجه إلى أصدقائه القدامى في مخيمهم الذي يعرفه جيدًا من أجل أن يصحبهم معه إلى المسجد لكئ لا يخسروا فضل هذه الليلة، فوجدهم في غيّهم يعمهون، فذكرهم بالله وأمرهم بالصلاة، ولكنهم ذكروه بماضيه ومازحوه به، فحركوا أشجانه وأثاروا عواطفه حتى وجد نفسه منساقًا إليهم، ومدوا إليه العود ليعيد لهم ذكر الماضي الجميل!

فبدأ بالغناء ولم يستيقظ من سكرته إلا على حرارة الشمس.

انظر إلى هذا الماضي كيف جعله يضحي بهذه الليلة الفضيلة ويجالس الأشرار، إن هذه القصة وغيرها نذير خطر على من لم يتخلص من ماضيه، إن الحنين إلى أصدقاء الماضي السيئين من أخطر ما يهدد الالتزام، وللشيطان طرق منها: إيهامه بأن له قدرة على التأثير عليهم، فيذهب إليهم من أجل النصح، ولكن التجارب أثبتت أن من نصح أصدقاءه القدامى دون أن يتسلح بالعلم فإنه ساقط إلا أن يشاء الله، لأنهم لا يملكون استعدادًا للتقبل منه، وإذا كنت جادًّا في هذا فلا تذهب بمفردك، واجعلها على فترات متباعدة؛ لأن فيهم الخبثاء الذين إذا أكثرت من القدوم عليهم ذكروك بماضيك، وقد يجدون وسائل لإقناعك بالعودة إليهم، ومن وسائل التخلص من الماضي:

أ- تقوى الله.

ب- تذكر أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وهذا من مستلزمات الصبر.

ومن الآثار التي يجب على المسلم التخلص منها - على سبيل المثال لا الحصر-: الأشرطة بأنواعها سواءً فيديو أو غناء، وصور الرحلات سواءً كانت مباحة - كصور الجمادات والنباتات التي التقطت معهم في رحلات سابقة- أو محرمة كصور الذكرى أو النساء أو ما شابه ذلك، وعليه أن يتخلص من كل ما يمتّ للماضي بصلة، عليه أن يتخلص من أصدقاء الماضي ويضحي بجلساتهم ودورياتهم ولقاءاتهم.

3- وأذكر هنا قصة لأحد الشباب في المرحلة الثانوية وكان من طلابي، فقد رسب عدة مرات في الصف الأول الثانوي، ثم جاء إلى أحد الأساتذة واشتكى له من وضعه المأساوي من حيث إهماله للصلاة وعدم حرص والديه عليه، وقال: إنه ينام وقت خروجه من المدرسة إلى قرابة الساعة التاسعة ليلاً، ولا يصلي البتة، ثم يقضي ليله سهرًا مع الأفلام المحرمة وممارسة الفاحشة مع بعض النساء، وبأنه قد مل هذا الطريق ويرغب في الهداية، فقد انشرحت نفسه للعودة إلى ربه جل وعلا، فأثنى الأستاذ عليه وعلى عزمه على التوبة، فشد من أزره، وقال له: هل لديك الرغبة بالانضمام إلى رفقة صالحة؟ قال: نعم، وأتمنى ذلك اليوم قبل الغد، فلقد قررت -والله- طلاق المعاصي وأصدقاء السوء؛ فقال له الداعية: لا مانع عندي، ولكن أنصحك بالتخلص من آثار الماضي بأسرع وقت.

فقال الطالب: أنا مستعد، بل مستعد حتى حلق شعري بالموس؛ لأن توبتي صادقة -إن شاء الله- فقال له الداعية: أما حلق شعرك فلا داعي له، بل عليك أن تهذب شعرك وتتخلص من هذه القصة الغريبة، وأن تعدل ثوبك الذي برز الإسبال منه بطريقة مزرية. يقول الداعية: وفعلاً ذهب، وقصر ثيابه، وخفف شعر رأسه، ولما تأكدت من عزمه الأكيد طلبت منه أن يقضي على أهم آثار الماضي تلك الأشرطة الفاسدة، فقال: لا مانع عندي.

وفعلاً ذهبت معه إلى بيته وأحضر كرتونا كبيرًا من الأشرطة الخليعة، فتعجبتُ من كثرتها لأني لم أكن أتصور عُشرها، ثم سألت الطالب -وأنا متأكد من صدقه-: هل بقي عندك أشرطة غيرها؟ قال: نعم. شريط استعرته من صديق لي، وهو من أحب الأشرطة إلى قلبي. فقلت: هذا الشريط أهم

شريط أريده منك، فاعتذر، وقال: لا أستطيع التخلي عنه. يقول الداعية: حاولت إقناعه فأبى. فقلت له: أخشى عليك من شره.

ومضت أيام بعد انضمامه إلى المجموعة، وأنا أتحين الفرص لعله يعطيني الشريط، لكنه يرفض.

يقول الداعية: فقلت في نفسي: إن توبة هذا الفتى ناقصة، وأخشى عليه ألا يكمل، ولكن ما هي إلا أشهر إذا بالشاب يعود إلى أسوأ مما كان عليه، والسبب الأهم أنه لم يتخلص بشكل كامل من آثار الماضي. والله أعلم بالأسباب. وهذه قصة يُستأنس بها.

4- شابًا استأجر مع زملائه استراحة كانت وكرًا للفساد، يقضون أوقاتهم فيها بشرب الدخان ومشاهدة الأفلام والمباريات والغيبة والنميمة واللهو واللغو، وكان إذا أخبرهم بأنهم على المعصية غضبوا عليه وقالوا: لم يبق شيء إلا حرمتموه علينا!.

بل إنهم يتبجحون ويقولون بأنهم على خير، ويستشهدون بأنهم يصلون ويصومون، ولما ضاق بهم ذرعًا هجرهم وضحى بما دفعه من إيجار لهذه الاستراحة فارًّا بدينه ناجيًا بنفسه، وحاول بعضهم إقناعه بالعودة، ولو للقاءاتهم الأسبوعية ولكن أبى.

إن هذا النموذج وهذه الصورة مثال يحتذى به لمن أراد أن يضحي بالماضي ويقضي على آثاره.

جـ- الابتعاد عن كل ما يحرك مكامن الشهوة عندك فمثلاً.

إن كنت مولعًا بالرياضة وبلغت من التعصب درجة وأرت التخلص من هذا التعصب، فعليك بالآتي:

أ - ابتعد عن المجالس التي تُثار المناقشات الرياضية فيها.

ب- إن كنت في المدرسة فلا تناقش أصحاب التعصب فيها ولو كانوا مقربين إليك؛ لأن منهم من سيثيرك أو يجبرك للحديث عن الكرة، أو يستشهد بك، أو يطلب منك أن تذكره بالأحداث الرياضية، وهذه قد تثير حنينك إلى الكرة وتعيدك إليها.

جـ- أنصحك بعدم قراءة الصفحات الرياضية خصوصًا؛ لأنها ستستفزك بل قد تهوّل لك الأمور وتشدك إلى أخبارها، فتجد نفسك بلا شعور قد عدت إلى التعصب.

د- أعلن هجرانك للكرة بكل صراحة، ولا تتردد في إعلان ذلك في كل

مكان يعرف أهله أنك صاحب تعصب، كي لا يثيروا الحديث معك، فتعودوا للتعصب الذي أفقدك بعض أصحابك وأصدقائك.

*- إن كنت صاحب فن فقاطع الصفحات الفنية خصوصًا بلا تردد؛ لأنها قد تقدم تحليلاً لمسلسل أو فلمًا يشدك لمتابعته، أو قد يعرض نصًّا غنائيًّا يدعوك للاستماع إليه.

إن عدم التخلص من آثار الماضي سبّب شرخًا في التزام كثير من الشباب.

ولا أنس أن أقول إن هناك من يتذكر الماضي مستدلاً بحديث سمرة «إنا كنا نتذكر الجاهلية وكان رسول الله × يستمع إلينا، وربما يبتسم»[1].

فأقول: إن ذكر الصحابة لأمور الجاهلية كان من باب المقابلة بين ما كانوا عليه من ضلالة بما أصبحوا عليه من هداية، كانوا يتذكرونها على أنها فترة سوداء مظلمة يتمنى أحدهم أن يلقى في النار ولا يعود إلى ذلك الماضي.

إنهم إذا تذكروا الماضي زادهم إيمانًا، فإذا كنت مثلهم فافعل، وإلا فالنجاء النجاء.

* * *

(1) انظر صحيح مسلم حديث رقم (67).

المبحث الثامن

استقامة ناقصة خير من انتكاسة كاملة

هناك من يكون صيداً سهلاً للشيطان بسبب عدم معرفته بالأحكام الشرعية، ويترك طريق الاستقامة والهدى عند فعله لمعصية سواء كانت كبيرة أم صغيرة؛ بحجة أنه منافق ولا يستحق أن يكون مع أهل الهدية من وجهة نظره، فتقوده المعصية إلى ترك طريق الهدى والصلاح كما تقوده إلى عشرات المعاصي غيرها، وأضرب مثالاً على ذلك: إنسان زل فشاهد بعض الأفلام المحرمة فعاش ألم وحسرة وصراع وتساؤلات يطرحها على نفسه هل أنا مستقيم؟ وهل أستحق أن أكون مع الصالحين؟ ثم يجيب على هذه الأسئلة بقوله: لا. بل أنا منافق. ثم يتخذ قراراً بترك طريق الاستقامة ويتخلص من جميع مظاهر الصلاح الظاهرة بحلق اللحية وإطالة الثياب وشرب الدخان ثم يتطور الوضع بالنسبة لبعضهم إلى درجة ترك صلاة الجماعة؛ بل قد يصل الحال إلى ما هو أبعد، ولي مع هذا الشاب تساؤلات:

1- هل كان يعتقد بعد ممارسته لهذه المعصية أنه إنسان كامل معصوم من الخطأ بحيث لا يمكن أن تحصل منه معصية؟ والجواب بالطبع لا؛ لأن المعصوم هو الرسول × فقط.

2- لقد كان يؤمل منه أن تقوده هذه المعصية إلى الاستغفار والتوبة لا إلى معاص أخر، وكان يؤمل منه أن يأتي بالكثير من الحسنات لأن الحسنات يذهبن السيئات لا العكس، إن الرجل العاقل تقوده السيئة إلى حسنة لا السيئة إلى السيئة، لكن مثل هذا الشاب عالج الخطأ بخطأ أكبر، فالخطأ لا يعالج بالخطأ.

3- إن ممارسة بعض الذنوب ولو استمر عليها الإنسان يجب ألا تحول بين فاعلها وبين مجالسة الصالحين.

4- إن ممارسة بعض الذنوب مع مجالسة الصالحين لايعد نفاقاً مهما حاول الشيطان والهوى أن يقنعا به ذلك الفتى فلو كان كل فاعل منكر ومعصية سيترك أهل الخير والصلاح لَمَا بقي إلا من رحم ربك، قال الشاعر:

ولو لم يعض العاصين من هو مذنبٌ فمن يعض العاصين بعد محمد؟!

5- كان على ذلك الشاب أن يكون ذكياً ولبيباً ويصبر على ملازمة الصالحين والمصابرة معهم لا العكس، فالله أمر رسوله × أن يجالس الصالحين وألا يبحث عن غيرهم وألا ينخدع بأصحاب الغفلة، قال تعالى: +وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ".

6- لقد كان حري بهذا الشاب أن يطرح تساؤلات لقد كنت بالأمس على معصية واحدة أما الآن فأنا على العشرات من المعاصي لقد كنت بالأمس قريباً من ربي، أما الآن فقد أصبحت بعيداً عن ربك، فبالأمس كنت تتعاطى معصية وتمارس طاعة بل طاعات، وكنت على مقربة من التخلص من جميع الذنوب والمعاصي، أما الآن فوضعك يتردى من سيئ إلى أسوأ، بالأمس كانت معصية واحدة تثقل كاهلك وتقض مضعجك، أما اليوم فأنت أسير الشيطان رهين للعشرات من المعاصي والمنكرات.

7- أما كان حري بك أن تطرح على نفسك هذا السؤال أقابل ربي بمعصية واحدة أم بعشرات المعاصي؟.

8 - عندما كنت تمارس معصية أو معصيتين وكنت تتلوا القرآن وتجالس الصالحين فربما غفر الله لك في إحدى هذه الجلسات وربما دعا داعٍ دعوة واستجيبت وكنت أحد المؤمنين على دعوته.

9- على الشباب أيضاً إذا رأوا صاحباً من أصحابهم وقع في معصية ألا يتخلوا عنه أو يتهربوا منه أو يشنعوا عليه بل عليهم أن يصبروا عليه ويلطفوا به ويأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

10- عليك أيها الشاب أن توجه سؤال لنفسك أليست استقامة مع نقص وقصور خير من انتكاسة كاملة؟

* * *

الفصل الثاني
أثر ضعف الإيمان والبعد عن المحاسبة في الانتكاس

وفيه مباحث:
المبحث الأول: عدم العمل بالعلم.
المبحث الثاني: عدم بذل الجهد بالمحافظة بالالتزام.
المبحث الثالث: عدم ملاحظة التقصير.
المبحث الرابع: عدم المحاسبة.

المبحث الأول

عدم العمل بالعلم

بعض الناس تجد إيمانه ناقصًا لا يزيد بسبب ما عنده من شبه وشهوات تصرفه عن الطريق، لذا فرق أهل السنة والجماعة بين الإسلام والإيمان عند اجتماعهما ﴿ ۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾[1] لذلك لما فجع المسلمون بوفاة حبيبهم × نجد الذين ارتدوا هم من حديثي العهد بالإسلام الذين لم يخالط الإيمان شغاف قلوبهم[2].

لا تعجب أيها القارئ الكريم من هذا العنوان ولا تصبك الدهشة من هذا السبب، ولعلك تطرح سؤالاً: ما العلاقة بين هذا السبب وبين الانتكاس؟ فأقول لك: إن المطلع على بواطن الأمور والعالم بخفاياها يعلم علمًا جازمًا أن لهذا السبب دورًا أساسيًا في انتكاسات كثيرة، قال ×: «مثل العالم الذي يعلم الناس الخير، وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس، ويحرق نفسه»[3].

إن العلم إذا لم يتحول إلى واقع عملي، فإنه على صاحبه شر ووبال وحجة، سوف يحاسب عليها يوم يبعث الأنام، ولذا استعاذ الرسول × من هذا العلم وقال: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع»[4]، وهناك من يبذل الجهد في تعليم غيره، وينسى تعليم نفسه أو يهمل تطبيق ما تعلمه، ويلزم غيره بهذا التطبيق.

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

---

(1) سورة الحجرات، آية: 14.
(2) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 128/7.
(3) أخرجه الطبراني في الكبير برقم 1681، وصححه الألباني في صحيح الجامع 5831.
(4) أخرجه أحمد في المسند 117/11 حديث رقم (6557) وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم. وصححه الألباني في صحيح الجامع 8295.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

إن الإنسان إذا لم يعمل بما يقول، فإنه أدعى لرفض علمه وعدم القبول، وهناك فئة تظل طول عمرها تطلب العلم، ولا تفكر في تطبيقه أو أن تعلمه غيرها، والمصيبة العظمى أنهم أيضًا يقدحون في كل من تصدر لتعليم الناس، فلا هم علموهم ولا هم رضوا أن يعلم غيرهم العلم، ولهؤلاء نقول:

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

إن هذه الشرذمة سببت شرخًا في الصف الإسلامي، فملوا من الناس ومل الناس منهم، حتى أصابهم من جراء تلك الأفعال الانتكاس وهذه نتيجة طبيعية لمن هذا مسلكه.

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل

إن الأمة بحاجة إلى علماء عاملين لا مجعجعين مثبطين، إن الربط بين العلم والعمل تقوية للإيمان، وحرز بإذن الله من الشيطان.

إن طالب العلم إذا لم يستفد من علمه فسيصاب بالفتور غالبًا، ولا شك أن الفتور مرحلة خطيرة تؤدي إلى الانتكاس في النهاية.

ولا أريد الاسترسال في هذا الموضوع، ولكني أنصح بقراءة ما خطته يد الخطيب البغدادي بعنوان «اقتضاء العلم العمل» بتحقيق الإمام المحدث ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، وكذا «تذكرة السامع والمتكلم» للإمام ابن جماعة، والشيخ بكر أبو زيد في حليته النفيسة الرائعة البديعة

* * *

المبحث الثاني
عدم بذل الجهد بالمحافظة على الالتزام

إن كثيرًا من الشباب لهم القدرة على تقبل البرامج المعدة وخاصة الترفيهية، وتجدهم ملتزمين ما دامت البرامج على هذا النسق، وعندما تتطور البرامج مع ازدياد مدارك الشباب، وهذا شيء طبيعي وبديهي تجد أن المنسحبين كثر، لعدم قدرتهم على التكيف مع هذه الأوضاع؛ لأنهم لا يريدون إلا ما فيه مرح، فالذي ربطهم بالالتزام هو المؤانسة التي يجدونها من زملائهم أو كما يحلو لبعضهم تسميتها بالسحر الحلال، حيث تجد كثيرًا من الشباب مفتونين بجلسات الأنس ورحلات السمر التي يحرص عليها القائمون على تربية الشباب عند بداية الالتزام من باب تأليف القلوب، وعندما تتطور البرامج إلى الجدية بشكل أكبر تجد أعداءها هم أول المنسحبين ورأس المنتكسين، فلو حمل هؤلاء الجدية، وتكيفوا مع الأوضاع الجديدة، ورضوا بالمراحل الانتقالية؛ لما حصل لهم ما حصل، فعلى الشاب ألا يكون أسيرًا لهواه حتى لا يقع في مثل هذه المنزلقات الخطيرة.

* * *

المبحث الثالث

عدم ملاحظة التقصير

ملئت الدنيا بكافة أنواع الشهوات وجميع صور الفتن والضلالات والتي أضعفت ولا شك همم فئات عدة من المجتمع مما قادهم إلى الغفلة والإعراض عن دين الله - عز وجل - أو إلى ضعف الإيمان ونقصه، والذي هو يعتبر من مسلمات أهل السنة والجماعة، قال تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾ [1]وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ [2].

فكلما حسن العمل زاد الإيمان، وكلما قبح نقص الإيمان، وهذه أمور يجب أن لا تغيب عن الأذهان، ولكن هناك من غفل عن هذه النقطة وأهمل هذه القضية، وهناك من لاحظ النقص في نفسه وشعر به في داخله، ولكن أهمل علاجه واستهان بعواقبه وآثاره متيحًا الفرصة للشيطان ليعبث به أكثر وأكثر دون الانتباه إلى أن هذه من وسائل الشيطان في التدرج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [3].

إن استمراء المعاصي واقتراف المنكرات من أعظم العوامل المسببة للانتكاس - والعياذ بالله - لا فرق بين فعل محرم أو ترك واجب.

فهناك مثلاً من يلحظ أنه قد طرأ عليه كسل عند أداء صلاة الفجر، أو تأخر أو إهمال للسنن والمسنونات أو لاحظ تساهلاً عنده بالنظر إلى المحرمات أو مشاهدة القنوات، أو إجالة النظر في العورات فهذه مؤشرات ودلائل وعلامات على أن هذا الرجل يوشك أن يحدث عنده تغير، فإذا لم يبادر بالعلاج، ويقض على الآفات؛ فإن العاقبة وخيمة والنهاية أليمة.

إن الأمر الذي يجب أن يعقله الشباب أن الضعف لا يأتي جملة واحدة بين يوم وليلة، بل تسبقه إرهاصات، وأضرب مثالاً على ذلك:

رجل اعتاد الحضور مبكرًا للصلاة ثم البقاء بعد الصلاة للأذكار، فلا تجده بين يوم وليلة تاركًا للصلاة بالكلية، بل تجده في الخطوة الأولى يتأخر عن الحضور، ثم يعقبها التفريط في تكبيرة الإحرام، ثم إهمال الأدعية

(1) سورة الفتح، آية: 4.
(2) سورة الكهف، آية: 13.
(3) سورة البقرة، آية: 208.

والأذكار، ثم تفويت ركعة أو أكثر، ثم الحضور عند آخر الصلاة، ثم يؤدي فرضًا ويتأخر عن آخر، حتى يقوده الأمر إلى تركها بالكلية في المسجد وأدائها في البيت، أو تركها بالكلية.

إن هذا الشخص لو بادر إلى محاسبة نفسه عند أول تغير، لما وصلت به الحال إلى تلك النهاية المأساوية. إن كثيرًا من الناس يبدأ الضعف في قلبه؛ حتى إذا فسد قلبه وتغير فؤاده، ظهرت آثاره على أركانه.

ثم يبدأ التغيير واضحًا على ظاهره، ولا ينكشف وضعه للناس إلا إذا مس لحيته وأسبل إزاره. إنك تعجب ممن يلحظ التغير على نفسه واضحًا جليًّا، ويرفض الاعتراف بذلك، بل تأخذه العزة بالإثم حيث يضع المبررات والأسباب لفعله، ويتكلف الأعذار والمسوغات لنفسه. إن هناك من الناس من تعجبك أجسامهم وأشكالهم ومظاهرهم، ولكن قلوبهم ضعيفة واهية؛ أثقلتها ظلم المعاصي، ثم تصدم بعد مدة بتغير في شكله؛ فتصاب بصدمة، وتنزل بك نازلة تظنها مفاجأة وليدة في هذه اللحظة، ولكن من سبر أحوال الرجل علم أنها نتيجة ترسبات قديمة ومعاص كثيفة ظهر نتاجها وبانت آثارها في هذه اللحظة وظننتها مفاجأة، ولكنها بالنسبة لصاحبها غير مفاجئة؛ لأنه كان يتحين الفرصة المناسبة ليكشر عن أنيابه ويكشف عن حقيقته بتخلصه من صلاح ظاهره بعد ما وأد صلاح باطنه منذ أمد بعيد.

إن المؤمن الحقيقي المنشرح الصدر المعتز بإيمانه الفخور بإسلامه السعيد باستقامته؛ لابد أن يكون حازمًا وجادًّا وصارمًا مع نفسه حينما يلحظ عليها آثار التغيير وأوجه النقص فور إحساسه بها أو لفت نظره إليها من أصدقائه ومحبيه، إن الحزم مع النفس بنهيها عن الهوى قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[1]، وهذا لا يملكه إلا أصحاب الهمم العالية، وأصحاب العقول الراجحة الحريصون على دينهم القابلون النقد من إخوانهم فلا تأخذهم العزة بالإثم. إن اتساع الصدر، وقبول النقد عامل رئيس في الثبات وكلما اتسع الصدر للنقد نأى صاحبه عن الانتكاس، وكلما كان الإنسان ضيق الصدر غير قابل للنصح غير معترف بالخطأ كان أقرب للانتكاس إن لم يتداركه ربه برحمته.

إن محاسبة النفس منهج شرعي يقضي على عوامل التقصير، ويعالج

(1) سورة النازعات، آية: 40.

أوجه النقص، لذا نجد من سلكوا هذا المنهج حينما تظهر عليهم علامات النقص، فإنها لا تدوم إلا قليلاً، فسرعان ما ينفضون عن أجسادهم غبار الكسل، ثم يعودون إلى أوضاعهم أو أفضل، لذا أنصح نفسي وإخواني بأن نجعل لمحاسبة النفس جزءًا لا يستهان به من أوقاتنا، والله المستعان.

* * *

المبحث الرابع

عـــــدم المحاسبـــــــــة

من الأسباب التي تؤدي إلى الانتكاس: عدم المحاسبة، وعدم الحزم في معالجة التقصير فورًا، حيث إن الانتكاس يكون في الغالب تدريجيًّا، حيث تبدأ هذه المرحلة بالتأخر عن الحضور للمسجد ثم تنتقل إلى مرحلة الحضور مع الإقامة، ثم التخلف عن تكبيرة الإحرام حتى تصل إلى مرحلة التخلف عن صلاة الجماعة، وذلك مصداقًا لقوله × فيما رواه عنه أبو سعيد رضي الله عنه حيث قال: أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ رَأَى في أَصْحابِهِ تَأَخُّرًا فقالَ لهمْ: تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بي، ولْيَأْتَمَّ بكُمْ مَن بَعْدَكُمْ، لا يَزالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ. وفي رواية: رَأَى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قَوْمًا في مُؤَخَّرِ المَسْجِدِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ[1].

وفي رواية: دخل رسول الله × فرأى ناسًا في مؤخرة المسجد فقال: **«ما يؤخركم؟ لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله عز وجل، تقدموا فأتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم»**[2].

فلو أن هذا الأخ بدأ بمحاسبة نفسه عند أول تراجع لما حصل له هذا الانتكاس، وبعض الإخوة يبدأ بالاستئناس بمجالس غير الصالحين، ويجد مع مرور الوقت قسوة في قلبه حتى يترك طريق الالتزام كليًّا بسبب إهماله لمحاسبة نفسه عند أول ظهور لهذه القسوة وعدم مبادرته باستئصالها.

ومن صور عدم المحاسبة التي تؤدي إلى الانتكاس: التراجع المفاجئ عند بعض الشباب في قضية حفظ القرآن وطلب العلم؛ حيث يبدأ الخمول

---

(1) رواه مسلم في صحيحه برقم: (438).
(2) رواه النسائي برقم (749)، أخرجه ابن خزيمة 27/3 برقم (1560)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (794).

والكسل يدب إلى الشباب بالتدرج فتبدأ من تخفيف كمية الحفظ المطلوب يوميًّا إلى مرحلة ترك العلم، وحفظ القرآن بالكلية تمهيدًا لإعلان انتكاس هذا الشباب، فلو بادر هذا الشباب بمحاسبة نفسه عند بداية حصول الخلل لما حصلت له هذه النهاية المأساوية، ولو استرسلت في سرد صور عدم المحاسبة لخرجت عن الموضوع، ولكنني أؤكد هنا أن المحاسبة أمر ضروري وهام لتثبيت الإيمان، وأن ترك المحاسبة مؤذن بنهاية مأساوية لالتزام سعد به صاحبه فترات من الزمن، ثم غادره وشعاره «بيدي لا بيد عمرو» والله المستعان.

* * *

الفصل الثالث
دور البعد عن وسائل زيادة الإيمان في الانتكاس

وفيه مباحث:
المبحث الأول: عدم الحرص على وسائل زيادة الإيمان.
المبحث الثاني: إهمال المواعظ.
المبحث الثالث: عدم القدرة على تحمل العبادة عند انفراده

المبحث الأول

عدم الحرص على وسائل زيادة الإيمان

إن الإنسان مكون من روح وجسد، وللجسد حقوق وللروح حقوق ولابد من إعطاء كل ذي حق حقه.

إن حاجة الإنسان للتغذية الروحية أشد من حاجته للتغذية الجسدية؛ لأن الغذاء الروحي نفعه في الدنيا والآخرة بينما يقتصر نفع الغذاء الجسدي على الدنيا فقط.

ومن سمات أهل السنة والجماعة ومعتقداتهم أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ (1)، وقال سبحانه: ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (2)، وقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾(3)، وروى الطبراني والحاكم عن رسول الله × أنه قال: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم»(4).

إن زيادة الإيمان من أهم مقوماتها التربية الروحية والذاتية التي يعتقد كثير من الناس أنه قد تعدى هذه المرحلة أعني مرحلة التربية الروحية والذاتية.

وهذا مما يهمله بعض المربين بحجة أنه تعدى هذه المرحلة، وأنه لا خوف عليه من السقوط، ومن هنا يجد الشيطان مدخلاً كبيرًا على الصالحين ربما أدى إلى انحرافهم.

إن على الفرد أن يعلم أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما يشاء، وقبل أن أستطرد لذكر وسائل التربية الروحية أحب أن أبين أن الناس خمسة أصناف وهي:

1- صالح في نفسه مصلح لغيره، وهذه أعلى الدرجات، وهي درجة الأنبياء والصحابة والعلماء المصلحين.

---

(1) سورة الفتح، آية: 4.
(2) سورة الكهف، آية: 13.
(3) سورة محمد، آية: 17.
(4) الحاكم (4/1) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (330/1) رقم (1590). يخلق: يبلى.

2- صالح في نفسه غير مصلح لغيره، وهذه من صفات العباد والزهاد المنعزلين عن جانب الدعوة إلى الله، وهي صفة ربما توجد كثيرًا عند العوام.

3- مصلح لغيره غير صالح في نفسه.

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وهؤلاء ربما كانوا من المنافقين، وقد يكونون دعاة وطلبة علم استدرجهم الشيطان وخدعهم، فتجد الواحد منهم على استعداد ليدفع ما يملك لهداية الناس وإصلاح حالهم، بينما يرى أن إصلاح نفسه أمر مقدور عليه بترك المعاصي والذنوب، فتجد عنده من المعاصي ما لا يعلمه إلا الله، وربما كان هؤلاء ممن بين رسول الله × حالهم حيث قال: «يأتي أقوام يوم القيامة بحسنات مثل جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثورًا»، قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا جلِّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوه»[1].

4- فاسد في نفسه غير مفسد لغيره كحال من يميلون للعزلة لمشاهدة الأفلام وغيرها من الأمور المحرمة.

5- فاسد في نفسه مفسد لغيره مثل أصدقاء السوء.

وهنا أذكر بعض وسائل التربية الروحية:

أولاً - قيام الليل:

كان السلف الصالح يحرصون على قيام الليل حرصًا شديدًا، حتى قال

(1) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب حديث رقم (4245)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (5028).

ابن سيرين: لابد من قيام الليل ولو على قدر حلب الشاة[1]، والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[2]، ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴾[3]، ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾[4]، ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [5]، ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾[6]، ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [7]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴾ [8]، ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [9].

قال عبد الله بن قيس: سمعت عائشة وقد ذكر عندها قوم يزعمون أنهم إذا أدوا الفرائض لا يبالون أن يزيدوا، فقالت: لعمري لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم، ولكنهم قوم يخطئون بالنهار، وأين أنتم من نبيكم ونبيكم منكم؟ فما رأيت النبي × ترك قيام الليل إلا أن يمرض فيصلي وهو جالس، ثم نزعت[10] في كل آية في القرآن يذكر فيها قيام الليل»[11].

الترغيب في قيام الليل

عن عبد الله بن سلام قال: لما دخل النبي × المدينة انجفل الناس قبله. وقيل: قدم النبي ×، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء سمعته تكلم به: « أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة

(1) انظر كتاب الزهد ص 306.
(2) سورة الإسراء، آية: 79.
(3) سورة الإنسان، آية: 26.
(4) سورة الطور، الآيتان: 48، 49.
(5) سورة السجدة، الآيتان: 15، 16.
(6) سورة المزمل، آية: 6.
(7) سورة الذاريات، الآيتان: 17، 18.
(8) سورة الفرقان، آية: 64.
(9) سورة الزمر، آية: 9.
(10) نزعت: جاءت واستدلت.
(11) أخرجه أبو داود رقم الحديث 1307، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 358/1.

بسلام »[1].

وقال ×: « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه»[2].

وقال ×: « يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[3].

وقال ×: « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»، قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً[4].

قال سعيد بن جبير: قال ابن عمر حين حضرته الوفاة: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ظمأ الهواجر ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا، يعني الحجاج[5].

السلف وقيام الليل

كان شداد بن أوس إذا دخل فراشه بمنزله كالقمحة[6] في المقلاة على النار وكان يقول: اللهم إن النار منعت مني النوم، فيقوم إلى الصلاة فيصلي حتى يصبح[7].

قال سالم: كان ابن عمر لا ينام الليل إلا قليلاً[8].

قال الحسين الكرابيسي: بت مع الشافعي فكان يصلي نحو ثلث الليل، وما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر خمسمائة، وكان لا يمر بآية رحمة إلا يسأل الله لنفسه وللمؤمنين، و لا يمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله منها وسأل الله النجاة لنفسه وللمؤمنين[9].

---

(1) رواه ابن ماجه كتاب الأطعمة باب إطعام الطعام حديث رقم (3251، 1334)، ورواه أحمد (23845)، وقال الألباني: حديث صحيح. انظر صحيح الجامع 7742، والصحيحة حديث 569.

(2) رواه البخاري في كتاب التهجد باب من نام عند السحر حديث رقم (1131).

(3) رواه البخاري في كتاب التهجد باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه حديث رقم 1152 ومسلم في كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر حديث رقم (1159).

(4) البخاري في كتاب التهجد باب فضل قيام الليل حديث رقم (1121).

(5) سير أعلام النبلاء 3/232، وطبقات ابن سعد 4/185 بسند صحيح. كما قال محقق الطبقات.

(6) القمحة هي حبة القمح، المقلاة: آلة القلي التي يقلى فيها الحب وغيره.

(7) حلية الأولياء 264/1.

(8) رهبان الليل 390/1.

(9) معرفة السنن والآثار (121، 122).

كان صلة بن أشيم يصلي من الليل حتى يأتي فراشه حبوًا أو زحفًا، وكذلك كان ابن الربيع العدوي[1].

عن عبد الله بن أبي مليكة قال: صحبت ابن عباس رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل[2].

قال عبد الله بن مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله؛ إذ الناس نائمون وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبحزنه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وببكائه إذ الناس يضحكون[3].

قال ابن المبارك:

يا معشر القراء يا ملح البلد ... من يصلح الملح إذا الملح فسد

قصيدة في الترغيب في قيام الليل لإبراهيم بن أدهم - رحمه الله -:

قم الليل يا هذا لعلك ترشد ... إلى كم تنام الليل والعمر ينفد

أراك بطول الليل ويحك نائمًا ... وغيرك في محرابه يتهجد

أترقد يا مغرور والنار توقد ... فلا حرها يطفى ولا الجمر يخمد

ألا إنها نار يقال لها لظى ... فتظلم أحيانًا وحينًا توقد

فيا راكب العصيان ويحك خلها ... ستحشر عطشانًا ووجهك أسود

ولو علم البطال ما نال زاهد ... من الأجر والإحسان ما كان يرقد

فصام وقام الليل والناس نوم ... ويخلو برب واحد يتعبد

بعزم وحزم واجتهاد ورغبة ... ويعلم أن الله ذا العرش يعبد

فلو كانت الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول الله حيًا يخلد

فكم بين مشغول بطاعة ربه ... وآخر بالذنب الثقيل مقيد

(1) مختصر قيام الليل (19).
(2) انظر الحلية 327/1.
(3) حلية الأولياء 130/1.

فهذا سعيد بالجنـان منعـم ... وذاك شقـــي في الجحيم مخلد
كأني بنفسي في القيامة واقف ... وقد فاض دمعي والمفاصل ترعد
وقد نصب الميزان للفصل القضا ... وقد قام خيـــر العـالمين محمد
إلى الله يرجو لطفه تحت عرشـه ... بكل دعـــاء صالح وهو ساجد
ليشفع عند الله في أهل موقف ... توالت على العاصين فيه الشدائد
فصـل إلهـي كل يـوم وليلة ... على أحمد المختـار ما حن راعد
مع الآل والأصحاب ما قال قائل ... قم الليل يا هذا لعلك ترشد [1]

قال القحطاني في نونيته:

قم في الدجى واتل الكتاب ولا تنم ... إلا كنـــومة حـــائر ولهـــان
فلـــربما بما تـأتى المنية بـــغتـة ... فتســاق من فرش إلى أكفان
يـــا حبذا عينـان في غسق الدجى ... مـــن خشيـة الرحمن باكيتان

وقال آخر:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ... وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقـلت يـا عـدتي في كل نـائبة ... ومـن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكـو إليـك أمـورًا أنت تعلمها ... ما لي على حملها صبر ولا جلد
وقـد مـددت يـدي بالضر مبتهلاً ... إليك يا خير مـن مـدت إليه يد
فـــلا تـــردنها يـا رب خـائـبة ... فبحر جودك يروي كل من يرد

عوائق قيام الليل

- كثرة الأكل وخصوصًا طعام العشاء.
- إهمال آداب النوم (الأذكار، النوم على الشق الأيمن، الطهارة).

(1) انظر رهبان الليل 515/1.

- السهر وكثرة المزاح.
- الذنوب والمعاصي.
- الاعتذار بالأعمال الدنيوية كالوظائف والدراسة، علمًا بأن السلف كانوا يعانون في معايشهم أكثر من معاناة أهل هذا الزمن، وهذه حجة غير مقنعة.

ثانيًا: من وسائل التربية الروحية صيام النفل:

حيث يعد صيام النفل من أعظم وسائل التربية الروحية وقهر النفس وتحصينها من الذنوب والمعاصي، ويا حبذا لو حافظ المسلم على صيام النفل، وعمل بوصية النبي × لأحد أصحابه عندما قال له: « صم في الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها ».... الحديث[1].

فكم هو طيب أن يحافظ المسلم على صيام ثلاثة أيام دون أن يتقيد بيوم أو تاريخ معين، بل بصوم متى تيسر له ذلك، وخاصة وقد جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها - قالت: كان النبي × « يصوم ثلاثة أيام في كل شهر» قيل لها: من أيه كان يصوم؟ قالت: كان لا يبالي من أيه صام[2].

إن في عدم الارتباط بيوم معين مساعد لهم على الصيام، فالصيام من أعظم القربات إلى الله، وكان السلف الصالح يحرصون على الصيام حرصًا شديدًا وإليك بعض ما ورد عنهم:

تأسف معاذ عند موته على ما سيفوته من ظمأ الهواجر[3].

كان أبو بكر يصوم في الصيف ويفطر في الشتاء[4].

كانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حرًّا فتصومه، فيقال لها في ذلك فتقول: إن السعر إذا رخص اشتراه كل واحد، تشير إلى أنها تؤثر العمل الذي لا يقدر عليه إلا القليل من الناس لشدته عليهم[5].

كان ابن عمر يصوم تطوعًا فيغشى عليه فلا يفطر[6].

---

(1) وأصله عند البخاري برقم 1976 في كتاب الصيام، باب صيام الدهر ومسلم برقم 1159.
(2) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام: باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر برقم 1160.
(3) لطائف المعارف ص 551.
(4) المرجع السابق.
(5) المرجع السابق ص 551.
(6) لطائف المعارف 553.

كان أحمد بن حنبل يصوم حتى يكاد يغشى عليه[1].
ثالثًا: حفظ القرآن وتدبره وتلاوته والإكثار من الذكر.
رابعًا: بر الوالدين.
خامسًا: صلة الأرحام.
سادسًا: الجهاد في سبيل الله.
سابعًا: الحضور المبكر للصلاة، وبخاصة صلاة الجمعة.
ثامنًا: البعد عن المحرمات.
تاسعًا: المكث في المسجد وخصوصًا بعد الفجر والعصر والمغرب.
عاشرًا: اجتناب اللغو والغيبة والنميمة.
حادي عشر: سلامة الصدر.
ثاني عشر: احتساب الأجر والصبر.
ثالث عشر: طلب العلم الشرعي.
رابع عشر: مجالسة الصالحين.
ووسائل التربية الروحية كثيرة جدًّا أكتفي بما سبق منها.

* * *

(1) المرجع السابق 553.

المبحث الثاني

إهمـــــال المواعـــظ

من أهم أسباب الهداية ارتباط المسلم بكتاب ربه وهدي نبيه - × - وهذا أمر لا خلاف فيه، ومن قرأ الكتاب العظيم وجد الكثير من الآيات التي تتحدث عن الجنة والنار، وعظم تأثيرها على القلوب، كذلك الحديث عن القيامة وأهوالها، لذا تجد في الصحيحين وغيرهما من الكتب التي تتحدث عن صفة القيامة والجنة والنار، وتكون لها أثار طيبة في النفوس.

لقد كان من منهجه -×- الوعظ، فعن عبد الرحمن بن عمرو السلمي - رحمه الله -، عن العرباض بن سارية - رضي الله - قال: وعظنا رسول الله -×- يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم سيرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»[1].

هكذا كان -×- مع أصحابه يعظهم ويذكرهم، فمرة عن الجنة، ومرة عن النار، ومرة عن الموت وسكراته، ومرة عن القبر وأهواله، ومرة عن يوم القيامة وكرباته، و عن الصراط وزلاته، وإن كان منهجه - × - عدم الإكثار منها، وإنما كان يتحين الفرص المناسبة، كما جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنـه - قال: « كان النبي - × - يتخولنا بالموعظـة في الأيام كراهة السآمة علينا»[2].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (يستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين:

---

(1) رواه الترمذي في سننه (كتاب العلم) باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع حديث رقم (2676) وصححه الألباني صحيح سنن الترمذي (6913) وأخرجه أحمد في المسند برقم 17141، وقال شعيب: صحيح بطرقة وشواهده انظر الموسوعة الحديثية عند أحمد 367/28.

(2) أخرجه البخاري كتاب العلم، باب ما كان النبي - ×– يتخولهم بالموعظة حديث رقم 73، وأخرجه مسلم 2821.

القسم الأول: إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط.

القسم الثاني: وإما يومًا في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط[1].

فهذا منهج النبي - × - ولكن مع الأسف أننا نجد هناك شريحة كبرى من المجتمع بدأت تبتعد عن مجالس الذكر والوعظ مع عدم الحرص على الصلاة مع الخطباء الذين عرفوا بهذه المواعظ، وأصبحوا يحرصون كل الحرص على حضور خطب الخطباء المهتمين بالقضايا الأخرى، مع أن التوازن مطلوب.

ولو تأملت في واقع شباب الصحوة، وسألتهم: ما هي أهم الأمور التي أثرت بكم والتزمتم بعد توفيق الله بسببها؟

لقالوا: القراءة والاطلاع على كتب الوعظ وحضور مجالسها.

إنك لتأسف من حال كثير من شباب الأمة الذين يحرصون على الكتب الفكرية، وحضور البرامج التدريبية التي لا أنكر أهميتها، ولكن لا يكون ذلك على حساب ما هو أهم منها.

ولعل من أهم الأسباب اعتقاد الشاب أن حضوره هذه المجالس والخطب يدل على سطحية وعدم عمق، وهذا مع ما فيه من خطورة من الناحية الشرعية، فهو دليل على حب المراءاة والسمعة.

إن العمق والوعي يكون بمعرفة كتاب الله، أما الادعاء الكاذب بالقراءات المتكلفة لا تزيد صاحبها إلا جهلاً وقلة علم.

وأذكر أن أحد الشباب يحرص على قراءة الكتب التي أشبه ما تكون بالطلاسم حتى يظهر أمام أصحابه أنه صاحب عمق ووعي حتى أصبح بعد ذلك خاويًا من العلم الذي عرف فيه في بداية استقامته. إن هجران مجالس الوعظ نذير لقسوة القلب، فهلا استننا بسنته - × - وأعدنا التوازن لحياتنا.

إنني لا أبالغ عندما أقول: إن ابتعاد بعض الأخيار عن مجالس الذكر الوعظية قد أثر على قلوبهم حتى قست، وعلى تدينهم حتى نقص، فاللهم رحماك.

(1) انظر فتح الباري 287/1.

***

المبحث الثالث

عدم القدرة على تحمل العبادة عند انفراده

وهذه النقطة تعرضت لها فيما سبق، ولكن لأهميتها أفردت لها هذه الكلمات القليلة، حيث نجد كثيرًا من الناس يكونون أقوياء مع الجماعة، وأهل ورع وديانة ويعزمون على تغيير أوضاعهم عندما يعودون إلى بيوتهم، نجد أهواءهم تغلبهم، فتجدهم في بيوتهم يتصفون بالضعف والرخاوة وربما لا يدرك أحدهم مع الإمام إلا التشهد الأخير وقد لا يدركه!.

أعرف شابًّا صوامًا قوامًا إذا كان مع زملائه، وإذا خلا في بيته هجر ذلك، وهو كما يظهر ليس منافقًا، ولكن قدراته على التحمل وإرغام النفس على العبادة ضعيفة، وقد شكا لي وضعه فذكرت له بعض الحلول ومنها:

أ - أن يتذكر الرياء وعواقبه الوخيمة.

ب- كثرة التضرع ودعاء الله.

جـ- الاتفاق مع أحد جيرانه لإيقاظه للصلاة.

د - أن يحاول أن يكون مؤذنًا أو إمامًا لكي يعينه ذلك على العبادة والطاعة. وهذا الداء معضلة كبرى ومصيبة عظمى، وأعرف من هذا القبيل رجلاً يحمل هم الدعوة، يتفطر قلبه ألمًا وحسرة مما أصاب الأمة، ولكنه ضعيف جدًّا في الجانب التعبدي، بل عنده استعدادٌ أن يناقش قضايا فكرية لمصالح المسلمين، وعنده استعداد لمحاورة رموز العلمنة، ولكن ليس لديه استعداد أن يصلي ركعتين نافلة، بل قد يكون ضربًا من المستحيلات أن يصلي جميع الفروض في يومه في المسجد، وهذا لا شك يدل على سطحية التفكير وضعف الإيمان واليقين، فإن الجعجعة إذا لم تتحول إلى واقع عملي ملموس فلن تغير شيئًا.

* * *

الفصل الرابع
دور البعد عن الأذكار في الانتكاس

وفيه مباحث:
المبحث الأول: عدم الاهتمام بالدعاء.
المبحث الثاني: عدم سؤال الله الهداية.
المبحث الثالث: الشماتة بأصحاب الذنوب والمعاصي.
المبحث الرابع: عدم بذل الجهد بالتوبة.
المبحث الخامس: الزيغ.

المبحث الأول

عدم الاهتمام بالدعاء

كان النبي الملهم والقائد المسدد والمعصوم × أشد الناس خوفًا من ربه وأقربهم إليه، ومع ذلك كان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[1].

وقد تعجبت زوجه عائشة - رضي الله عنها - من هذا الدعاء فأخبرها أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

فإن كان الرسول × يخشى من ذلك، فإننا أولى بهذه الخشية، إن المؤمن يخاف ويرتجف عندما يسمع هذه الأخبار، فأين القلوب الواعية؟

ويظن بعض أهل العلم أنهم بمنأى من السقوط، وأن المخاطب بهذه الكلمات هم العوام والبسطاء أو حديثو الالتزام وصغار السن.

ومن اعتقد هذا فهو على خطر عظيم، وأظن أن الشيطان قد استحوذ عليه، وزين له سوء عمله، ومن ادعى العصمة - مهما بلغ علمه ووسع فهمه فقد ادعى شيئًا لم يدعه المعصوم × قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

وقد حدثنا التاريخ عن أناس ما كان لأحد أن يتصور انتكاستهم، ولكن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

لقد قال ابن مسعود -رضي الله عنه- كلمة تحمل معانٍ عظيمة لمن تدبرها وفقه معناها، قال: « استن بمن مات، فإن الأحياء لا تؤمن عليهم الفتنة»[3]، وهذه العبارة الموقوفة عليه تبين إلى أي مدى كان الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يضمن أحدهم الاستمرار على هذا الطريق، وكيف أن الواحد منهم لا يرى الاقتداء بالأحياء؛ لأنهم ليسوا بمنأى عن الفتن.

---

(1) ونصه عن أنس: كان رسول الله ×يكثر أن يقول: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت: يا نبي الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء» رواه الترمذي، حديث رقم (3587) وأخرجه ابن ماجه حديث رقم (3834)، وصححه الألباني بمشكاة المصابيح 37/1 وأورده في صحيح الجامع بألفاظ أخرى منها: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» وعزاه إلى الحاكم وابن ماجه عن النواس بن سمعان 1323/2.

(2) سورة الأحزاب، آية: 21.

(3) أورده ابن عبد البر في (جامع مع بيان العلم وفضله) 97/2.

إن للدعاء أثرًا عظيمًا في حياة المسلم، وهو السلاح الذي لا يمكن للأعداء حرمان المسلم منه، وهو سلاح مضمون النتيجة إذا توفرت شروطه وآدابه؛ لذا قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: « إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء»[1].

والدعاء عبادة يلجأ إليها المسلم إذا حزبه أمر من عدو أو ظالم، أو يتقرب به إلى الله تعالى ليرفع درجاته، أو يعينه على أمر دينه أو يرحم إخوانه.

وليس هذا مكان الحديث عن الدعاء بمفهومه الشامل، ولكن هناك عوائق تمنع من استخدام الدعاء من خلال الموضوع سأذكر بعضها:

أ- عدم المبالاة:

قد يكون هذا العائق من أعظم العوائق، حيث إن غالبية المنتكسين قد يكونون أهملوا هذا الجانب، ولم يعد له ذكر في حياتهم، وأذكر أن والدي -رحمه الله- كان يكثر من قول: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »[2]، وكان الناس في السابق يولون الدعاء جل اهتمامهم مما جعلهم بمنأى - بحمد الله وفضله - عن السقوط.

ب- عدم استشعاره عظمه الدعاء وآثاره.

جـ- عدم امتلاك القدرة التي تمنع الشيطان من حرمان المؤمن من لذة الدعاء والمناجاة، فتجد المسلم يرضخ للشيطان ويستجيب لندائه بعدم الدعاء.

د- الذنوب والمعاصي: قال أحدهم:

جسمك قد أفنيته بالحمى ... دهرًا من البارد والحار

وكان أولى بك أن تحتمي ... من المعاصي حذر النار

وقال آخر:

أيضمن لي فتى ترك المعاصي ... وأرهنه الكفالة بالخلاص

أطاع الله قوم فاستراحوا ... ولم يتجرعوا غصص المعاصي

وقال آخر:

---

(1) دقائق التفسير 517/2 لابن تيمية رحمه الله.

(2) أخرجه الترمذي حديث رقم (3587) وصححه الألباني. انظر مشكاة المصابيح 37/1.

العمـر ينقص والذنوب تزيـد وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهـود
والمرء يسأل عن سنيه فيشتهـي تقليلها وعـن الممات يحيد

حيث إن تراكم الذنوب على القلوب ورينها عليه من الأسباب المانعة من استخدام هذا السلاح.

هـ- جهل كثير من الناس بمفهوم الدعاء بالثبات وعدم خصوصيته:

هناك من يعتقد أن الدعاء بالثبات لا يكون إلا لمن وقع في الزلل، أما من سار على الجادة والتزم الطريقة الصحيحة فهو في غنى عن ذلك، وهذا هو الخطأ، فالرسول × وأصحابه مع أنهم من هم بالفضل كانوا يكثرون من الدعاء بالثبات.

وقد يقول قائل: إننا ندعو دائمًا، ولكن لا نجد أثرًا لذلك، فما الأسباب؟ فأقول: الأسباب كثيرة من أهمها: عدم فعل الأسباب المعينة على إجابة الدعاء، وأذكر منها:

1- إطابة المطعم والمشرب.
2- إعطاء الناس حقوقهم ورد المظالم إليهم.
3- صلة الرحم وبر الوالدين.
4- تحري أوقات الإجابة، كالثلث الأخير من الليل والساعة الأخيرة من يوم الجمعة وأدبار الصلوات وفي السجود وعند نزول المطر وعند المرض والسفر، ومن الأدعية المأثورة «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الأهل والمال، ومن الحور بعد الكور، ومن دعوة المظلوم»[1].

وبعد: فإن الدعاء سلاح قوي المفعول، مضمون النتائج - بإذن الله - متى استشعرنا عظمته وعلمنا حاجتنا إليه وأنه لا غنى لنا عنه، فهو العبادة كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

(1) أخرجه مسلم (1342) كتاب الحج باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (1)(2).

* * *

(1) سورة غافر، آية: 60.
(2) أنصح في هذا الباب بقراءة الكتب التالية:
* الأذكار النووية.
* صحيح الكلم الطيب للألباني، أو أصله (الكلم الطيب) لشيخ الإسلام.
* الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) لابن القيم.
* الدعاء لسعيد بن علي بن وهف القحطاني.
* الأذكار وقفات وأحكام لصالح مقبل العصيمي.

المبحث الثاني

عدم سؤال الله الهداية

وهذا السبب من الأسباب التي تؤدي إلى الردة والبعد عن الإسلام، فكثير من أهل الإسلام ممن بعد عن الطريق المستقيم يأنف من سؤال ربه الهداية، بل إن بعضهم يتبجح ويقول: إن حاله الآن أفضل؟!

فبعض الضالين يظل على معاصيه حتى تنكت على قلبه نكتة سوداء يصعب أن يتخلص منها، كما ورد في الحديث الصحيح عن حذيفة قال: سمعت رسول الله × يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًّا كالكُوزِ مجخِّيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه»[1][2].

فالويل لمن لا يعِ مثل هذه الأمور، والويل لمن استمرأ المعاصي وواظب عليها، والخيبة والحسرة له إن لم يتخلص منها.

وعلى المسلم ألا يعتقد أنه في غنى عن سؤال ربه الهداية، أو أن أوضاعه مستقرة لا يمكن أن تتغير أو تتبدل، فالإيمان يخلَق[3] في القلوب فيحتاج إلى تجديد النية والتوبة، فلا غنية لمسلم عن الهداية، فالمعصوم × كان يسأل ربه الهداية، فما بالك يا من أصبحت المعاصي والذنوب جزءًا لا يتجزأ من حياتك، وما بالك يا من أصبح الشيطان يجول ويصول على قلبك القاسي كيف يشاء لا تسأل ربك الهداية؟!.

حري بمن هو على هذه الشاكلة أن يبكي بين يدي مولاه وأن يسأله التوفيق والهداية.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فها هو ذا يوجه حفيده توجيهًا كريمًا

---

(1) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً حديث رقم (231).

(2) الربدة: الغبرة، والربداء: السوداء التي في سوادها نقط بيض أو حمر.
الكوز: كوب بعروة، والعروة علامة فارقة بينهما.
مجخيًا: مائلاً عن الاستقامة والاعتدال.
فشبه ×– القلب الذي لا يعي خيرًا بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء حيث ينصبُّ ما فيه.
انظر لسان العرب مادة (جخا) 133/14.

(3) يضعف.

ويقول له: «إني أعلمك كلمات تقولهن في الوتر، اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»[1].

(1) رواه ابن ماجه في باب القنوت في الوتر (117) حديث (1178) ورواه الدارمي في باب الدعاء في القنوت (214) حديث (1594). ورواه أبو داود، انظر شرحه عون المعبود (334) باب القنوت في الوتر حديث (1412). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (1425).

المبحث الثالث

الشماتة بأصحاب المعاصي والذنوب

إن من أسباب الانتكاس أن بعض الأخيار يسخرون ويشمتون بالعصاة والفساق، وما علموا بأن هؤلاء المساكين قد ابتلوا بالمعاصي والذنوب، ولم يستطيعوا كبح جماح شهواتهم، وكان من الأولى نصحهم والدعاء لهم بدلاً من الاستهزاء والسخرية بهم قال ×: «من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير من خلقه تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء»[1].

ولذلك عاقب الله سبحانه وتعالى بعض الشامتين وحرمهم من لذة الثبات على الدين، وقد حدثني بعض المشايخ أن أحد الذين ظهرت منهم في هذا العصر عبارات تبين من طرحه خروجه من الملة كان كثيرًا ما يسخر من العصاة، ولا ينفك مجلس من مجالسه عن مثل هذه الأمور وها هي عاقبته الآن، ينال جزاء ما اقترف ويجني ثمار ما فعل، فعسى الله أن يهدينا وإياه للحق، ويعيدنا وإياه لجادة الصواب إنه القادر على ذلك.

ولعل في هذه عبرة ونصيحة لجميع المسلمين أن يقتدوا بالنبي × ويأخذوا بإرشاداته فإن فيها خيري الدنيا والآخرة.

(1) أخرجه الترمذي حديث رقم (3657) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير 157/1 حديث رقم 55.

المبحث الرابع

عدم بذل الجهد في التوبة

قد تكون هذه الآفة سببًا في الخروج من الإسلام، حيث نجد كثيرًا من أبناء المسلمين ممن ابتلوا بالذنوب والمعاصي لا يبادرون بالإقلاع عنها واجتذاذها من أصولها، بل يستمرئونها ويتلذذون بها وعندما تنصح أحدهم وتقول له: يا فلان، اتق الله وأقلع عن ذنبك، تجد الأجوبة منهم متفاوتة فمنهم من يقول: ما زلت صغيرًا، ومنهم من يقول: ادع لي، وهذه لا شك كلمة طيبة، ولكن ماذا فعلت وما هي الخطوات التي اتبعتها ليستجيب الله لي ولك؟ هل أريت الله ما يرضيه عنك؟ هل بذلت الجهد للإقلاع عما أنت فيه؟

أم أنك تطلق هذه العبارة لإسكات الداعية دونما فعل أسباب التوبة؟

إن التوبة ليست مجرد أمنية، بل تحتاج إلى جهد وعمل، وهناك من الشباب من إذا نصحته قال: إن الله غفور رحيم وينسى أو يتناسى أنه شديد العقاب وذو عذاب أليم، فنظر بعين وأغمض الأخرى فهل هذا من الإنصاف؟

وبعضهم يحتج بأنه قد أحسن الظن بالله، فيقوم بعمل المعاصي والذنوب التي يزينها له الشيطان بهذه الحيلة، وأذكر حكاية شاب في هذه المناسبة لم يعرف معصية إلا اقترفها ولا آفة إلا اكتسباها، طرق جميع أبواب الحرام، وكلما ذكرته بالله قال لي: أنت حزين علي ومستاء من وضعي؟ فأقول له: نعم وأتمنى لو تباع الهداية لأشتريها لك بأغلى الأثمان، فقال لي: اطمئن فإنني دعوت الله ألا يميتني إلا وهو راض عني، وأبشرك أنني محسن الظن بالله ومتفائل بأن الله لن يميتني إلا وقد هداني، فقلت له: لا أظن أحدًا أرضى الشيطان كما أرضيته، إنك في هذه الحالة وعلى ضوء تصوراتي لا أعتقد أنك ستلتزم إذا كان هذا مبدأك، إن إحسان الظن بالله واجب وخصوصًا عند النزع ومفارقة الدنيا، ولكن اقتراف الذنوب والمعاصي مع إحسان الظن بالله لا يجتمعان.

ثم قلت له: إن الشيطان سيفتح لك بابًا عظيمًا من الوسوسة حيث كلما فكرت بالالتزام وسوس لك الشيطان وقال: إنك قد أحسنت الظن بربك، ولن يقبض روحك إلا وهو راض عنك، وما أظن التزامك هذا إلا إيذانًا بدنو أجلك واقتراب رحيلك، ومن ثم وبما جبل عليه الإنسان من حب الدنيا وكراهية الموت سوف تفزع من هذا وتؤجل التوبة؛ لأنك ربطتها بالموت وهكذا سوف تستمر إن لم يتداركك الله برحمته حتى تفاجأ بأنك أسير لحدك،

ولكنه استمر على وضعه، أسأل الله لنا وله الهداية.

ومن المؤلم أن بعض أهل المعاصي من المسلمين عندما تذكره بالله يقول لك: إنني سعيد بوضعي فلا تكدر علي صفو حياتي ولا تنغصها علي بمواعظك وتذكيرك.

وهناك إحدى الفنانات حازت على النجومية في مجالها العفن، فاتصلت بها إحدى الداعيات في يوم تكريمها كبطلة! وأي بطولة تلك التي نالتها؟! ذكرتها الداعية باليوم الموعود والصراط المنصوب فقالت لها: أرجوك كفي عن هذا، ولا تخوفيني، ولا تحرميني من فرحتي بفوزي، ووضعت السماعة.

إن على المسلم أن يلغي عبارة «وضعي أحسن» من قاموسه وعليه المبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله قبل أن يندم يوم لا ينفع الندم ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1].

المبحث الخامس

الزيـــغ

هناك من يمن الله عليه بالهداية ويصرفه عن الفحشاء والمنكر ويهديه سبيل المؤمنين، ويحبب إليه الإيمان ويزينه في قلبه، ومع ذلك نجده يحاول ممارسة تجارب المعاصي والآثام، ويصر على أن يسلك طريق الغواية بعد ما صرفه الله عنه، ويسعى لأن يزيغ ويفسد ويخرب، وفعلاً ما أن يخوض هذه التجارب السيئة إلا ويجد نفسه قد وقعت في مستنقع وحل يصعب الخلاص منه: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2] إن الإنسان الذي يزيغ عن الهدى ويسلك طرق الغواية ربه غني عنه وسوف يصرفه عمَّا هو خير، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا

(1) سورة النحل، آية: 111.
(2) سورة النحل: آية 118.
(3) سورة التوبة: آية 127.

عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾[3].

وهذه الآيات كافية شافية بإذن الله لبيان خطر الزيغ والبعد عن ذكر الله عز وجل، والله المستعان.

الفصل الخامس
التشديد على النفس

وفيه مبحثان:
المبحث الأول: الغلو في الدين وتحميل النفس ما لا تطيق.
المبحث الثاني: الميل إلى العزلة.

(1) سورة الأعراب، آية: 146.
(2) سورة الصف، آية: 5.
(3) سورة الأنعام، آية: 110.

المبحث الأول

الغلو في الدين وتحميل النفس ما لا تطيق

إن الإنسان بطبعه له طاقات محددة، فعليه ألا يتجاوزها وإلا فإنه سيكون عرضة للسقوط، ولقد نهى الله عز وجل في آيات عديدة من كتابه الكريم عن الغلو، فحذر أهل الكتاب منه فقال سبحانه: +قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ "[1].

فظهر الانحراف عند النصارى بسبب ما أحدثوه في دينهم من غلو، قال الأستاذ محمد طه عاشور:

«إن هذه النصوص وإن تعلقت بأهل الكتاب ابتداءً فإن المراد منها وعظ هذه الأمة لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة»[2].

وقد يتساءل بعض الناس: هل كان الغلو مقصورًا على النصارى؟

فأجاب عن هذا السؤال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم فقال: «النصارى أكثر غلوًّا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو»[3].

1- ولذا نهى الرسول × أمته عن الغلو لكي لا يقع المسلمون فيما وقع فيه غيرهم من الأمم التي بعث فيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال لي رسول الله × غداة جمع: «هلم الْقُطْ لي الحصى» فلقطت له حصيات من حصى الخذف فلما وضعهن في يده قال: «نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[4].

2- فهذا نبينا × يبين مآل الغلاة، وأن مصيرهم إلى الهلاك، بل ويكرر ذلك ثلاث مرات، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن ابن مسعود - رضي الله

---

(1) سورة المائدة، آية: 77.
(2) (مقاصد الشريعة) ص 60.
(3) اختصار الصراط المستقيم (289/1).
(4) رواه أحمد حديث رقم (1851)، وصححه شيخ الإسلام في الاقتضاء (289/1). وشعيب، انظر الموسوعة الحديثية لمسند أحمد 35/3.

عنه - قال: قال رسول الله ×: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا[1]، قال النووي معلقًا على هذا: «المتنطعون المتعمقون المغالون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم».

3- وها هو × يرشد أمته إلى ترك التشدد فيقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»[2].

فالتشديد على النفس ضرب من ضروب الغلو فيكون مصير صاحبه الانقطاع؛ لأن من شاد الدين غلبه ولا ريب؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ×: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[3].

قال الحافظ ابن حجر: «المعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب» [4].

4- ولقد تأثر الرسول × من خبر وصله عن بعض أصحابه، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي × يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: أين نحن من رسول الله؟ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله × فقال: « إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[5].

---

(1) رواه مسلم كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، حديث رقم (2670)، وأبو داود كتاب السنة، باب في لزوم السنة حديث رقم (4608)، وأخرجه أحمد 167/6 حديث رقم (655).

(2) أخرجه أبو يعلى، رقم (3694). وأورده الهيثمي في المجمع، وقال رجاله رجال الصحيح. غير سعيد ابن عبد الرحمن وهو ثقة، انظر المجمع (256/6)، وقال محقق مسند أبي يعلى: إسناده حسن، انظر (366/6).

(3) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم (39)، والنسائي في الكبرى (121/8) كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

(4) انظر فتح الباري (95/1).

(5) رواه البخاري كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (5063) ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه، حديث رقم (1401).

5- وأخرج البخاري ومسلم عن أنس قال: دخل النبي × فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي ×: «حُلُّوه؛ ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد»[1] قال ابن حجر: «فيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها والأمر بالإقبال عليها بنشاط»[2].

6- وأخرج البخاري عن عائشة أن النبي × دخل وعندها امرأة قال: «من هذه؟» قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»[3].

قال ابن حجر: «قوله: (عليكم بما تطيقون): أي اشتغلوا بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق»[4]. ولقد عالج النبي × ما يكون عند الصحابة من الحماس الذي لا يمكنهم أن يطيقوه، ومن ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رواه البخاري ومسلم، وكلاهما في كتاب الصوم[5].

7- فالمسلم لا يحتاج لإيجاب شيء جديد على نفسه، فإن ذلك من تجاوز الحدود التي حددها الله وبينها لعباده، كما أنه لا يجوز له أن يحرم طيبات أحلها الله له؛ قال تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ "[6].

(1) رواه البخاري كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، حديث رقم (1150)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، حديث رقم (219).
(2) انظر الفتح 37/3.
(3) البخاري كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، حديث رقم (43)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك حديث رقم 7851.
(4) انظر الفتح (102/1).
(5) البخاري كتاب الصوم باب صوم الدهر حديث رقم (1976)، ومسلم كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر حديث رقم (1159).
(6) سورة المائدة، الآيتان: 87-88.

قال محمد رشيد رضا: «ترك الطيبات تنسكًا وتعبدًا بتعذيب النفس والتشديد عليها محل شبهة، فُتن بها كثير من العباد والمتصوفة متبعين بذلك سنن من قبلهم من رهبان النصارى الذين ابتدعوا رهبانية لم يؤمروا بها»[1].اهـ.

ومن خلال هذه الأدلة والنصوص يتضح لنا يسر ديننا ومراعاته لقدرات الفرد، ولكن هناك من لم يتأثر بهذه النصوص لاعتقاده أنه غير معنيّ بها وأن المخاطب بها فئة غيره.

8- على المسلم عند التزامه ألا يحمّل نفسه من القيام والصيام ما لا طاقة له به؛ لكي لا تحدث عنده نتيجة عكسية وهي ترك الالتزام؛ لأنه عندما لم يستطع تحمل ما كلف نفسه به رأى أن هذا الطريق لا يناسبه، بل عليه أن يتدرج في تربية نفسه على النوافل وأن يعطيها حقها، ولتقريب المفهوم أذكر بعض الأمثلة:

9- «شابًا أقسم أن يحفظ القرآن في الإجازة الصيفية، ولقد اجتهد في ذلك ولكنه غير متمكن، فسخط على نفسه سخطًا شديدًا وصمم على الانتقام منها أشد انتقام وحرم نفسه من أشياء كثيرة، ثم لم يطق ذلك، لكنه أصر عليه حتى تطور به الحال أن تسبب ذلك في دخوله مستشفى الأمراض العصبية».

10- وأذكر أن شابًّا آخر تحمس لحفظ القرآن خلال أشهر قليلة، وأخبرته أن في ذلك مشقة عليه لكنه رفض، ولما مضت الأشهر التي حددها أصيب ببعض الإحباط لكنه اقتنع بالتوسط، وهو الآن منطلق بحفظه عندما نظر إلى الأمر بعين العقل، نسأل الله أن يوفقه لذلك.

وقد يقول البعض: إن هناك من حفظ القرآن خلال أشهر أو مدة قليلة.

أقول: إن هذه حالات نادرة وقليلة لا يستطيعها كل شخص.

11- وأذكر أن شابًّا التزم وأحسّ رغبة قوية في قيام الليل، وبدأ من أول يوم يقرأ في كل ركعة جزءًا ثم دعته نفسه للمزيد فبدأ بالزيادة حتى أصبح لا يطيق ذلك فترك القيام بالكلية.

12- وقال لي أحد الفضلاء: إن شابًّا سمع درسًا عن قيام الليل، فتحمس لذلك، فقام من ليلته فصلى سبعين ركعة أجهد نفسه بها وغلبه النوم قبل الفجر، وما شعر بنفسه إلا وعقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحًا، فأخر

(1) تفسير المنار (19/7) عند تفسير الآيات 87-88 من سورة المائدة.

الصلاة عن وقتها بسبب عدم التوازن والاندفاع المخالف لهديه ×[1].

ولا يظن ظانٌّ أنني ألوم من يتحمس للتعبد، فالحماسة للتعبد أمر محمود، ولكن على الشخص الاعتدال ومعرفة طاقته، فمن سلك دربًا فعليه أن يستمر فيه، لهذا أرشد رسول الله × أحد الصحابة فقال له: «لا تكن كفُلان؛ كان يقوم الليل فتركه»[2] لأن ترك العبادة بعد الشروع فيها أمر مذموم، وقد يحدث في نفس صاحبه ردود فعل لا تحمد عقباها.

13- «إن الذين يحملون أنفسهم ما لا يطيقون ولا يقبلون التوسط في شيء ويصرون على الغلو فهؤلاء معرضون بشكل أو بآخر لانتكاسات نفسية وإيمانية، وهؤلاء كمن يريد أن يقطع صحراء طويلة بسرعة؛ فيهلك دابته ولا يبلغ ضالته، وصدق رسول الله × حيث قال: «إن المنبتّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»[3]، إن النفس البشرية ضعيفة».

14- ثم ذكر صورة أخرى للغلو وهي التكفير، وذكر قصة رجل كفر أخًا له بسبب أنه لم يصل الفجر إلا بعد خروج الوقت دون أن يعرف الأسباب التي منعته عن أداء الصلاة في وقتها، فقد يكون المانع مما يعذر الله به، ثم إن هذا الرجل أصر على موقفه ولم يقتنع بخطئه، وأن تسرعه في إطلاق الحكم مخالف لأصول الدين، وأصر على موقفه حتى وجد نفسه خارج دائرة الإيمان، وبدأ هذه المأساة بحلق اللحية ثم الوقوع في غرام المومسات، وانتهى به الطريق إلى الشيوعية نسأل الله حسن الختام.

15- ومن هنا نخلص إلى أن تحميل النفس ما لا تطيق أقل نتائجه ترك العمل، أخرج البزار عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «كانت مولاة للنبي × تصوم النهار وتقوم الليل فقال ×: «إن لكل عمل شرَّة، ولكل شرَّة فترة، فمن

---

(1) انظر الكلام الجميل الذي أورده الحافظ في الفتح عند شرح الحديث رقم 39 في كتاب الإيمان (95/1).

(2) رواه البخاري (68/2) حديث رقم (1152) ومسلم (1159).

(3) رواه الإمام أحمد، والبزار، والبيهقي عن جابر وهو ضعيف، وانظر تخريج الإحياء (2144/5). وضعفه الألباني. الجامع الصغير (2022)، هذا الحديث ضعيف، لكنه صحيح المعنى، يشهد له مثل هذه الأحاديث:

* ((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا)) "البخاري".
* ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ)) "البخاري".
* ((إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق))، "رواه الإمام أحمد وحسّنه الألباني".

كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»[1].

فالاعتدال أمر مطلوب وحرمان البدن من الراحة يؤدي إلى الضعف والسأم والملل، فعلى المسلم أن يعيش حالة التوسط لا إفراط ولا تفريط، وعليه أن يعلم أن له طاقة محدودة إذا تجاوزها اعتراه الكسل والفتور الذي يكون غالبًا هو بداية الانحراف.

وللغلو صور عديدة ولكنني أكتفي بما سبق لأن هذا الموضوع له مظانه[2].

***

(1) أخرجه أحمد في المسند رقم (6764) وقال شعيب: إسناده صحيح. انظر الموسوعة الحديثية (376/11).

(2) انظر للفائدة مجموع فتاوى شيخ الإسلام (470/25) وما بعدها ولا أنسى أن أنبه هنا إلى أن من أهم مظان هذا الموضوع وهو كتاب (الغلو في الدين) للدكتور/ عبد الرحمن اللويحق والذي أخذت منه كثيرًا في هذا الموضوع.

المبحث الثاني
الميـــــــل للعزلـــــــة

الإنسان اجتماعي بطبعه، يحب الاجتماع ويأنس إليه، ولقد ندب الإسلام في بعض الحالات للعزلة، لكن الأصل هو الاختلاط والمعاشرة، وللإمام الخطابي كتاب جميل بعنوان (العزلة) وأنا أتطرق للعزلة هنا من حيث كونها سببًا للانزلاق والانتكاس.

فالشاب عند التزامه بحاجة لمن يقوم على تربيته وتوجيهه وحثه على السير قدمًا في هذا الطريق.

إن العزلة خطوة يسول بها الشيطان للشاب لإبعاده عن طريق الالتزام، والبعض عند مناقشته في العزلة يضع لها فوائد؛ من طلب العلم وتربية النفس ومحاسبتها، وتعويد النفس على العبادة وغير ذلك، ولكن المتمعن يعلم أن الخلطة لا تمنع من طلب العلم، ولا تحرم من التربية، ولا تمنع الإنسان من أن يقتطع جزءًا من وقته لتحقيق ما سبق، فالعزلة المذمومة هي الانقطاع بالكلية عن الناس، والمؤمن مطالب بمخالطة الناس وعدم الانفراد عنهم، فالرسول × كان يأمر أصحابه بالاجتماع، ويبين لهم أن العزلة والتفرق من الشيطان، فعن أبي ثعلبة الخشني قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ×: «إن تفرقكم في الشعاب والأودية؛ إنما ذلكم من الشيطان»، فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض، حتى يقال: لو بسطت عليهم كساءً لعمهم[1].

إن الإنسان عندما ينعزل عن أهله ورفاقه يصبح سهل الاصطياد وسهل الوقوع في الزلل؛ لذا قال ×: «إنما يأكل الذئب القاصية»[2].

لذا أحذر الشباب وأقول لهم: احذروا من تلبيس إبليس ووسوسته، وخذوا العبرة ممن سبقوكم فالمرء عندما ينعزل عن رفاقه يشعر بالوحشة، ويجد نفسه بحاجة إلى المخالطة، فيجد غضاضة في العودة إلى رفاقه الطيبين

---

(1) أخرجه أحمد في المسند 273/29 حديث رقم 17736، وأبو داود 2628، وقال العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود: حديث صحيح 130/2 وقال شعيب: إسناده صحيح. انظر الموسوعة الحديثية لمسند أحمد 273/29.

(2) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (46) «باب في التشديد في ترك الجماعة» حديث رقم (547) تحفة الأشـــراف (1967)، والنســـائي في كتاب «الإمامة» (48) «باب التشـــديد في ترك الجماعة» والإمام أحمد في المسند. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (547).

الذين انعزل عنهم بحجة طلب العلم والتفرغ للعبادة فلا يجد مناصًا من العودة لأصدقاء السوء والأشرار.

بل إن للعزلة مساوئ خطيرة تجعل للشيطان إلى الإنسان سبيلاً للتفرد به وإيقاعه في الشبهات والشهوات.

ومما يذكر هنا ما ذكره الخطابي عن بعض أهل العلم، فقال: كان يختلف معنا رجل إلى أبي ثور، وكان ذا سمت وخشوع، فكان أبو ثور إذا رآه جمع نفسه، وضم أطرافه، وقيد كلامه، فغاب عن مجلسه مدة، فتعرف خبره فلم يوقف له على أثر، ثم عاد إلى المجلس بعد مدة طويلة وقد نحل جسمه، وشحب لونه، وعلى إحدى عينيه قطعة شمع قد ألصقها بها، فما كاد يتبينه أبو ثور، ثم تأمله فقال له: ألست صاحبنا الذي كنت تأتينا؟ قال: بلى. قال: فما الذي قطعك عنا؟ فقال: قد رزقني الله سبحانه الإنابة إليه، وحبب إليَّ الخلوة، وأنست بالوحدة، واشتغلت بالعبادة.

قال له: فما بال عينك هذه؟

قال: نظرت إلى الدنيا فإذا هي دار فتنة وبلاء، وقد ذمها الله تعالى إلينا وعابها وذم ما فيها، فلم يمكنني تغميض عيني كلتيهما عنها، ورأيتني وأنا أبصر بإحدى هما نحوًا مما أبصر بهما جميعًا، فغمضت واحدة، وتركت الأخرى.

فقال له أبو ثور: ومنذ كم هذه الشمعة على عينك؟ قال: منذ شهرين أو نحوهما. قال أبو ثور: يا هذا ما علمت أن لله عليك صلاة شهرين، وطهارة شهرين.

انظروا إلى هذا البائس، قد خدعه الشيطان فاختلسه من بين أهل العلم، ثم وكل به من يحفظه ويتعهده ويلقنه العلم[1].

ولا شك أن العزلة درجات، ولعل من أخطرها هجران الأهل والأقارب، فعليه أن لاينعزل عن أهله بل يمارس الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، بدلاً من عزل نفسه، ثم يحصل له ردة فعل تعيده إلى مشاركتهم في منكراتهم والله المستعان.

* * *

(1) العزلة للإمام الخطابي ص224 - 225.

الفصل السادس
عدم تحمل الأذى واستعجال النتائج

وفيه مباحث
المبحث الأول: عدم تحمل الأذى في سبيل الله.
المبحث الثاني: التزعزع عند الفتن، وتأصيل ابن تيمية لها.
المبحث الثالث: التزعزع عند الفتن، وتأصيل ابن القيم لها.
المبحث الرابع: عدم التضحية في سبيل الدين.
المبحث الخامس: الخجل من الناس.
المبحث السادس: استعجال النصر.

المبحث الأول
عدم تحمل الأذى في سبيل الله

هناك من يسلك طريق الدعوة ولم يجعل في باله قوله تعالى: +الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ "[1].

إن الفتنة في طريق الدعوة سنة إلهية ماضية، كما هو معلوم عند من آمن بربه وعلم سننه في هذه الحياة الدنيا.

إن على من سلك هذا الطريق أن يتحمل تبعاته ومصائبه وأهواله.

فيه المصائب والمكاره جمة لكنه ما ليس منه بديل

إن طريق الدعوة ليس سهلاً ممهدًا، بل به الأوحال والأشواك والعقبات، منها ما نال خير هذه البشرية × الذي خاض عشرات المعارك لإعلاء كلمة الله، بل إنه أصيب في بعضها، وسالت دماؤه × من جراء ذلك، وهو صابر محتسب في سبيل الله، وأصحابه رضوان الله عليهم نالهم ما نالهم وأصابهم ما أصابهم، وما ردهم ذلك عن دينهم.

والتاريخ مليء بأخبار من ضحى بنفسه في سبيل الله من أجل المحافظة على دين الله، وسوف أذكر بعض القصص والأخبار ليرى الواحد منا مكانه أمام هؤلاء الأبطال والرجال والأفذاذ +مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا"[2].

لا يمكن للتاريخ أن ينسى ما تعرض له النبي × من العذاب، وما تعرض له أصحابه ومثال ذلك ما تعرض له بلال - رضي الله عنه - من تعذيب تحت وهج الشمس في صحراء مكة ورمضائها، وما تعرض له آل ياسر من التعذيب حتى قتل ياسر وامرأته سمية رضي الله عنهما، وقبل هذا يجب ألا ننسى ما تعرض له رسول الله × فهو أعظم من ابتلي في سبيل دعوته لذا قال ×: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن

(1) سورة العنكبوت، الآيتان: 1-2.
(2) سورة الأحزاب، آية: 23.

الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة »[1].

1- وهذه بعض الصور من ابتلاء رسول الله ×:

أ- عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله؟ قال: « بينما رسول الله × يصلي في حجر الكعبة؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله × ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه حنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله × وقال: +أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ "" (2) (3).

ب- وعن عبد الله بن مسعود قال: « بينما رسول الله × يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلى[4] جزور بني فلان فيأخذه فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي × وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعه طرحته عن ظهر رسول الله ×، والنبي ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي × صلاته رفع رأسه، ثم دعا عليهم. وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط»، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدًا × بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر. ثم سحبوا إلى القليب

(1) وانظر سنن ابن ماجه في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء، حديث (4023)، وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ انظر صحيح الجامع 231/1 الحديث 993، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة 225/1، وانظر روايات أخرى للحديث كما عند أحمد في المسند 78/3 حيث أورد له عدة روايات.

(2) سورة غافر، آية: 28.

(3) البخاري مع الفتح في كتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي × من المشركين بمكة 156/7. وذكره في مواضع أخرى.

(4) السلى في الماشية، وفي الناس المشيمة: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه. انظر لسان العرب 396/14.

قليب بدر»[1].

جـ- ومما تعرض له × حرب القطيعة وحبسه هو وأصحابه وعشيرته في الشعب لمدة سنتين[2].

د- وكذلك ما تعرض له في الطائف من ضرب ورمي بالحجارة فتحمل الشدائد[3].

2- من المحن التي تعرض لها الخليل عليه السلام:

أ- ومن صور الابتلاء ما تعرض له إبراهيم عليه الصلاة والسلام من رمي في النار وأمر بذبح ابنه، قال تعالى: +فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ "[4].

قال ابن كثير: وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر جلده وصبره وعزمه في صغره على طاعة الله[5].

ب- ومما تعرض له إبراهيم عليه السلام وضع أهله وولده في مكان ناءٍ، روى البخاري عن ابن عباس قال: إن أول من سعى بين الصفا والمروة أم إسماعيل، وإن أول من أحدث من نساء العرب جر الذيول أم إسماعيل قال: لما فرت من سارة أرخت ذيلها لتعفي أثرها، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت، فوضعهما ثم رجع، فاتبعته فقالت: إلى أي شيء تكلنا؟ إلى طعام تكلنا؟ إلى شراب تكلنا؟ فجعل لا يرد عليها شيئًا فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم؟ قالت: إذن لا يضيعنا، قال: فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فدعا فقال: +رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ

---

(1) متفق عليه البخاري فى 3854 واللفظ لمسلم في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي × من أذى المشركين والمنافقين حديث (1794) باب (39) جـ12.

(2) انظر البداية والنهاية 207/4.

(3) انظر البداية والنهاية 337/4.

(4) سورة الصافات، آية: 102.

(5) انظر تفسير ابن كثير عند تفسير الآية 102 من سورة الصافات.

"[1].

قال: ومع الإنسانة شنة[2] فيها ماء، فنفد الماء فعطشت وانقطع لبنها، فعطش الصبي، فنظرت أي جبل أدنى من الأرض، فصعدت بالصفا، فتسمعت هل تسمع صوتًا، أو ترى أنيسًا؟ فلم تسمع فانحدرت، فلما أتت على الوادي سعت وما تريد السعي كالإنسان المجهود الذي يسعى وما يريد السعي، فنظرت أي الجبال أدنى من الأرض، فصعدت المروة فتسمعت هل تسمع صوتًا، أو ترى أنيسًا، فسمعت صوتًا، فقالت كالإنسان الذي يكذب سمعه: صه، حتى استيقنت، فقالت: قد أسمعتني صوتك فأغثني، فقد هلكت وهلك من معي، فجاء الملك فجاء بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم، فضرب بقدمه ففارت عينًا، فعجلت فجعلت في شنها، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عينًا معينًا»[3].

وهذه بعض الصور من الابتلاء التي تعرض لها الأنبياء والرسل، ومع ذلك لم يثنهم ذلك عن الدعوة، وأكتفي بهذا القدر من صور ابتلاء الأنبياء.

3- ومن صور الابتلاء ما تعرض له عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - من مشركي قريش عندما جهر في أنديتهم بسورة الرحمن، فقام إليه المشركون وضربوه، حتى ظهر أثر الضرب على وجهه، ومع ذلك قال لأصحابه: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا، قالوا: لا، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون[4].

4- وما تعرض له أبو ذر - رضي الله عنه - عندما رفع صوته بكلمة التوحيد من ضرب وأذى[5].

5- وتظل قصة خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة من أعجب الحوادث، حيث كان في سرية عاصم بن ثابت بغزوة الرجيع، حيث تبعهم بنو لحيان بين عسفان ومكة، فاقتفوا آثارهم وقاتلوهم، ووقع خبيب بن عدي في الأسر فانطلقوا به، وباعوه بمكة لبني الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد

---

(1) سورة إبراهيم، آية: 37.
(2) قربة.
(3) انظر صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب (يزفون: النسلان في المشي) حديث رقم (3364)، وتفسير الطبري 229/13.
(4) انظر سيرة ابن هشام ص 281.
(5) انظر صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر القفاري، حديث 3861.

قتل الحارث يوم بدر، فخرجوا به ليقتلوه، فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزعًا من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل.

ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبقي منهم أحدًا ثم قال:

فلستُ أبالي حين أقتَلُ مُسلمًا ... علـــى أي جـنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع[1]

6- ولعل ما تعرضت له عائشة - رضي الله عنها - من الإفك العظيم من أشد ما يلقاه الدعاة، حيث شوهت صورتها، وتناقل الناس خبرها حتى تأثر بقوة إعلام المنافقين صحابة أجلاء، ومع ذلك صبرت - رضي الله عنها - حتى برأها الله من هذا الإفك العظيم[2]، وهذا مصير كل داعية فهو معرض للتشويه والإيذاء القوي المركز، فعليه ألا يفتر عزمه، وألا يوقف دعوته بناءً على ما يسمعه أو ما يتعرض له من أذى وسب وشتم، وله فيمن سبق أسوة حسنة، وسأذكر بعض المواقف الإيمانية حتى يزداد الداعية رسوخًا وثباتًا:

7- ثبوت سحرة فرعون على الإيمان عندما تلقوا تهديد فرعون ووعيده بالتعذيب والقتل والصلب، قال تعالى: +وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ "[3].

وقال تعالى: +فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

(1) انظر أصل القصة عند البخاري في كتاب المغازي باب فضل من شهد بدر حديث رقم 3989.
(2) انظر أصل القصة عند البخاري في كتاب التفسير عند تفسير سورة النور حديث رقم 4750.
(3) سورة الأعراف، الآيات: 120-126.

وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ "[1]. +فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ "[2].

يتضح لنا من هذه الآيات الكريمة أن استسلام سحرة فرعون لرب العالمين وإعلان خضوعهم لله تبارك وتعالى وإقرارهم بالوحدانية له كان مفاجأة خطيرة لفرعون، أسقطت هيبته، وهزت سلطانه، وزلزلت عرشه، ولذلك فهو يكاد يتميز من الغيظ، ويحاول السيطرة على الموقف بالمكر والخداع والنفاق واستعمال القوة الغاشمة، فينكر على السحرة مسلكهم ويتهمهم بعدم الإخلاص له والتآمر عليه والخروج عن حدود طاعته، ثم يهددهم بالعذاب والتنكيل بعد التهويل فيما ينتظر من القتل والتصليب، فيتوعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، ثم صلبهم على جذوع النخل، أمثولة وامتهانًا لهم وعقابًا أليمًا، لكي يصبحوا عبرة للآخرين جزاءً على إيمانهم بالله العظيم، قال تعالى: +قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ "[3]. وقال تعالى:+ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾"[4].

(1) سورة طه، الآيات: 70-73.
(2) سورة الشعراء، الآيات: 46-50.
(3) سورة الأعراف، الآيتان: 123-124.
(4) سورة طه، آية: 71.

ولكن السحرة الذين آمنوا بربهم أصبحوا أصحاب عقيدة سليمة، وأصبحت قلوبهم خاشعة للحق عامرة بالإيمان حتى سكب هذا الإيمان الطمأنينة في نفوسهم، ومن ثم لم يكترثوا لتهديد فرعون وتهديده ووعيده، ولم يفزعوا ولم يتزعزعوا ولم يخضعوا له، ولم يختاروه على ما جاءهم من العلم واليقين، بل استعلوا على قوته، واستهانوا ببأسه وبطشه وجبروته، فصدعوا بالحق في وجهه؛ إنهم وجدوا حلاوة الإيمان فكان الله ورسوله موسى أحب إليهم من الدنيا وما فيها، ولهذا فضلوا الثبات على الإيمان مع تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف مع التصليب والعذاب والموت والاستشهاد على العودة إلى الكفر والفسوق والعصيان. قال تعالى: +قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ "[1]، +وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ"[2]، +قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ "[3]، +قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ " [4].

وهكذا واجهت نفوس هذه الفئة المؤمنة الأذى والكرب والضيق والتعذيب، فاستعلوا بقوة العقيدة على ذلك كله، ورغبت قلوبهم في جوار الله تعالى واعتصمت به، ورغبت عما يملك فرعون من الدنيا وزخرفها ومتاعها، ثم ثبتوا صابرين محتسبين على التنكيل والتصليب، فنفذ فرعون ما هددهم به، واتبع في ذلك أشد أساليب العقاب قسوة، وأبعدها عن معنى الكرامة والإنسانية، فقتلهم شر قتلة، ثم صلبهم على جذوع النخل، فماتوا شهداء أبرارًا رضي الله عنهم.

من السنن الربانية الجارية أن يتعرض المؤمنون للأذى والمحن والمكائد لامتحان إيمانهم وتحقيقه ولكشف الصادقين والكاذبين.

8- ولعل البطش بأصحاب الأخدود المؤمنين كان لونًا من تلك الفتنة

(1) سورة الشعراء، آية: 50.
(2) سورة الأعراف، آية: 126.
(3) سورة طه، الآيتان: 72، 73.
(4) سورة الشعراء، الآيتان: 50، 51.

وصنفًا من هذا البلاء، فقد تعرضوا للأذى والموت حرقًا بأيدي أعدائهم البغاة الطغاة المفسدين الذين أرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ويتركوا عقيدتهم، ولكنهم وقفوا بإيمانهم كالجبال الشم، متحدين الطغاة البغاة القساة الشريرين مستعدين لكل شر يصيبهم في سبيل الله على الرغم من أنهم لم يجدوا النصير الذي يساندهم ويدافع عنهم، ولم يملكوا النصرة لأنفسهم ولا المنعة، ولم يجدوا القوة التي يواجهون بها الطغيان، فضحوا بحياتهم راضين، واحتملوا العذاب والألم ثابتين صابرين مطمئنين، من أجل انتصار عقيدتهم ولإيثار رضوان الله تبارك وتعالى على متع الحياة الدنيا الفانية في ظل العبودية، قال تعالى: +وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ" [1].

روى مسلم عن صهيب أن رسول الله × قال: « كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب، وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربوه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا جئت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا جئت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر؟ فأخذ حجرًا ثم قال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فاصبر، ولا تدل علي، فكان

(1)سورة البروج، الآيات: 1-11.

الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من ساتر الأدواء فسمع جليس للملك وكان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال:ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي عز وجل، قال: أو لك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرىء به الأكمة[1]والأبرص وتفعل وتفعل، قال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[2] فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه في البحر، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد قوسه، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثًا، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخدت وأضرم بها النيران، وقال:

(1) الذي يولد أعمى.
(2) السفينة.

من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل: له اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي، فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنك على الحق» [1].

فهذا الحادث كما جاء في القرآن الكريم وكما وصفته السنة حادث بشع مفجع استحق فاعلوه نقمة الله وغضبه ولعنته، فقد بطش هؤلاء الطغاة المتجبرون بالمؤمنين والمؤمنات، واشتدوا في إيذائهم، حتى شقوا لهم في الأرض شقًا عظيمًا كالخندق وملأوه بالحطب الجزل ثم أشعلوا فيه النار وقذفوهم فيها ولم تأخذهم بهم رأفة، وكانوا قاعدين على حافة الأخدود ليتشفوا برؤية ما يحل بالمؤمنين من فتنة النار والحريق، ومع هذا فقد صبر المؤمنون على الأذى ورضوا بعذاب الدنيا عن العودة إلى ملة الكفر والضلال +قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ"[2][3].

9- الشهيد أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن النابلسي تلك القصة التي فيها من العبر الشيء الكثير لمن يعتبر من صبر هذا الإمام وجلده وصدعه بالحق وثباته عند موته.

قال الذهبي:

«قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد، وصلبوه على الأسنة، سمعت الدارقطني يذكره ويبكي ويقول: كان يقول وهو يسلخ: +كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا"[4].

وقال أبو الفرج بن الجوزي: أقام جوهر القائد لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهمًا وفينا تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمي

(1) رواه مسلم كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (3005) 2299/4.
(2) سورة البروج، الآيات: 4-6.
(3) الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم، لعبد الله ميرغني صالح. ص 70.
(4) سورة الإسراء، آية: 58.

العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديًا فسلخه، وبعد السلخ حشي تبنًا وصلب. وسلخ رحمه الله من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر، فرحمه السلاخ فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته آمين[1].

10 - صبر امرأة فرعون على تعذيب زوجها لها:

قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: « إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة، فقالت: +رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ "[2] فكشف لها عن بيتها في الجنة»[3].

فلقد وقفت هذه المؤمنة وقفة ثابت أمام أكبر طاغية عرفته البشرية، وتحملت من الأذى ما لا يستطيعه غالب الرجال، بل وضحت بالمال والملك مقابل دينها.

فتمسكوا يا أهل الإسلام بدينكم، واحذروا من السقوط، وتحملوا ما تحمله الرعيل الأول من الابتلاءات والمحن واعلموا أن للمحن صورًا عدة منها الشائعات - البهتان والظلم والتهم - القدح والاحتقار - التخويف والتهديد -.

وكل ما سبق يا أخي وغيره كثير يعد هينًا في سبيل الله وإرضاءً له وطلبًا لجنته، وما على الشاب إلا أن ينظر في تاريخ الأمة الإسلامية، فترتفع معنوياته بإذن الله - تعالى - وعليه ما يلي:

1- أن يبتعد عن الفتنة بقدر المستطاع.
2- أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.
3- أن يعلم أنه لو ضحى بدينه خوفًا من عذاب الدنيا فإن وراءه عذاب الآخرة +وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ "[4][5].
4- أن يعلم أن هذا الابتلاء ربما كان بسبب ذنوبه فعليه أن يتحمل ما

(1) سير أعلام النبلاء 148/16.
(2) سورة التحريم، آية: 11.
(3) أخرجه أبو يعلي في مسنده 1521/4 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 35/6 برقم 2508.
(4) سورة طه، آية: 127.
(5) ولكن يستثنى المكره المطمئن القلب بالإيمان.

يترتب عليه.
5- اللجوء إلى الله - تعالى - والاعتماد عليه.
6- أن يستن بمن مات وأن يسلي نفسه بذكر ربه.
7- أن يصبر ويحتسب.

* * *

المبحث الثاني

التزعزع عند الفتن، وتأصيل ابن تيمية لها.

يرزق الله الإنسان هذا الدين نعمة منه ومنة من غير سؤال، وكما ثبت عن ابن عمر أنه كان يقول عشية عرفة: «اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك إياه، فلا تنزعه منا ونحن نسألك إياه»[1].

ويظل الناس على هذا الدين، فمنهم من يزداد إيمانه ومنهم من ينقص، ومنهم من لم يدخل الإيمان في قلبه، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئًا فشيئًا إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصلون لا إلى اليقين ولا إلى الجهاد، ولو شككوا لشكوا، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفارًا ولا منافقين، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال، وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم، فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق.

وكذلك إذا تعين عليهم الجهاد ولم يجاهدوا كانوا من أهل الوعيد، ولهذا لما قدم النبي × المدينة أسلم عامة أهلها، فلما جاءت المحنة والابتلاء نافق من نافق، فلو مات هؤلاء قبل الامتحان لماتوا على الإسلام ودخلوا الجنة ولم يكونوا من المؤمنين حقًا الذين ابتلوا فظهر صدقهم».

ثم قال -رحمه الله- «وفي الجملة: ففي الأخبار عمن نافق بعد إيمانه ما يطول ذكره هنا؛ فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان، وهو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على هذا الإسلام الذي يثابون عليه، ولم يكونوا من المؤمنين حقًّا الذين امتحنوا فثبتوا على الإيمان، ولا من المنافقين حقًّا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة، وهذا حال

(1) أورده المحب الطبري في القرى ص 363 بلفظ قريب، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه وابن المنذر، وقال ابن تيمية رواه الطبراني وإسناده جيد انظر شرح العمدة 509/3.

كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان وينقص إيمانهم كثيرًا، وينافق أكثرهم أو كثير منهم. ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبًا؛ وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة.

وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرسول باطنًا وظاهرًا لكن إيمانًا لا يثبت على المحنة.

ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا: (آمنا) فقيل لهم: +قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ "[1].

أي: الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقًا، فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة. ولهذا قال تعالى: +إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ "[2] فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب، والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب؛ بخلاف الشك فإنه لا يكون إلا في العلم، ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علمًا وعملاً؛ وإلا فإذا كان عالمًا بالحق، ولكن المصيبة أو الخوف أورثه جزعًا عظيمًا، لم يكن صاحب يقين. قال تعالى: +هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا "[3][4].

وهكذا نجد بأن هناك من يتزعزع إذا جاءت الفتنة، بل وعنده استعداد ليبيع هذا الدين بأبخس الأثمان، وما علم بأن هذه الأحداث إنما هي من الابتلاءات التي يمحص الله بها عباده، ليميز من خلالها الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب.

ويبرز هذا التزعزع أكثر عندما تكون الجولة للكفار، أو عندما يتآلب أهل الكفر على أهل الإسلام، فلا يفرقون بين مسالم ومحارب؛ فيضعف

(1) سورة الحجرات، آية: 14.
(2) سورة الحجرات، آية: 15.
(3) انظر مجموع الفتاوى 271/7، 281 باختصار.
(4) سورة الأحزاب، آية: 11.

إيمان البعض حتى يؤدي ببعضهم إلى أن يتخلى عن دينه، ويبادر بتغيير اسمه حتى ينجو ويسلم من الأذى، مع أنه في المحن يثبت بعض الضعفاء حتى يتقوا ويضعف بعض الأقوياء حتى ينتكسوا، وما علموا بأن في هذه المصائب لله حكمة، وكما

المبحث الثالث

التزعزع عند الفتن وتأصيل ابن القيم لها:

قال ابن القيم رحمه الله: «إن ما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه عليه وغلبته له وأذاه له في بعض الأحيان أمر لازم لابد منه، وهو كالحر الشديد والبرد الشديد، والأمراض والهموم والغموم، فهذا أمر لازم للطبيعة الإنسانية، لأن الخير لو تجرد في هذا العالم عن الشر لكان هذا عالمًا آخر تفوت بموجبه الحكمة التي مزج لأجلها بين الخير والشر، وما علموا بأن هذا الابتلاء بغلبة العدو وقهره للمؤمن وكسره له أحيانًا من أجل حكمة عظيمة لا يعلمها إلا الله ولعل منها:

1- استخراج عبوديتهم لله وافتقارهم إليه وانكسار له؛ بسؤاله نصرهم على عدوهم، فلو كانوا دائمًا منتصرين لبطروا وأشروا، ولو كانوا دائمًا مقهورين لما قامت للدين قائمة، فجعلهم الله يومًا غالبين يقيمون من خلاله الدين وشعائره، وإذا كانوا مغلوبين تضرعوا إليه وطلبوا منه النصر.

2- لو كانوا دائمًا منصورين لدخل معهم من ليس قصده الدين، فيجعل الله ذلك حتى يتميز من يريد الله ورسوله ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه.

3- أن امتحان المؤمنين بانهزامهم من عدوهم فيه تمحيص وتهذيب واختبار لمدى صدق إيمانهم، لأن من قال: آمنت فلابد أن يمتحنه الله - عز وجل - ويبتليه ليتبين هل هو صادق فيثبت على قوله، أو كاذب فيرجع على عقبيه فيفر من عذاب الناس ليقع في عذاب الله، حتى يمتحن في الآخرة بالعذاب ويفتن به.

فلابد من حصول الألم والمحنة لكل نفس، أحسنت أو كفرت.

كما بين -رحمه الله- بأن الإنسان عليه أن يعلم أنه يعيش بين أناس مختلفة أديانهم متباينة مشاربهم، حيث قال: «بأن الإنسان مدني بالطبع لابد أن يعيش مع الناس، وهناك من لهم إرادات واعتقادات مخالفة للمؤمن، فيطلبون منه الموافقة عليها، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر، وفي النهاية بأنه لا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أهون وأيسر من الألم المترتب على موافقتهم، وله العاقبة إن صبر واتقى، وإن وافقهم فسوف يناله من الألم أضعاف ما ناله من اللذة في

موافقتهم[1].

إن الله - عز وجل - يتعاهد أهل الإيمان بهذه الابتلاءات والمحن حتى لا يركنوا إلى الحياة الدنيا ويطمئنوا بها ويفتنوا بها، وينشغلوا بها عن الآخرة، بل لابد من منغصات ومكدرات تعيدهم إلى جادة الصواب فيتضرعوا إلى الله، فالكدر والضيق في الدنيا حاصل لأهل الإيمان ولأهل الكفر.

جبلت على كدر وأنت تريدها صفوًا من الأقذار والأكدار

ومكلف الأيـــام ضد طباعها متطلب بالماء جـذوه نـــار طباعها

أما في الآخرة فالسعادة لأهل الإيمان، والشقاء للكفار.

مواقف ثبات في المحن:

إنك لتعجب من ثبات بعض الكفار على كفرهم وأهل الباطل على باطلهم مهما نالوا من تعذيب وأذى، مع أنهم على باطل يعلمونه بقراره أنفسهم، بعكس بعض أهل الإسلام الذين لا يقفون أمام محنة ولا يثبتون أمام فتنة، وإلا فغالب أهل الإسلام أهل ثبات، وأهل يقين وثقة بالله، ولعلي أذكر هنا قصة لإحدى الثابتات - من المؤمنات - نحسبها والله حسيبها وهي امرأة فرنسية اسمها «كاترين مورا»، حيث أسلمت وتحول اسمها إلى «جميلة عبد الله» وهي أستاذة جامعية في إحدى الجامعات الفرنسية، أذكر هنا من كلامها ما يناسب موضوعنا، حيث قالت في لقاء معها:

«إن منع ارتداء الحجاب في المدارس والجامعات مساس صفيق بحرية الإنسان، إن الذي جرى لم يكن قانونًا عاديًا، كان مؤامرة حقيقة ضد الوجود الفاعل للإسلام على الأراضي الفرنسية، حيث ظلت الحركات اليهودية واليمينية تعتبره خطرًا.

لقد تعرضت للطرد التعسفي من الجامعة بسبب الحجاب، حتى أن مدير الجامعة (البروفسور) طلب مني نزع الحجاب مقابل حوافز جديدة، لكني رفضت ذلك، إن الأمر إهانة لي ولديني أن يساومني أحد على حجابي، إن الحجاب ليس مجرد رداء وغطاء للرأس[2] أنه فكر ليس مجرد لباس، بل

---

(1) انظر إغاثة اللهفان 2/544-569 باختصار وتصرف. وأنصح بقراءته لما فيه من الفوائد الجمة التي ينتفع بها المؤمن خاصة في هذا الوقت.

(2) الصحيح أنه لا يكفي تغطية الشعر فقط، بل لابد من ستر الوجه.

هو قناعة ويقين جعلني أشعر لأول مرة بكياني كإنسانة لها كرامتها ووجودها، كيف يساومني عليه؟ هناك مجموعة من النساء اخترن ترك أعمالهن ودراستهن على ترك حجابهن، لأن هذه قناعة لا يمكن المساومة عليها مهما كان الثمن، إن لدينا يقينًا بالإسلام، ليس لأحد أن يمنعنا من الصلاة في المساجد، وليس لأحد حق أن يمنعنا من ارتداء الحجاب، وليس لأحد حق في أن يمنعنا من القيام بواجباتنا وفق ما يمليه علينا ديننا من احترام الآخرين وعدم المساس بهم أو تحقيرهم، نعم أنا معك في أننا نعيش حربًا حضارية خطيرة على العالم لأجل فرض الصهيونية المسيحية كلغة سياسية ودينية دولية، إن ما يجري في العراق وفي فلسطين وفي العديد من الدول يعري العورات الإمبريالية، ولهذا كلما كانت حربهم علينا كان يقيننا وإيماننا قويًّا بأننا على حق وأن الله - عز وجل - سينصرنا على القوم الظالمين.

كنت أسأل نفسي دائمًا: ما الحل؟ الآن لم أعد أسأل نفسي ما الحل؛ لأني أعرف أنني اخترت الحل الذي وجهني الله إليه، صدقيني حين أرى إنسانًا يلهث خلف ملذات الحياة أشفق عليه، لأنني أعرف أنهم يعيشون ضياعًا نفسيًّا ووجدانيًّا، أحزن لأجلهم وأتمنى أن أساعدهم للاقتناع أولاً بما أنا مقتنعة به، أقول لهم دائمًا: انظروا إلى الإسلام لم يفقدني شيئًا بل أعطاني كل شيء، الحمد لله على هذا[1].

فانظر إلى هذه المرأة كيف ثبتت على دينها ورفضت التنازل والإغراءات، وفضلت مغادرة هذه الجامعة، على أن تتخلى عن الحجاب مع أنه قد وجد من تساهل في هذه القضية ورخص بنزعه بحجة الحاجة؟!!

إنني أذكر هذا النموذج الحي حتى يعلم أعداء الدين بأن مثل هذه الفتاة الفرنسية التي اعتنقت الدين بعد الكفر قد شعرت بعظمه، فمن ولدوا على الإسلام أشد ثباتًا بإذن الله وسوف يظل الإسلام شامخًا ثابتًا محفوظًا بحفظ الله، ومن زاغ فإنما ظلم نفسه.

(1) انظر ملحق جريدة الجزيرة (صفحة حوارات) العدد 137 ص25 الصادرة في يوم الثلاثاء 1426/6/20هـ.

المبحث الرابع
(عدم التضحية في سبيل الدين)

قال ×: «إنك لن تدع شيئًا لله - عز وجل - إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه»[1].

هناك من يلتزم ولا يريد أن يدفع لذلك ثمنًا أو يضحي ببعض رغباته ليحافظ على دينه وينصر إسلامه.

1- إن التضحية من أجل الالتزام شيء مهم ولابد منه، وعلى الشخص الملتزم ألا يبالي بأي ثمن يدفعه من أجل المحافظة على التزامه مهما كان غاليًا، فهذا صهيب - رضي الله عنه - يدفع ماله لقريش ليفسحوا له المجال للحاق برسول الله ×، فكان جزاؤه أن رفع الله ذكره في العالمين وأنزل فيه قرآنا يتلى إلى يوم الدين +وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ "[2][3].

2- إن على المسلم أن يعلم أن سلعة الله غالية كما قال ×: « ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هي الجنة»[4].

قال ابن القيم - رحمه الله -:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة ... بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن ليس ينالها ... في الألف إلا واحد لا اثنان

يا سلعة الرحمن ماذا كفؤها ... إلا أولو التقوى مع الإيمان

يا سلعة الرحمن أين المشتري ... فلقد عرضت بأيسر الأثمان

يا سلعة الرحمن هل من خاطب ... فالمهر قبل الموت ذو إمكان

---

(1) أخرجه أحمد في المسند رقم 23074 وصححه شعيب في الموسوعة الحديثية للمسند 170/38.
(2) سورة البقرة، آية: 207.
(3) أسباب النزول للسيوطي ص53.
(4) أخرجه الترمذي في 2450 وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي 587/2.

يا سلعة الرحمن كيف تصبر الـ عشاق عنك وهم ذوو إيمان
يا معرضًا عما يراد به وقد جد المسير فمنتهاه دان
فاتعب ليوم معادك الأدنى تجد راحاته يوم المعاد الثاني[1]

3- وهنا يسأل سائل فيقول: وما الضرائب التي يمكن أن أدفعها ثمنًا لهذا الالتزام؟ فأقول من أهمها التخلص من أصحاب السوء.

لا تصحب الكسلان في حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرمال فيخمد

وقال آخر:

أحب من الإخوان كل مواتي وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أريده ويحفظني حيًّا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليتني قد وجدته لقاسمته مالي من الحسنات
تصفحت إخواني وكان أقلهم على كثرة الإخوان أهل ثقات

4- هناك من الجلساء من يأنس الجليس بمجالسته لطرافته وظرافته وحلاوة كلامه، وجميل منطقه، ولكن هذا الجليس لا يعين على الخير، ولا يحث عليه، فلا خير يرجى في مجالسته، ولا فائدة من منادمته.

فهنا تأتي التضحية لترك مثل هذا الشخص حتى لو حزنت لمفارقته فلا تبأس؛ لأن مفارقة الدين أشد وأنكى.

5- إن أصدقاء السوء يسخرون منك ومن دينك ويضلونك، فلا تقع فيما وقع فيه من قال الله عنه: +وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا"[2].

(1) انظر شرح القصيدة النونية 441/2.
(2) سورة الفرقان، الآيات: 27-29.

أورد ابن الجوزي في تفسير هذه الآية ثلاثة أسباب لنزولها:

الأول: أن أبي بن خلف كان يحضر عند رسول الله × ويجالسه من غير أن يؤمن به، فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس.

الثاني: أن عقبة دعا قومًا فيهم رسول الله × لطعام فأكلوا، وأبى رسول الله × أن يأكل وقال: «لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله»، فشهد بذلك عقبة، فبلغ ذلك أبي بن خلف وكان خليلاً له، فقال: صبوت يا عقبة؟ فقال: لا والله، ولكنه أبى أن يأكل حتى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآية. قاله مجاهد.

الثالث: أن عقبة كان خليلاً لأمية بن خلف، فأسلم عقبة فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تبعت محمدًا، فكف وارتد لرضى أمية، فنزلت هذه الآية. قاله الشعبي.

فأما الظالم المذكور ههنا فهو الكافر، وفيه قولان، أحدهما: أنه أبي بن خلف. رواه العوفي عن ابن عباس، والثاني عقبة بن أبي معيط، قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة.

ومعنى +يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ" أي: اتبعته فاتخذت معه طريقًا إلى الهدى، + + لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا " في المشار إليه أربعة أقوال، أحدها: أنه أبي بن خلف قاله ابن عباس. الثاني: عقبة بن أبي معيط قاله أبو مالك.

الثالث: الشيطان، قاله مجاهد. الرابع: أمية بن خلف، قاله السدي.

قوله تعالى: +لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ" أي: صرفني عن القرآن والإيمان بعد إذ جاءني مع الرسول +وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا" أي: الكافر + خَذُولًا" يتبرأ منه في الآخرة»[1].

ومهما كان الأمر فيمن نزلت فإنها عامة لكل صديق أو صاحب آثر صاحبه على مرضاة الله، فالمؤمن الحق يقدم مرضاة الله تعالى على أهوائه وأحبائه، وأصدقاء السوء لهم آثار عظيمة، وتبرؤهم من أصحابهم يوم القيامة

(1) انظر زاد المسير لابن الجوزي عند تفسير الآيات 27-29 من سورة الفرقان 85/6.

معلوم ومشهود، بل جعل الله العداوة يومئذ، بينهم قال تعالى: +ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ"[1] إن على الشخص العاقل أن يبتعد عن هؤلاء الأصدقاء السيئين، وأن يضحي بصداقتهم من أجل التزامه، وأن يعلم مصير هؤلاء يوم القيامة وما يكون عندهم من الحسرة والندامة، وقد حكى الله لنا في القرآن الكريم عن أحد هؤلاء الذي كاد أن يضله صاحبه فقال سبحانه: +قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ"[2].

فهذا القرين كاد أن يتأثر بقرينه، وكاد أن يرديه لولا رحمة أرحم الراحمين، إن صديق السوء يريدك أن تظل مثله فلا يريد لأحد مزية عليه، إنه يسوؤه أن تسلك هذا الطريق وهو لم يسلكه، فيحسدك عليه ويحرص على حرمانك منه ويبذل جهده لصدك عنه.

6- يقول لي أحد الشباب: إن قريبًا له كان ممقوتًا عند زملائه يتندرون منه ويلقبونه (بمفسد الكيف) فهو يفسد جلساتهم ويعكر صفو حياتهم يعطونه مواعيد فيخلفونها لينفروه منهم ويبذلون ما في وسعهم لإبعاده عن مجتمعهم، وإذا اتصل بهم اعتذروا له، فامتدت له يد حانية ودعته لطريق الهداية وكان يتحرى هذه الفرصة ويتمناها فالتزم.

وعندما علم أصدقاؤه بالتزامه تغير حالهم معه، وعادوا لزيارته، وبادروا بدعوته، وعرضوا عليه السفر معهم، بل إن أحدهم أقسم وهو كاذب أن جلساتهم لا تحلو بدونه.

حتى قال أحدهم: إذا لم يحضر فلان فلن أحضر، فأثروا على فكره، واستأنس لهذا الحب الكاذب فما كان منه إلا أن انحرف معهم ولما تأكدوا من صدق انحرافه عادوا إلى مقاطعته وعاملوه كما كانوا في السابق.

إنني أتساءل لماذا تغيرت أحوالهم معه عندما التزم؟ إنه كرههم له، فهم يرون هدايته رفعة له، وأنه بهذا يسبقهم إلى هذا الخير، فيحاولون بشتى

(1) سورة الزخرف، آية: 67.
(2) سورة الصافات، الآيات: 51-57.

الطرق ثنيه عن هذا السبيل، ومثل هذه القصص كثيرة.

حكي لي شاب عن زميله: أن رفاقه لا يرغبون أن يذهب معهم للمباريات؛ لأنهم لا يحبونه وعندما التزم بدؤوا يعرضون تذاكر المباريات عليه مجانًا، بل عرض عليه أحدهم أن يقوم بخدمته وذلك بأخذه معهم وإعادته بسيارته الخاصة.

7- وهناك من الشباب من لا يريدون أن يخسروا صديقهم ويعلمون أن التزامه سبب لحرمانهم منه، لذا يبذلون ما في وسعهم وطاقتهم لصده عن سبيل الله، وبعضهم يستخدم أساليب ماكرة يحاولون بها استغلال عاطفة زميلهم الذي هجرهم فيقولون: هل أصبحنا كفارًا؟ هل نحن فساق؟ وهكذا من الأساليب التي يحار فيها الشاب، إن السير مع أصحاب السوء له ثمار سيئة منها:

1- حرمان صاحبه من مجالسة أهل الخير.
2- حرمان صاحبه من طلب العلم وحفظ كتاب الله.
3- حرمان صاحبه من زيادة الإيمان.
4- تشويه السمعة.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

5- التأخر عن الصلوات وربما هجرها بالكلية.
6- تعرض صاحبه للسقوط في بعض البلاء، كشرب الدخان وتناول المخدرات والسرقة والفواحش.
7- تأخره الدراسي وتخلفه في هذا المضمار.
8- الحرمان من لذة العبادة.
9- قسوة القلب ونقص الإيمان وسوء العاقبة في الآخرة.
10- حرمان الرزق.
11- عقوق الوالدين.
12- إيذاء الجيران.
13- إضاعة الوقت والمال فيما لا ينفع.
14- التسكع في الشوارع والمعاكسات.
15- الانحراف الخلقي.
16- المشاجرات والمشاحنات.
17- التفحيط وأذى المسلمين... وغيرها كثير مما يعرفه عقلاء الناس.

فالله الله بمجالسة الأخيار والصبر عليهم تنفيذًا لأمر الله لنبيه ×، قال الله تعالى: +وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا "[1].

* * *

(1) سورة الكهف، آية: 28.

المبحث الخامس

الخجـــل من الناس

هناك من الملتزمين من يتأثر بمواقف معينة فيترك الالتزام بسببها، وعندما يناقش يقول: إنني أرغب في العودة إلى هذا الطريق، ولكنني أخشى من أن يصفني الناس بالتذبذب، ولا أملك الشجاعة على المواجهة.

إن الخوف من نظرات الناس عقبة كؤود تمنع كثيرًا من المنتكسين من العودة إلى الالتزام.

كان هناك أحد الشباب المتحمسين لهذا الدين، وكان يملك الغيرة عليه والنشاط في طلب العلم، وسألت عنه جيرانه لأعرف مدى تمسكه فأخبرني أحد كبار السن أنه يسابق المؤذن في الحضور إلى المسجد في صلاة الفجر، ثم تعرف على أصدقاء سيئين حالوا بينه وبين الاستمرار في هذا الطريق، فلما رأيت عليه التغير زرته وناقشته، فقال: إنني أرغب العودة إلى هذا المجتمع الطاهر، ولكن ماذا أفعل لأهلي وأصدقائي الذين كنت أنهاهم عن المعاصي والمنكرات ثم أصبحت أمارسها معهم؟ فكيف أعود وأنهاهم من جديد؟ بأي وجه أقابلهم؟ لا يمكن أن أعود إلى هذا الطريق الذي سيعرضني لمثل هذه الإحراجات، ولا يمكن أن ألتزم ثم لا آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر، فأرجوك أن تتركني على هذا الحال الذي أعيشه. فقلت له: أتحرم نفسك من هذا الطريق خشية من كلام الناس؟ هل تظن الناس سيتركونك على حالك؟

عندما تركت الالتزام فقد وصفوك بالمتذبذب، إن الملتزم والمنتكس لن يسلم من كلام الناس ولن يخلو من أمرين:

أ - عندما تترك الالتزام فسوف يصفك أهل الخير وأصدقاؤك القدامى بالمتذبذب، ولا أظن كلامهم هذا إلا عقوبة عاجلة، والله أعلم بالآجلة.

ب - عندما تعود للحق الذي فزعت عنه فسيلمزك أهل السوء وسيصفونك بالمتذبذب، فاصبر على قولهم فإنه لك ابتلاء. ولكن صاحبنا منعه حياؤه المزعوم من العودة إلى الحق، نسأل الله لنا وله الهداية.

إننا بهذا نخلص إلى أن هذا عائق، ولكنه عائق وهمي؛ فمن الذي يسلم من كلام الناس؟ فخالق الناس لم يسلم من أذاهم ومن سبهم قال × -: «قال

الله تعالى: يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني»[1].

وقال - × -: « يؤذيني ابن آدم بسب الدهر، وأنا الدهر»[2]. فكيف بك أيها العبد الضعيف؟ أتترك الالتزام بسبب هذا؟ إنك مخطئ ولا شك فصحح خطأك، ولا تتماد في غيك، فإن الاعتراف بالخطأ خير من التمادي في الباطل.

وعليك يا أخي أن تستحيي من ربك حق الحياء، وألا تجعل الحياء من الناس سببًا في انتكاسك وتركك لطريق الالتزام، ولتعلم أن الله أحق أن يستحى منه. علمًا بأن هذه الأشياء لا توصف بالحياء لأن الحياء شعبة من شعب الإيمان ولا يأتي إلا بخير.

المبحث السادس

استعجال النصر وانتظار قطف الثمر

هناك من يسلك هذا الطريق ويقول: إذا كان هذا الطريق الذي ارتضاه الله لعباده فلابد أن يكون النصر حليفه، ولكن هذا النصر يحتاج إلى صبر، وهو كما قال، وقوله هذا يُعد من استعجال النتيجة، وعليه يعلم أن المعركة بين الحق والباطل قد تطول، ولكن النهاية تقول: النصر لأهل الحق، قال تعالى: +أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ"[3].

إن الرسول × وأصحابه صبروا على الأذى ثلاث عشرة سنة حتى أسسوا لهم دولة في المدينة، واستمروا عشر سنين حتى أقاموا بنيانها وهو النبي الملهم المسدد، فما بالك بمن ضعف إيمانه وخارت قواه.

إن الصبر وعدم استعجال النتائج من الأمور المهمة لمن يسلك طريق الدعوة، فالله أمر نبيه بالصبر فقال: +فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) حديث رقم (3193).
(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (وما يهلكنا إلا الدهر) حديث رقم (4826).
(3)سورة البقرة، آية: 214.

سَنَسْتَعْجِلُ لَهُمْ "[1]، فهذا نوح صبر ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعو قومه سرًّا وجهرًا ليلاً ونهارًا، ومع هذا كله وجد منهم السخرية والاستكبار، ولم يقنط بل صابر وجاهد وتحمل جميع تبعات هذه الدعوة، +قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا"[2].

إن العاقبة للمتقين، والتمكين في نهاية المطاف لأهل الإيمان والدين، فلا بد من تضحيات، ولا يمكن لأهل الإسلام أن يروا جميع هذه النتائج، أو أن يحصلوا عليها بين عشية وضحاها، ولن تتحقق هذه النتائج بدون جهد وعمل. ولابد أن يعرفوا أن الكرب من علامات الانفراج.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

إن فرج الله تعالى يكون بعد شدة الكرب: +حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ "[3].

فحري بالمسلم إذا تأخر النصر أن يلوم نفسه ويقول: إنما أتي الإسلام من قبلي، فلا يتذمر ولا يلقي باللائمة على غيره.

إن على المسلم إذا تأخر النصر أن يلجأ إلى الله لا أن يترك طريق الالتزام +أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ "[4]، ليس من شرط نجاح الداعية أن يرى نتائج دعوته وثمار زرعه، فهو لم يزرع ليجني وإنما ليجني الإسلام وهذا هو المهم.

(1) سورة الأحقاف، آية: 35.
(2) سورة نوح، الآيات: 5-9.
(3) سورة يوسف، آية: 110.
(4) سورة النمل، آية: 62.

إن هداية الناس أمر محبب، لكنه ليس بأيدي الدعاة +﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ "[1]، +إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ "[2]، +فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا"[3].

إن استبطاء النصر سبب مباشر في انتكاس عدد من الدعاة وغيرهم، وقد لام رسول الله × أصحابه على استعجال النصر، كما في حديث خباب قال: « أتينا رسول الله × وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فشكونا إليه فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فجلس محمرًا وجهه فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون»[4].

إن على الداعية أن يصبر حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويجني قطافها وأجره إن كان مخلصًا محفوظ عند الله، فقد يموت قبل النبت والنمو أو الحصاد، وماذا يضيره ذلك؟ أيريد أن تكون جميع الانتصارات وهو على قيد الحياة؟ هذا لم يتأت لنبينا محمد × فما انتصر الإسلام على الفرس والروم إلابعد وفاته ×.

إن ساعة النصر قريبة، قريبة فأبشروا وأملوا، ومن هنا لابد أن أقول كلمة عن حقيقة النصر لأزيد الموضوع وضوحًا.

إن على المسلم ألا يحزن لتأخر النصر، وليعلم أن هذا التأخر ابتلاء من الله فلا ينتكس ولا يغير ولا يبدل بسبب هذه الحجة +ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ"[5].

---

(1) سورة البقرة، آية: 272.
(2) سورة القصص،آية: 56.
(3) سورة الكهف، آية: 6.
(4) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (3416) وقد ذكره البخاري في مواضع أخرى في صحيحه. وهذا لفظ أبي داود حديث رقم (2649).
(5) سورة محمد، آية: 4.

ومن أسباب تأخر النصر:

أن تأخر النصر اختبار من الله ليعلم مدى صبرنا ومدى جلدنا، فسن بنا سنن من كان عندما أخر عنهم النصر اختبارًا لهم وامتحانًا. +أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ"[1]، فهذه بشرى خير، فالله بين أن نصره قريب، فلتهنأ النفوس المؤمنة، فقد وعدها الله بالنصر +وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا"[2]، لقد ألزم الجبار نفسه بنصر المؤمنين +وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ"[3]، إن نصر المؤمنين لابد آت +إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ "[4]، إن وعد الله لآت لأهل الإيمان +وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا "[5]، +كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ "[6]، +وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ "[7] إن الإسلام سينتصر، وسيصل إلى المشارق والمغارب يقول ×

كما عند مسلم: « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» [8] أبشروا يا أمة الإسلام، اهنؤوا يا أحفاد الأبطال، أملوا يا ليوث الإسلام، وانتظروا يا فهود الإيمان، دينكم

(1) سورة البقرة، آية: 214.
(2) سورة الإسراء، آية: 51
(3) سورة الروم، آية: 47.
(4) سورة غافر، آية: 51.
(5) سورة النور، آية: 55.
(6) سورة المجادلة، آية: 21.
(7) سورة الصافات، الآيات: 171-173.
(8) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب (هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض) حديث رقم (2889).

سيبلغ ما بلغ الليل والنهار +وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ"[1] فهذا قول نبيكم × كما عند ابن حبان بسند صحيح:« ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًّا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر»[2]، إنها علامات نصر وانفراج أزمة، فكن أخي ممن شاركوا في بناء النصر، وساهموا في حصوله ونالوا قطافه، ولا تكن ممن يئسوا من تأخر النصر فجفلوا عند اشتداد الكرب ولكنهم أشركوا أنفسهم عندما انتصر أهل الإسلام وجاءت الغنائم +وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَ لَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ "[3] ولا يكن حالك كحال المخلفين الذين كل همهم نيل الغنائم وحصد الأموال، فهذه مشاركتهم عند الانتصار +سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ۖ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا "[4] فلا تتراجع عن طريق الحق استبطاء للنصر، فلقد وعد الله محمدًا بالنصر فاحظ بهذا النصر العزيز والفوز المبين +وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا "[5].

ليعلم الله مدى ثباتك ومدى تمسكك، ليعلم هل أنت ممن ينجرف وراء هذا التيار ويتبع الغالب من الناس فلم يعض على دينه بالنواجذ.

سوف ننال النصر متى نصرنا الله وبذلنا الغالي ليعلو دينه على ما سواه +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ "[6] فإن حققنا الشرط نلنا المشروط، - بإذن الله - لا تظن أن

(1) سورة الروم، آية: 6.
(2) انظر مسند الإمام أحمد حديث رقم (16957)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 7/1، وقال عنه شعيب إسناده صحيح على شرط مسلم. انظر الموسوعة 155/28.
(3) سورة العنكبوت، آية: 10.
(4) سورة الفتح، آية: 15.
(5) سورة الفتح،آية: 3.
(6) سورة محمد، الآيتان: 7، 8.

الكافرين سينالون الغلبة أو يظفرون بنتيجة، فالخسارة عليهم فادحة والغلبة عليهم حاصلة +وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا "[1] فالباطل مدموغ بإذن الله والحق له دامغ لا يشك به أولو الألباب +بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ"[2].

العاقبة للمتقين، والغلبة لأولي الديانة والنهى، فلنصدق القرآن، ولنتبع وصايا خير الأنام، ولنتجنب ما جاء به أهل الخذلان أهل التثبيط والخسران، لا تجعل تأخر النصر سببه غيرك فتترك من أجله دينك، +وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ"[3]. +مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ"[4]، +وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ"[5]، +أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ "[6] فسر على الدرب ولا تتراجع عنه حتى يحكم الله بالحق وهو خير الحاكمين +وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ"[7]، +وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ "[8].

+فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" فلا تحزن أخي ولا تيأس، +وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ

(1) سورة النساء، آية: 141.
(2) سورة الأنبياء، آية: 18.
(3) سورة الشورى، آية: 30.
(4) سورة النساء، آية: 79.
(5) سورة الروم، آية: 36.
(6) سورة الشورى، آية 34.
(7) سورة يونس، آية: 109.
(8) سورة الأنعام، آية: 34.

قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ "[1] فسوف تسعد بنهاية أهل الباطل، فمآلهم مآل أسلافهم في السابق +لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "[2] +وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ "[3] سوف ترى أهل الباطل ينهزمون، ومن أهل الإسلام يفرون، +قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا "[4] سوف تقف أمامهم الأحجار والأشجار وتقاتلهم مع أهل الإسلام، ففر أخي المسلم إلى الله تعالى +فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ "[5] وقل أخي: +رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ "[6] ولا تحزن مما يصيبك عند لقائهم +إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ "[7] فلا تظن أهل الباطل يسعدون بما ينالكم من خير +إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا

(1) سورة آل عمران، الأيات: 139-141.
(2) سورة يوسف، آية: 111.
(3) سورة النور، آية: 34.
(4) سورة الأحزاب، الآيتان: 16 – 17.
(5) سورة الذاريات، آية: 50.
(6) سورة آل عمران، آية: 147.
(7) سورة آل عمران، آية: 140.

يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ "[1].

1- قد يبطئ النصر بسبب النزاع بين الدعاة فعليهم أن ينبذوا النزاع والشحناء بينهم حتى يتحقق الوعد الحق، +وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ"[2] إن أهل الباطل إذا اتحدت صفوف المؤمنين خارت قواهم، وانهدم بنيانهم، وسقطت أركانهم فتحصنوا في البنيان وما ظنوا أن يأتي أمر الديان +مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ "[3].

وأختم بهذا الوعد الرباني +حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ"[4].

فهذا وعد من الله، فإذا سئلت متى النصر؟ +وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا "[5]. فالنصر قريب، فاصبر فنصر الله قريب، وفرجه وشيك، فاطمئن وأمل خيرًا.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

* * *

(1) سورة آل عمران، آية: 120.
(2) سورة الأنفال، آية: 46.
(3) سورة الحشر، آية: 2.
(4) سورة يوسف، آية: 110.
(5) سورة الإسراء، آية: 51.

الفصل السابع
دور الأسرة في الانتكاس

وفيه مباحث:
المبحث الأول: عدم تحمل ضغط الأهل.
المبحث الثاني: دور الآباء في ضياع بيوتهم.
المبحث الثالث: اللامبالاة من الآباء ودورها في الانتكاس.
المبحث الرابع: عدم معرفة الآباء للطرق التربوية في التعامل مع الأبناء.
المبحث الخامس: دور الزوج في انتكاس الزوجة.
المبحث السادس: دور الزوجة في انتكاس الزوج.

المبحث الأول
عدم تحمل ضغط الأهل

وهذا السبب قد يكون من أهم الأسباب التي تؤدي إلى انتكاسات الشباب؛ لأن العاطفة الخاطئة التي تصدر من الآباء والأمهات تنجح كثيرًا في صد أبنائهم عن الالتزام، ومن يعمل في مجال الدعوة لا يسلم غالبًا من ضغوط الأهل لصده عن سبيل الحق، وخاصة في بداية التزامه وأسباب هذه الضغوط كثيرة منها:

أ- الخوف على الأبناء، وهذا الخوف غالبًا ما يكون وهميًا لا حقيقة له، وعندما تسأل الأب ما هو الشيء الذي تخاف على ابنك منه؟ تجده يحار في الجواب.

وقد يكون مصدر هذا الخوف ما يتعرض له الدعاة إلى الله من ابتلاء

وأذى، ولا يريد الأهل لأبنائهم مثل هذه الأمور.

ب- قد يكون الأب أو القريب صاحب معاص وشهوات، وعندما يلتزم الابن سوف يحول بين والده وبين ما يشتهي من مجون.

جـ- خوف الأب على مستقبل ابنه العلمي والدراسي لظنه أن الدعوة ستحول بين ابنه وبين هذه الأمور، وما علم هذا الأب أن التقوى سبب للرزق والتفوق بإذن الله +وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ "[1]، +وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ" [2].

والواقع يشهد بذلك، حيث تجد أكثر المتفوقين في المدارس من أصحاب الالتزام والصلاح، ولله الحمد والمنة.

د- الحسد، وقد يستغرب القارئ هذا العنوان وأقول له: لا تعجب، فإن الحسد شر ووبال، وحسد الأقارب معروف ومشهور، ولكي أقرب هذا المفهوم إلى الذهن أقول: عندما يرزق الإنسان بأمور دنيوية من مال ومنصب وجاه يكون عرضة للحسد والغيرة، وخاصة من قرنائه وأقاربه وهذا أمر لا جدال فيه.

فإذا اتفقنا على ما سبق، فلابد أن نعلم إذًا أن الهداية والالتزام والعلم والفقه أمور محمودة وصاحبها يشار إليه بالبنان؛ لذا فإنه عرضة للحسد أكثر من غيره، فلماذا نستغرب الحسد من القريب لقريبه في أمر ديني ولا نستغربه في أمر دنيوي. إن ابن آدم الأول عندما حسد أخاه لم يحسده لأمر دنيوي بل لأمر ديني، حيث تقبل الله من أخيه ما لم يتقبل منه هو فحسده على هذا القبول عند الله فقتله.

وهذا الحسد يصدر غالبًا من الإخوة والأقارب، أما من الآباء والأمهات فلا أتصوره.

وما قصة يوسف عليه السلام إلا دليل وما حصل له من إخوته إلا برهان أكيد، وكذا حسد ابن آدم لأخيه كما في سورة الأنعام.

ومصدر هذا الحسد أن بعض الأقارب يخشى أن تكون عالمًا بارزًا مقدمًا في المجالس وهو نكرة لا يعرف، لذا فلابد أن يحول بينك وبين هذا التمييز.

إن التاريخ مليء بقصص وحوادث وأخبار من تحملوا هذه الضغوط

(1) سورة البقرة، آية: 282.
(2) سورة العنكبوت، آية: 69.

وصابروا عليها تمسكًا بدينهم.

1- ولعل من أجل هذه الأمثلة وأبرزها قصة نبي الله إبراهيم - عليه السلام - حيث واجه ضغوطًا من والده وقومه لمنعه من نشر الدعوة والتمسك بها ولكنه رفض الرضوخ لهذه الضغوط، واستمر على منهجه مضحيًا بنفسه وماله من أجل دينه، لذا أثنى الله عليه فقال: +قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ "[1].

فلم ينجح والد إبراهيم وقومه في صده عن هذا الطريق بل إنه بذل الجهود لدعوتهم للتوحيد وعبادة الله تعالى، قال تعالى: +وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا"[2].

إن البيئة الفاسدة لم تمنع إبراهيم من التمسك بدينه والمحافظة عليه، بل بدأ يخص والده بالدعوة مع تهديده به بالطرد +۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ "[3].

(1) سورة الممتحنة، آية: 4.
(2) سورة مريم، الآيات: 41-48.
(3) سورة الأنعام، آية: 74.

أخي الحبيب، هل خارت قوى إبراهيم عند الشدائد؟ هل ضعف إيمانه؟ لا بل واصل المسير وتحمل الكثير من أجل هذا الدين بل وقدح في معبودات قومه +إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ "[1] لابد أن تعرف أن الأب يجب ألا يطاع في معصية الله، وألا يرضى المخلوق في غضب الخالق مهما كان هذا المخلوق، إن رضى الله هو مطلب كل إنسان عاقل.

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

وقد يقف قارئ فيقول: أتقارننا بالأنبياء؟ فأقول: لا، ولكن نأخذ منهم العبر والدروس، لقد جعل الله إبراهيم والذين معه أسوة حسنة يحتذي بهم كل مسلم.

2- آسية ملكة مصر حين أوتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة، فقالت: +رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ "[2]، فكشف لها عن بيتها في الجنة[3].

3- قال سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -: «نزلت فيَّ هذه الآية: +وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا "[4] فقد كنت برًا بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت لتدعنه أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه، قال: فقلت لا تفعلي يا أماه إنني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يومًا وليلة لا تأكل ولا تشرب، وأصبحت وقد جهدت، فلما رأيت ذلك قلت، يا أماه، تعلمين والله لو كان لك مئة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني،

(1) سورة الصافات، الآيتان: 85 – 86.
(1) سورة التحريم آية: 11.
(3)أخرجه أبو يعلى في مسنده 4/1521-1522، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 6/35 رقم (2508).
(3) سورة لقمان، آية: 15.

إن شئت فكلي أو لا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت »[1].

هذه أم استغلت العواطف لتثني ابنها عن الإسلام، استخدمت أسلوبًا ماهرًا لتحرك عواطفه نحوها، ولكن الإيمان الصادق لا تصده هذه العواطف ولا غيرها.

4- ثم ننتقل إلى صحابي آخر له قصة قريبة من هذه القصة، إنها قصة مصعب بن عمير الشاب المدلل في الجاهلية وأكثر أهلها عطرًا الذي ضحى بوالدته ومالها ليظفر بالإسلام، إنه عندما يقارن الإسلام بكنوز الدنيا فإن الإسلام هو المُقدم.

إن قصة مصعب نبراس يستضيء بها المسلم، إنها رائعة من الروائع وبطولة وتضحية اجتازها مصعب بامتياز، وأصبحت مثلاً لكل الأجيال، أم تبدأ خطوات ومراحل متعددة تتدرج فيها لصد ابنها عن الإسلام، فتهدده بحرمانه من الميراث والمال[2] والذي ترك بسببه الآلاف دينهم، ثم تهدده بإيذاء نفسها لعلمها بمدى حبه لها، ثم انتقلت إلى مرحلة عملية وهي إيذاؤه، ولكنه صبر واحتسب، إن كل هذه المحاولات لم تنجح مع من دخل الإيمان في قلبه.

إن السر في صبر هؤلاء هو بكل بساطة أن هؤلاء يعلمون مدى المصاعب والمتاعب المصاحبة لهذا الدين، فهو طريق مليء بالأشواك والأكدار والمصاعب والمتاعب لذا رأوا أن التضحية والصبر والبذل من أهم الطُرق للتمسك بهذا الدين، فسلكوا هذه الطرق الوعرة واجتازوها بنجاح.

+رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ"[3].

لا تعتقد أخي الحبيب أن الاقتداء بهم صعب، بل هو يسير وسهل لمن صدق مع الله ورغب في الثمن.

5- وأعود إلى سير هؤلاء الأفذاذ الأبطال أصحاب محمد × وأقف متعجبًا مع بطولة أبي جندل وتضحيته وصبره - رضي الله عنه - الذي تعرض لابتلاء صعب وصعب جدًّا، عذبه والده وآذاه مستغلاً زعامته لقريش

(4) انظر أصل القصة عند مسلم حديث 6188 في فضائل الصحابة، وسير أعلام النبلاء 109/1، 110.

(2) انظر أصل القصة في أسد الغابة 181/5-184 وسير أعلام النبلاء 14/1.

(3) سورة الأحزاب، آية: 23.

وأولاه التنكيل والتعذيب، ورغم ذلك لم ينجح في صد ابنه عن الإسلام، وكيف ينجح أي أحد في صده إذا كان الإيمان وقر في قلبه وأحس بلذته؟

ثم تعرض لفتنة أخرى قد تكون أشد وأنكى ولكنه تحملها أيضًا، فقد سلمه الرسول × للمشركين وفاء بالعهد، وإليك القصة: قال ابن هشام وهو يتحدث عن صلح الحديبية: جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف[1] في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ×، وقد كان أصحاب رسول الله × خرجوا وهم لا يشكون في الفتح؛ لرؤيا رآها رسول الله ×؛ فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا أن يهلكوا؛ فلما رأى سهيل ولده أبا جندل قام إليه، فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه، ثم قال: يا محمد قد لجت[2] القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت. فجعل يجره بتلابيبه ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ×: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم عهدًا على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم، قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل، يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، قال: ويدني قائم السيف منه، قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فضن[3] الرجل بأبيه ونفذت القضية[4].

فيا أيها المسلم أين أنت من هؤلاء؟ أين أنت من صبرهم وتضحياتهم وتحملهم الشدائد في سبيل الله؟ فالبدار البدار للحاق بهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكـــرام فلاح

وبعد هذا كله يتضح لنا أن الأذى مصاحب لهذه الدعوة وأن الأذى قد يكون من الأب والأم، ويتصور بعض الشباب أن والده إذا منعه من الالتزام مع الصالحين، فإن هذا من قبيل النصح، ويستبعد جدًا أن يكون هذا من

(1) يمشي متثاقلاً.
(2) وجبت.
(3) بخل وتمسك.
(4) انظر أصل القصة عند البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد حديث رقم (2732) والسيرة النبوية لابن هشام 203/3.

الابتلاء لاعتقاده أن الابتلاء لا يكون إلا من الأب الكافر فحسب وإلا لصبر واحتسب.

لذا تجد الشاب يتقبل من والده هذا المنع، ولو علم أنه ابتلاء لثابر على ذلك وصابر وتحمل تبعات ذلك كله.

من أمثله الابتلاء المعاصرة:

أ- أب يمنع ابنه من الحضور إلى صلاة الفجر والذهاب لها منفردًا بحجة أنه يخشى عليه أن يختطف، والأب مع ذلك ليس عنده استعداد للذهاب معه لأنه آثر الحياة الدنيا على الآخرة.

وأقول: لماذا لا يخاف هذا الأب على ابنه من الاختطاف عند الذهاب للمدرسة؟ هل هذا الخوف حقيقي أو وهم؟ الواقع يثبت أنه خوف وهمي، ومنع الأب لابنه لا يعدو أن يكون خوفًا من قول الناس: هذا الابن يصلي والأب لا يصلي، ولو كان هذا الابن الذي يرضخ لوالده ذكيًا لوجه السؤال لنفسه: لماذا لا يخاف علي أبي من الاختطاف عند الذهاب للمدرسة؟ ولعلم سبب منع والده له.

ب- أب يمنع ابنه من الدعوة ومن طلب العلم الشرعي، ويتعذر لذلك بأنه يحتاج إلى مساعدته في تنظيم شؤون البيت أو العمل في المجال التجاري ولا شك أن الابن مطالب بمساعدة والده وتخفيف العبء عنه متى ما كان محتاجاً لذلك، ولكن التوازن مطلوب، فليس من المعقول أن يطالب الأب ابنه بالذهاب معه لمحله التجاري، يوميًّا، وهو ليس بحاجة ماسة له، أو يمكنه الاستغناء عنه، أيضًا ليس للأب إجبار ابنه على ذلك إذا تعارض هذا الأمر مع مصالحه الأخروية، فإذا كان الاشتغال مع الوالد في أمور تجارية سيبعده عن الهدف الحقيقي من وجوده في هذه الحياة وهو عبادة الله عز وجل أو يبعده عن طلب العلم الشرعي كحفظ كتاب الله عز وجل، فإن على الابن الاعتذار لأبيه بأسلوب مناسب، أو وضع جدول بحيث يمكنه الجمع بين الدعوة وطلب العلم ومساعدة والده.

وهذه غالبًا ما يذهب ضحيتها الابن الأكبر (البكر).

وقد اشتكى لي غير واحد من مثل هذه المضايقات التي يواجهونها من آبائهم، والقصص في هذا المضمار كثيرة، والله المستعان.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

ومن الغريب أن بعض الآباء لا يفعل هذه الأمور مع ابنه إلا حينما

يلتزم، أما عندما كان الابن في ضلاله وإضاعته لوقته ومصاحبة للأشرار فإنه مستغن عنه وغير محتاج إليه في أعماله سواء في البيت أو في التجارة أو غيرها وإليك أمثلة:

1- قال لي شاب: إن والده منعه من حفظ القرآن وأجبره على الحضور معه لمحله التجاري بالرغم من أنه لا يحتاجه أبدًا.
2- وشاب آخر منعه أبوه من مصاحبة الصالحين بحجة أنه يريده أن يبرز في الجوانب العلمية كالطب أو الهندسة ويرى - بزعمه - أن طريق الدعوة والصلاح يمنعاه من هذا البروز.
3- بعض الآباء يمنع ابنه من الدعوة ومصاحبة الأخيار بناءً على مواقف سابقة مترسبة في الذهن، فقد يكون أحد الشباب سائرًا في حياته العلمية مسارًا جيدًا ثم يصاحب الأخيار فلا يستطيع أن ينظم وقته مما يؤدي إلى تأخره العلمي، فيصبح الاعتقاد السائد لدى بعض الآباء أن هذا التأخر بسبب السير في هذا الطريق، ومن هنا ينشأ عند بعض الآباء اعتقاد أن كل من سلك هذا الطريق فإن الفشل الذريع مصاحب له، وهذا لا شك حكم جائر؛ لذا تجده يمنع أبناءه الآخرين من الالتزام بناء على هذا الاعتقاد.
4- التحق شاب بمدرسة لتحفيظ القرآن الكريم في الإجازة الصيفية، وعندما بدأت الدراسة، يقول معلمه فوجئت بانقطاعه، وسألت عنه، فقيل لي: إن والده منعه، فذهبت لمقابلة والده، ووجدته من خيرة الرجال، فناقشته في قصة ابنه، فقال: إنه لا يمانع في عودته ولكن بشرط ألا يحضر أيام الدراسة للمسجد، فقلت له: إن هذا سيؤثر عليه كثيرًا في حفظ القرآن، فقال: إنني قد مررت بتجربة سابقة حيث إن الابن الأكبر منه سبق أن التحق بجماعة للدعوة وقد أثرت عليه كثيرًا وانقطع عن الدراسة، فأخشى أن تتكرر التجربة وليس عندي استعداد لخوض غمارها من جديد، فأوضحت له أن السبب يعود إلى ابنك لا إلى الدعوة وأن انقطاع ابنك عن الدراسة يعود إلى شخصه وعدم تنظيمه للوقت، ووعدته بتنظيم وقت ابنه ووافق وسار ابنه مسارًا طيبًا، واستطاع أن يجمع بين الحفظ والدراسة وتخرج بتقدير ممتاز ولله الحمد.
5- قد يلتزم بعض الشباب ويتحول بين يوم وليلة إلى مفتٍ يحلل ويحرم ويصدر الأحكام الشرعية على أهل بيته؟! دون دراسة وتأمل وعلم مما

يجعله حملاً ثقيلاً على أهل بيته، ومن ثم ينشأ اعتقاد سيء لدى أقاربه وأهله بأن هذه التصرفات هي بسبب التزامه وسيره مع الصالحين، فيبدأ الأب بمنع أبنائه الآخرين من السير في هذا الطريق، وهذا لا شك حكم جائر وتعميم ظالم، فالناس معادن، تختلف طباعهم، ولا يمكن أن أمنع فلانًا بناء على خطأ فلان، بل أنظر إلى أصل المسألة، فأبني الحكم عليه.

6- وهذا شاب يلتزم فيعامل أهل بيته بقسوة ظاهرة وتشدد واضح لدرجة أنه منع أخواته الصغيرات من التجول داخل سور البيت وهن كاشفات لرؤوسهن علمًا بأن أكبرهن لا تتجاوز ست سنوات وأصبح يتدخل في جميع شؤون المنزل، وأصبح يحرم أمورًا ما أنزل الله بها من سلطان، حتى ضاق أهله به ذرعًا وبدؤوا يدعون عليه وينقمون، ويسخرون منه.

فيا أخي الحبيب قبل أن أختم هذه النقاط المهمة أذكرك بأمور:

1- لا تطع والديك في معصية الله مهما كلفك الأمر وعاملهم بالتي هي أحسن.
2- تحمل الأذى ولا تضح بالدين من أجل الدنيا.
3- اعلم أن ما تقدمه من تضحيات يعد قليلاً بالنظر للأجر المترتب عليه عند الله عز وجل إذا صبرت واحتسبت.
4- لا تجامل على حساب دينك أحدًا واعلم أن طاعة الله أولى.
5- أكثر من الدعاء لوالديك ولكل من وقف ضدك بالهداية والصلاح.
6- أكثر من العبادة والتضرع.
7- كن قدوة صالحة حسنة لأهل بيتك.
8- تنازل عن حقوقك الشخصية.
9- كن أبر إخوانك بوالديك واحرص على كسبهما لجانبك.
10- لا تثقل كاهل والديك بكثرة الطلبات واقتنع بالقليل.
11- حاول الجمع بين مصالح أهلك ومصالح دعوتك، فالتوازن أمر مطلوب ومحمود.

المبحث الثاني
دور الآباء في ضياع بيوتهم

بعض الآباء يتخذون القرارات دون تفكير أو تخطيط أو تقدير للعواقب فهذا أحد الآباء يرزقه الله بأبناء يتنافسون على حفظ كتاب الله، فمنهم من حفظه ومنهم من أوشك على ذلك، ويرزق بزوجة صالحة تعينه على تربية أولاده فلا إشكال عنده -ولله الحمد-، فالأبناء يتجهون لحلقات التحفيظ برغبات ذاتية ومحبة حقيقية، واستقامة ظاهرها الصدق والله حسيبهم ولا نزكي على ربنا أحدًا.

تصاب المنطقة بأزمات تشد الناس لمتابعة الأخبار، فيلجأ هذا الأب إلى متابعة الأخبار حاله كحال غيره، ويفكر بإدخال قنوات فضائية، لكن يقف الأبناء مع والدتهم بقوة أمام رغبة الأب، ولكن تحت إلحاح الأب وتعهده بأن يقتصر الأمر على القنوات الإخبارية فقط أخضعهم لرغبته، ولكنها كانت خطوة لها ما بعدها... يعتكف الأب أمامها ويقلده الأبناء تبدأ الإغراءات تزداد القنوات المسموح بها حتى أصبح مسموحًا لجميع القنوات العربية.

جاءني الابن الأكبر وقال لي: لقد انقطعت عن التحفيظ وتبعني إخوتي أصبحنا لا نستطيع صبرًا على هذه الفتنة التي جلبها الأب. يقول الابن الأكبر وأشهد ربي على ذلك لقد انقطعنا عن صلاة الجماعة، وكانت البداية تساهلاً وتأخرًا حتى باتت حقيقة مرة وواقعًا مظلمًا، أنا وأبي وإخوتي هجرنا صلاة الجماعة، دخل علينا رمضان فشعرت بشعور غريب، لماذا استقبالنا لرمضان بارد وباهت هذه السنة، لسنا كما كنا في الأعوام الماضية؟ بدأ قلبي يصحو، فإن فات رمضان ولم نتب فمتى نتوب؟ إنني أقابلك الآن وأنا قد نسيت القرآن ولست أبالغ إن قلت: تركت جميع أصدقائي الأخيار، بل الأدهى من ذلك هجراني لصلاة الجماعة. إنني أخشى أن يتطور الأمر إلى ما هو أبعد إذا كنا قد انحدرنا هذا الانحدار خلال خمسة أشهر، فأعتقد إن لم يتداركنا ربي فسنكون على شفا جرف هار بعد مُدة، فنحن على وشك مستقبل مظلم وواقع مرير، فأريد منك حلاً لأني أخشى من أن صحوة ضميري لا تستمر إن لم تقف معي لإقناع أبي للتخلص من هذه القنوات، فلم أتصور يومًا أن تكون أسرتنا بهذا السوء... إلخ.

هذا الأب يتحمل المسئولية الكبرى بإفساد بيته، فأولاده متفوقون

بدراستهم معروفون باستقامتهم، وهل هناك سعادة أكبر من هذه السعادة؟ أليس أمام الأب بدائل تغنيه عن إفساده أولاده مثل الصحافة، والإذاعة، والإنترنت؟ هذا لأب فرط بنعمة غيره عنده استعداد لدفع الملايين لشرائها. جاءني أحد الدعاة وقال: إن أحد الآباء الأثرياء عرض عليه مليون ريال في سبيل أن أساعده بعد الله على صلاح ابنه وحفظه كتاب الله، وذلك الأب حفظ غالب أبنائه القرآن بل وتفوق ابنه الأكبر في دراسته، ويدرس بتخصص علمي دقيق ورزق بخلق رفيع، ثم باع هذا من أجل رغبة وشهوة كان عليه أن يضحي بها، ولو كان محتاجًا لها، ليحافظ على أبنائه، فكيف وهي ليست ضرورية بل لا تعدوا أن تكون مباحة؟

فكم خسر هذا الأب؟... وربي لو كان أبًا عاقلاً لكانت سعادته لا توصف، وزوجته وأبناؤه يرفضون إدخال الخنا إلى الدار، فكان عليه أن يقبل الرؤوس والأيدي على هذه النعمة التي تعد أعظم نعمة.

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

كم فرط هذا الأب بهذه الثروة وصدق الله +۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ".

إن في قصة هذا الأب درسًا وعظة وعبرة، أما الابن ونهاية قصته مع أبيه وتصحيح حالهم اللهم سلم سلم. إن أمثال هذا الأب قلة ولله الحمد ولكنها مع الأسف موجودة فلعل في نهاية هذه القصة عظة وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

* * *

المبحث الثالث

اللامبالاة من الآباء ودورها في الانتكاس

يرزق الله بعض الآباء أبناءً فيهم خير وصلاح، ولكن مع الأسف الشديد أن هؤلاء الآباء لا يحافظون على هذه النعمة ولا يرعونها حق رعايتها، فيقومون بتضييعها، وكما يقال: بيدي لا بيد عمرو، وذلك من خلال أمور أهمّها ما يلي:

أولاً: إهمال المتابعة للسائق:

يحرص الكثير من الآباء على توفير وسائل الراحة لأبنائهم، وهذا أمر طيب يشكرون عليه، لكن تحدث البلية عندما يدع الأب للابن الحبل على الغارب كما قيل في الأمثال، فيترك ابنه يذهب مع السائق دون أن يعي خطورة هذا السائق على أخلاق ابنه، ودون الحذر من عدم أهلية السائق للثقة والأمانة التي أنيطت به.

وأذكر هنا قصة حدثت لأحد الشباب تؤكد هذا المعنى:

فقد رزق الله أحد الآباء ابنًا وديعًا مسالمًا، ودرس في حلقات تحفيظ القرآن وفي مدارس التحفيظ الحكومية حتى أتقن حفظه، ثم لاحظ الأب على الابن بعد فترة من الزمن تغيرًا وانخفاضًا في مستواه الدراسي والأخلاقي دون أن يعرف السبب، ثم زار الأب أحد المربين ومعه ابنه. قال المربي: طلبت من الأب أن أجلس على انفراد مع ابنه فوافق، ثم بدأت بحوار الابن إلى أن وثق بي، فبدأ بسرد حكايته، وقال: أنا لا أنكر حرص أبي علي ولكنه مع الأسف جلب لنا هذا السائق، وسلمني له حتى أصبحت أذهب معه بدون حسيب ولا رقيب، فلا يسألني: إلى أين ذهبت؟ ومن أين أتيت؟ أعجبني تساهل أبي في بداية الأمر، فعند ذهابي إلى المدرسة أطلب من السائق أن يتوقف عند بعض المطاعم حتى أفطر بها حتى صرت لا أصل إلى المدرسة إلا متأخرًا، وأتعذر لمدرستي بانشغالي بتوصيل إخواني، ثم بدأت بالتعرف على أصدقاء السوء عن طريق هذه المطاعم حيث لا يرتادها غالبًا في هذه الأوقات إلا المهملون والمنحرفون، ثم تعرفت منهم على طريقة شرب الدخان، ثم وصل الحال إلى تبادل الأشرطة المحرمة معهم حتى أضلتني وأضرت بي كثيرًا، فأصبحت لا أطيق الذهاب إلى حلقات تحفيظ القرآن إلا مجاملة لأبي، وإن شئت فقل: خوفًا منه حتى تضايق مني أساتذتي في الحلقة،

فأبعدوني لأني أصبحت متعبًا لهم، وكنت أتعمد ذلك ونجحت خطتي أن أخرج من الحلقة لأجد وقتًا أجالس فيه أصحابي السيئين.

إن أبي يتحمل جزءًا كبيرًا من مسئولية ضياعي، فأنا لا أصدق أن أبًا بمثل وعيه وثقافته يهمل ابنه إلى هذه الدرجة؟! إن أبي يتحمل مسؤولية ضياعي.

وهكذا انحرف هذا الشاب بسبب إهمال والده الذي يتحمل مسؤولية كبرى.

ونحن أمام إفراط وتفريط من بعض الآباء، بعضهم يُعدم الثقة تمامًا بابنه وبعضهم الآخر يفتح الباب على مصراعيه، والتوسط في جميع الأمور هو المطلوب حيث لا إفراط ولا تفريط.

ثانياً: بعض الآباء يبالغ بحرصه الزائد على ذهاب ابنه إلى المدرسة مبكرًا وهذا أمر حسن، ولكن أن يذهب الابن قبل موعد الدراسة بقرابة ساعة مثلاً هذا ليس بحسن على الإطلاق، وهذا سبب كبير من أسباب الضياع، وأذكر هنا أن عددًا من الشباب عرفوا الانحراف بسبب ذهابهم المبكر، حيث أصبحوا يجوبون الشوارع المحيطة للمدرسة، ويشربون الدخان، ثم يفاجأ الآباء بانحراف الأبناء وضياعهم.

الشباب في مثل هذه المرحلة يحبون الانفلات والمزاح والمرح وفرد العضلات وإظهار الرجولة المزعومة بالنسبة لهم، وعدد كبير منهم يوهم بأن الدخان رجولة لذا يجد بحضوره المبكر فرصة لإظهار رجولته، ومن خلال الاستقراء تبين أن من أسباب الانتكاس الوصول المبكر إلى المدرسة، كذلك تأخر الآباء بالحضور لأخذهم بعد الظهيرة من المدرسة، وكذلك خروج الطلاب في أثناء الاختبارات بين المادتين إلى خارج المدرسة حيث يصل الفاصل بينهما أحيانًا إلى ساعتين أو أكثر.

ولقد أحسنت وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية عندما قررت منع الطلاب من الخروج أثناء الاختبارات، فأخلت مسؤوليتها، ولكن بعض الآباء يهمل في الحضور إلى المدرسة لاستلام ابنه مما قد يؤثر عليه في دينه ودنياه.

والخلاصـــــة:

إن بعض الأبناء يكونون ضحية لعدم معرفة آبائهم بالطرق التربوية، وهذا السبب غالبًا ما يكون متعلقًا ومؤثرًا بالشاب المتربي ذاتيًا أو بيتيًا، أما

الشاب المنضم للحلقات والأنشطة المدرسية فغالبًا يسلم بتوفيق من الله من هذا، حيث ينشغل عند حضوره المبكر أو تأخر انصرافه مع الأخيار أمثاله.

المبحث الرابع

عدم معرفة الآباء للطرق التربوية بالتعامل مع الأبناء

بعض الشباب يكون مع والديه في بيئة طيبة، فيستقيم استقامة فطرية ولا ينضم إلى أية مجموعة لتلقي العلم، وإنما يعتمد على التوجيه من والديه فقط، ثم يحدث تغير مفاجئ عند هذا الشاب، ولا يعلم والداه السبب في ذلك! ومع العلم بأن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى إلا أن هناك أسبابًا قد تساعد الشاب على الانحراف، منها:

قلة معرفة الأب للنواحي التربوية:

إن بعض الآباء يرزقه الله ابنًا مستقيمًا بالفطرة فلا يكلف والديه جهدًا بتربيته، وعندما يصبح الابن في المرحلة الثانوية يبدأ بالاحتكاك بشريحة أكبر والاطلاع على عالم مختلف مؤثر والأب في غفلة عن هذه التغيرات لا يستطيع التعايش معها، أو لا يريد أن يستوعبها، بل يريد أن يبقى ابنه على ما هو عليه أسيرًا لشخصية الأب وتابعًا له لا قدرة له على اتخاذ أي قرار يخصه، وليس له أي دور في الحياة حتى الأمور الشخصية التي تخص الابن، حتى لو كانت بسيطة مثل اختيار اللباس والحاجات الخاصة الأخرى، لذلك يبدأ الابن في مرحلة بناء شخصيته وعزلها عن التبعية التامة لوالده ويبدأ عند ذلك عناده لوالده الذي يريد أن يجرده من شخصيته، فيلجأ الابن إلى سلوك أي طريق يعرف أن فيه هروبًا من هيمنة والده حتى لو كان عن طريق انضمامه إلى أصدقاء السوء، إن الأب يتحمل مسؤولية كبرى في تغير سلوك ابنه حيث لم يراع المرحلة الانتقالية لابنه، وكان ينبغي عليه مراعاة هذه المرحلة التي يعيشها ابنه، ومعرفة أن لكل مرحلة في الحياة أحكامها وأن للسن أحكامه أيضاً، فيجب أن يعطي ابنه مساحة من الحرية لاختيار ما يناسبه من الأمور المباحة مع التوجيه والنصح دون الإجبار والإكراه حتى يستطيع هذا الابن بناء شخصية مستقلة مستقيمة متوازنة.

وأذكر هنا نماذج:

النموذج الأول:

قيل: (من مأمنه يؤتى الحذر) مثل تردد على الألسن، قاله ذو خبرة في سبر أغوار الناس، وهو يدل على أن الحذر الزائد من بعض الآباء يكون

سببًا من أسباب فساد أبنائهم وضلالهم عن طريق الهدى.

وأذكر - عندما كنت وكيلاً لإحدى المدارس الثانوية - قصة أقضّت مضجعي وما زالت ذكراها خالدة في ذهني: فقد حضر إلي أحد الطلبة وذكر لي مشكلته، وتتلخص بأنه كان متدينًا من والدين كريمين متدينين مثقفين، فالأب يحمل شهادة الدكتوراه، وقد بدأت معاناته مع والده في المرحلة الثانوية، حيث خشي عليه في هذه المرحلة من الضياع، حتى أصبح من خشيته وخوفه لا يعطيه إلا مبلغًا ضئيلاً للفسحة لا يفي بحاجته، وبخاصة أن مدرسته تضم الكثير من أبناء الأسر الثرية، فيشترون ما لذَّ وطاب، وكان هذا الشاب يقول في نفسه: أنا ابن رجل ثري أيضًا، ولكني لا أستطيع أن أشتري ما يشترون، ولو كنت ابن فقير أو بخيل لقنعت بنصيبي ولرضيت، بيد أن أبي لا ينقصه مال ولا كرم، وإنما نزع الثقة بي، فكانت حجته بتقليل مصروفي - كما فهمت من لسان حاله لا مقاله - أنه يخشى أن أشتري دخانًا أو غير ذلك من المحرمات، هكذا يشك بي وينزع ثقته مني ويشك بتربيته التي رباني عليها بكل بساطة!

ومن هنا بدأت المعاندة مني لأبي، لقد حرصت على الحصول على المال بأي ثمن أو طريقة لكي أثبت أنني لست بحاجة له، وكنت أقول في نفسي إن ما تخشى منه يا أبي ستجده، لكن كيف أحصل على المال؟ فكرت بالسرقة، ولكن هيأتي وجسمي لا يؤهلاني لذلك، فما كان مني إلا أن جالست أصدقاء السوء في حينا وفي مدرستي، حيث كنت مثار إعجابهم ومحط أنظارهم من قبل لما حباني الله به من وسامة وجمال، مع أني كنت في السابق لا ألتفت لهم، ولا أعيرهم اهتمامًا، حيث كان همي المحافظة على ديني وعرضي، ولكن لما احتجت إليهم مع إلحاحهم، بدأت أجالسهم وفرحت بترحيبهم فقدموا لي كل ما أريد وأصبحت بينهم سعيدًا، حتى زالت الحواجز بيننا إلى أن عرض علي أحدهم أن يفعل معي الفاحشة مقابل مبلغ من المال، فتمنعت في البداية ثم خضعت في النهاية، وأخذت منه مبلغًا ضخمًا بالنسبة إلى شاب صغير مثلي، ثم استمر معي على هذا الوضع، وكنت قبلها قد بدأت بالتدخين، ثم اشتهر أمري بين شباب الحي فاستسلمت للعديد منهم مقابل الحصول على المال إلى أن أصبح الأمر بالنسبة لي حاجة جسدية أكثر منها مادية حتى صرت استسلم لكل من يرغب بي مهما تكن قدرته المادية، بل لا أخفيك سرًّا إن قلت لك: إن من مارسوا معي الفاحشة بلغوا العشرات، والغريب أن أبي

لم يلحظ علي أي تغير مع أن رائحتي في الحي قد فاحت وسمعتي عندهم قد تلوثت، بل أصبح الآباء يحذرون أبناءهم من مخالطتي، وصرت في التدخين مدمنًا، وأنا الآن جسد بلا روح، حيث أجد نفسي أمام معضلة كبرى لا أدري لها حلاً...

لقد كان هذا الشاب نادمًا خائفًا، فلم أجد من المناسب لومه أو توبيخه مع أن عذره غير مقبول إطلاقًا، وحجته واهية، وجريمته عند الله عظيمة لا يقر عليها ولا يقبل تبريرها مطلقًا، فهو لم يمت جوعًا، ولو مات لكان خيرًا له من أن يبيع عرضه، وأبوه لا يعفى من المشاركة في جريمته، فبدأت أبين لهذا الشاب بأن هذه جريمة ارتكبها بحق نفسه وبارز بها ربه، وأهان بها نفسه ولا يمكن لمثلها أن تحل بدون أن يكون للبيت دور في حلها، وذلك لأنها تحتاج إلى ما يلي:

1- التوبة الصادقة.
2- العلاج الطبي لهذا المرض الذي قد يتوفر علاجه في بعض المستشفيات الخاصة.
3- الانتقال من الحي وتغيير البيئة.
4- الانضمام إلى أصدقاء صالحين.

فقال لي: لا مانع لدي في أي حل فيه خلاصي، ولكن لا تخبر أبي، وإذا أنت مصر فأرجو أن تخبر جدي لأمي، فهو الأقرب لحلها، فأخبرت جده بالتدرج، فصعق من هول ما سمع، لكني أخذت عليه العهود والمواثيق بألا يؤذي حفيده بسوء، لأنه تائب ومنيب ونادم، واتفقت معه على إيجاد الحل مع الأب، فيذكر له جزءًا من المشكلة وهي التدخين فقط، وأنه تسبب بها بسبب حرمانه لابنه من المال مما ألجأه للحصول عليه من زملائه، وبالتالي يجب على هذا الأب أن يتحمل المسؤولية.

وجاءني الجد في الغد وأخبرني أن الأب قد صعق لما سمع أن ابنه أصبح مدخنًا، وكاد أن يغمى عليه بعد أن عرف جزءًا من المشكلة، فكيف لو عرف الباقي؟ وهو الأدهى والأمر.

وقال الجد: قد اتفقت مع الأب على ترك المنطقة فورًا، وسوف أتابع هذا الحفيد حتى أستطيع حل المشكلة وعلاجها، وفعلاً تم استئجار منزل بعيد عن الحي السابق.

وأدعو الله أن يقبل توبة هذا الشاب وأن يستر عليه وعلى جميع أبناء

الإسلام.

وهنا لي وقفات:

1- يجب على الأب أن يزرع الثقة بابنه، وأن يشعره بالمسؤولية، بأنه قادر على تحملها.
2- كان ينبغي على الأب أن يدرك مكانته الاجتماعية وبالتالي يجب أن يعطي ابنه ما يكفيه من المصروف لا إفراط ولا تفريط مع متابعته وتوجيهه.
3- كان بإمكان الأب أن يعطي ابنه بعض المواد الغذائية التي يرغب بها التي تباع في المدرسة، وإن كان طلاب المرحلة الثانوية لا يحبذون في الغالب إحضار شيء من بيوتهم، وهنا أتمنى أن يكون للمدرسة دور في إقناعهم بفوائدها.
4- أتمنى أن توجد وزارة التربية والتعليم حلاً لمثل هذه المشكلات المادية، وذلك بإلزام المقاصف ببيع بطاقات يشتريها الطلاب في بداية العام بحيث تحقق المساواة فلا يحرم طالب دون آخر، كما يخفف هذا الحل من مخاوف الآباء وشكوكهم تجاه شراء أبنائهم المخدرات والأفلام الماجنة والدخان، وليس المقصود بذلك نزع الثقة من الطلاب، بل وسيلة لسد الذرائع، وحيث تكون إلزامية، وهذا ما تسلكه بعض الجامعات التي تبيع الكروت وليس بهذا عيب أو غرابة.
5- إن هذا الخلل التربوي الذي حدث بسبب فهم الأب الخاطئ للتربية قد أسهم في انتكاسه ابنه وضياعه.

النموذج الثاني:

وها هو شاب آخر يلجأ لطرق الحرام بسبب التصرف الخاطئ للأب تجاه ابنه، فقد جاءني أحد الشباب وأخبرني أنه واقع في السرقة ويريد الحل، فسألته: ما السبب؟ فقال: أبي لا يريد أن يفهم بأن لكل زمان ثقافته وأفكاره، فعندما أذهب معه إلى السوق للشراء، لا يعطيني أية حرية لاختيار الملابس التي أريدها، فكنت - مثلاً - إذا أردت أن أشتري شماغًا معينًا أفضله كان يشتري لي غيره بحجة أنه الأصلي والأفضل بينما كان زملائي يشترون أجمل منه، وإن كان أقل جودة فأنا لا أريد شماغًا يخلد لدي وكذلك الثياب والأحذية، حتى مللت من أسلوبه فبدأت أسرق لأشتري ما يناسب ذوق الشباب لا ذوق أبي، والغريب أن أبي لم يكن يسألني عن هذه الثياب التي

أشتريها من دونه ولا كيف حصلت عليها؟

ثم بدأت معه بعلاج مشكلته. وهنا لي وقفات:

إن مبرر الشاب للوقوع في السرقة غير مقبول إطلاقًا، ولا يقر عليه شرعًا ولا عقلاً، ولا سيما أن الأب لم يبخل عليه، وكان يختار له الأفضل من وجهة نظره وإن كان من الأفضل لو حقق الأب بعض مطالب ابنه، وتوجيهه بالإقناع لا بالقسر لشراء ما هو أنسب فيبين له أن منعه ليس من باب البخل إنما هو من باب تربيته على تمييز الصالح من الطالح ويقنعه بذلك عمليًّا.

وهنا أذكر قصة لأب ذكي، وهو مرب فاضل، وشيخ كريم، قال لي: كنت أطلب من ابني أن يحلق شعره بقصات عادية غير محرمة وكان ينفذ طلبي بلا نقاش ولا مشاكل، وفجأة جاءني بعد مدة وقال لي: يا أبي، إن زملائي يقولون لي: إن والدك بخيل، ولذلك يجعلك تقص شعرك بخمس ريالات حتى لا يدفع خمسة وعشرين ريالاً للقصات الحديثة.

يقول الأب: فذهبت معه إلى الحلاق بعد هذا الحوار، وسألت الحلاق: كم سعر القصات التي يقصها الشباب (الكابوريا) فقال: خمس وعشرون ريالاً، فقلت له: وبكم القصة العادية بالماكينة؟ قال: بخمسة ريالات. فقلت لابني: هذه عشرون لك وخمسة للحلاق، فلم أمنعك يا بني بخلاً، ولكن امتثالاً للشرع، وتقرباً إلى الله - عز وجل - وحماية لك من التشبه بالفسقة والكفرة.

يقول: فأثر الموقف في ابني واقتنع، وصار ديدني معه كلما أراد أن يحلق أعطيه عشرين ريالاً له وللحلاق خمسة.

يقول الأب: فذهب ابني إلى زملائه وأسكتهم.

فهل كان الأب الأول عاجزًا عن أن يبحث عن حل؟

أليس بإمكانه أن يقنع ابنه بأنه سيدخر له الفرق في السعر؟ أو يقول له خذ هذا وتبرع به فيتحقق بذلك فوائد عدة.

وصدق الحكيم القائل: «لا تكرهوا أبناءكم على أخلاقكم، فإن لهم زمانًا غير زمانكم».

* * *

المبحث الخامس

دور الزوج في انتكاس الزوجة

يحرص كثير من الشباب على الزواج من فتيات صالحات، ولا شك أن هذا عمل طيب وقد يجد كثير من الشباب بغيته.

ومن ثم يتزوج هذا الشاب، ويتردد بين الناس: فلان تزوج امرأة صالحة! فلان تزوج امرأة تقية! فلان تزوج امرأة تصوم الإثنين والخميس وهكذا.... ولكن الذي حدث أن هذا الشاب لم يغير من وضعه شيئًا، بل الفتاة تغير وضعها فلم تعد تلك الفتاة الصالحة، ولم يلحظ الأهل على زوجها تقدمًا، فما السر؟

السر كما يظهر لي أن هذا الشاب قد أثر على زوجته وهي بين يديه كما يقولون كالميت بيد المغسل، فيجبرها على سماع الأغاني ومشاهدة الأفلام والسهر بالليل وعدم أداء الصلاة في وقتها حتى تجد هذه الفتاة قد تركت الالتزام بسبب أفعال زوجها.

وها هنا همسة في آذان الفتيات، فأقول لهن: اتقين الله، ولا تضحين بدينكن من أجل أزواجكن، عليك بدعوة الزوج وعدم الاستسلام له وابذلي جميع الجهود؛ لأن الملاحظ كثرة انتكاس الفتيات بسبب الأزواج، وأكرر النداء لفتاة الإسلام بألاَّ تجعل الدين ثمن حبها لزوجها ولا تجعل التزامها يذهب هباء منثورًا من أجل عيون المنحرف.

لقد صدمت بما عرفته عن فتاة كانت من أهل التدين والصلاح، وكان إخوتها يضربون بها المثل في التدين، فكانت تصوم الإثنين والخميس وتقوم الليل، وتحفظ لسانها، بل وتتورع عن حضور الأعراس، فتقدم لخطبتها شاب ينتمي لأسرة ثرية، وزوجها أهلها بدون تردد، وطار بها عريسها إلى خارج المملكة، وأسكنها في فندق ضخم، فسمعت أصوات الموسيقى في أرجاء هذا الفندق، ولأول مرة في حياتها، وبدأ زوجها يقلب القنوات الفضائية وهي مشدوهة ولم تحرك ساكنًا حياء من الزوج! وهكذا حتى خلعت رداء الالتزام وارتدت رداء آخر.

إن المرأة التقيّة هي التي تصبر على أذى زوجها، ولا أعتقد أن هناك امرأة تعرضت لأذى من زوجها بسبب دينها كما تعرضت آسية بنت مزاحم زوج فرعون ومع ذلك صبرت واحتسبت.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: قال: « إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة، فقالت: +رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ"[1]»، فكشف لها عن بيتها في الجنة[2].

* * *

(1) التحريم، آية: 11.
(2) أخرجه أبو يعلى في مسنده 1521/4 – 1522، وصححه الألباني في الصحيحة 35/6 رقم (2508).

المبحث السادس

دور الزوجة في انتكاس الزوج

قد يتعجب بعض القراء من جعلي الزوجة التي هي المعين على العفة والطاعة سببًا للانتكاس، ولكنه واقع ملموس له أثر في انتكاس أعداد هائلة من الشباب الذين تركوا الدعوة إلى الله والالتزام بسبب الزواج، (أعرف أخًا كان قبل زواجه مقدامًا معطاء فتزوج امرأة سيئة، وضعت الموت والفقر بين عينيه، فكانت كلما أنجبت غلامًا ذكرته بحقه المادي عليه وأن عليه مضاعفة السعي من أجله، فلما تكاثرت ذريته وامرأته على هذه الحال سقط، وأصبح محبًّا للدنيا) «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»[1]، ولقد روي عن الحسن أنه قال: «والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار».

وذلك الشخص الذي كان نشيطًا في طلب العلم وحضور دروسه فلما تزوج لم يره إخوانه في حلق العلم، فسألوا عنه فقال أحدهم: لقد مات في حضن زوجته يرحمه الله!.

لقد آثر بعض الدعاة حب زوجته وطاعتها على الاستقامة ولزومها، يتنازل عن كثير من الأمور الشرعية من أجلها كإدخال الحرام إلى بيته تقربًا إليها، فبعدما كان بيته خاليًا من التلفاز أصبح الدش بجميع قنواته الفضائية يحلق فوقه، عق والديه من أجلها، وقصر لحيته أو حلقها ليظهر بزينة - كما يزعم - أمامها، هجر الصالحين ومجالسهم من أجل مجالستها، ترك حفظ القرآن الكريم، ودخل أماكن الاختلاط، وترك الصدقة والزكاة وما عليه من حقوق وواجبات طلبًا لمرضاتها وتحقيقًا لرغباتها.

إن ما سبق ذكره حقائق ناصعة يشهد لها التاريخ والواقع، لكن أين الرجال الذين لا يثنيهم شيء عن طرق دعوتهم؟ أين الذين إذا ابتلوا بمثل هذه الزوجة سارعوا إليها لتتوب إلى الله أو ليحصل الفراق بينهما؟

على المسلم ألا يتهور عند زواجه وينظر إلى الجمال فقط ويندفع وراءه. قال الرسول ×: « فاظفر بذات الدين تربت يداك»[2].

---

(1) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال برقم 6435.

(2) انظر أصل الحديث في صحيح البخاري كتاب النكاح باب الأكفاء بالدين حديث رقم (5090) وأخرجه مسلم كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين حديث رقم (1466).

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أين المسلم الذي يبحث عن زوجة توقظه لقيام الليل وصلاة الفجر؟ أين الذي يبحث عمن تعينه على أمور دينه ودنياه، لا التي تذهب آخرته وتفسد دنياه وتكون هي الآمرة الناهية سواء علم أو لم يعلم، رضي أو لم يرض؟

ولا يظن القارئ أنني أشن حملة على الزوجات، فإن فيهن الكثير من الصالحات الداعيات اللواتي غيرن من أحوال أزواجهن، وكن السبب في هدايتهم بعد الله إلى الخير والصلاح والدعوة إلى الله، ونعرف من هذا الصنف الكثير، بل هو الغالب ولله الحمد، لكن أيضًا الصنف الأول موجود بكثرة لا ينكره عاقل يعرف أحوال مجتمعه.

الفصل الثامن

إهمال الدعاة والمربين للمدعوين ودوره في الانتكاس

وفيه مباحث:
المبحث الأول: الخطأ في التعامل من بعض المربين.
المبحث الثاني: ترك الالتزام بسبب مواقف تربوية.
المبحث الثالث: المبالغة في الاهتمام بالمدعو.
المبحث الرابع: ضعف القدوة وإهمال دور العلماء.
المبحث الخامس: الغياب المفاجئ للقدوة.
المبحث السادس: عدم المتابعة من المربي.
المبحث السابع: سوء ظن المتربي.
المبحث الثامن: عدم اختيار المتربي ما يلائمه.
المبحث التاسع: تقاعد الدعاة عن الدعوة اكتفاءً بما سبق.

المبحث الأول

الخطأ في التعامل من بعض المربين

إن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب من أهم الأعمال التربوية؛ لذا فعلى مدير المدرسة ألا يسلم النشاط إلا لمن هو أهل له، وعلى إمام المسجد ألا يسلم تدريس القرآن إلا لمن هو أهل له كذلك.

وكل من ولاه الله رعية، فعليه أن يتقي الله في رعيته.

لأن البعض ينخدع بالمظاهر البراقة، ولا ينتبه لبعض الأمور الدقيقة المهمة كالقدوة الحسنة، ورحابة الصدر، ومعرفة التعامل مع من هم تحت مسؤوليته، وسعة العلم والاطلاع والتعقل وعدم التهور، وأن يكون سنه مناسبًا كي يسمع منه، وأن يكون ذا شخصية قوية ملتزمة محافظة على الوقت، ليس عنده فوضوية وغيرها من الشروط التي لم أذكرها هنا، وهذه الشروط مهمة جدًّا، فعند افتقاد واحد منها قد يحدث شرخ في أسلوب تعامل المربي مع تلامذته، فإن المربي قد يخطئ، فيكون نتيجة ذلك انفلات الطلاب وعدم التزامهم.

* * *

أمثلة على أخطاء المربين

أولاً: التركيز على الشكليات:

من الأخطاء التربوية التي يرتكبها بعض القائمين على تربية الشباب وهم قلة ولله الحمد، إهمال الجانب التأصيلي عند الشباب والقائم على إصلاح الباطن، وذلك بزرع الإخلاص والخوف من الله ومراقبته، وإنما ينكبون على إصلاح الظاهر ويركزون عليه تركيزًا كليًّا مع إهمال الباطن جملة وتفصيلاً مما ينتج عن هذا التوجه في التربية إخراج نوعية من الشباب أصحاب التزام أجوف يحرص على مظهره، أما المخبر والقلب فقد نكتت فيه نكت سوداء عظيمة وعلاه الران[1] وأصابه الخراب، وقبل أن أخوض في غمار هذا النوع أحب أن أؤكد أن الحرص على صلاح الظاهر أمر لا شك فيه ولا خلاف، بل هو واجب شرعي ومطلب ضروري لا غنى عنه؛ لأنه هو المعيار الأول والرئيس عند الناس للحكم على الفرد، فإعفاء اللحية وتقصير الثياب كلها قضايا أساسية وواجبات شرعية لا يمكن التنازل عنها، وهي المعيار الأول للحكم على الأشخاص وإنما النقاش حول مسألة إعطاء هذا الجانب جميع الاهتمام مع إهمال الجانب الأهم الذي هو معيار قبول العمل عند الله ومن أمثلة ذلك:

1- عندما يلتحق شاب مع مجموعة ويكون هذا الشاب مسبلاً إزاره حالقًا لحيته مقصرًا في عبادته، هاجرًا للجماعة، إذا كان بعيدًا عن زملائه، تجد بعض المربين يحرص على توجيهه إلى إعفاء اللحية وتقصير الثياب، وهذا أمر طيب ولكن الأطيب منه لو أمره بأن يحافظ على صلاته ويهتم بها لأنها الأهم، وفقه الأولويات ناطق بذلك، وسيرة المختار × دليل على ذلك.

2- أحد المربين نمى إلى علمه أن أحد طلبته قد سافر مع بعض جيرانه أمام منزلهم، فحزن لذلك حزنًا شديدًا، واغتم غمًّا واضحًا، وصارح الشاب وانفرد به وناقش خطأه، بل وحث من يملك القدرة على التأثير عليه على زيارته وتحذيره من تكرار هذا الخطأ!، وكان دافعه الرئيس أنه يخشى أن يتأثر هذا الشاب بأبناء حيه بما يعود عليه بالسوء ويؤدي به إلى هجر مجالس الصالحين، ولا يلام على حرصه ولكن المصيبة أن نفس هذا المربي يعلم علم اليقين أن أحد طلبته ممن عرفوا بصلاح الظاهر مهمل إهمالاً واضحًا

(1) الران: أثر الذنوب على القلوب.

للصلاة وخاصة الفجر التي لا يعرفها إلا نادرًا، ومع ذلك لم يحرك ساكنًا، ولم يناقش هذا الشاب في خطئه لأنه قد اهتم بالظاهر، وخطأ هذا المربي واضح فإن فعل الأول ليس حرامًا، وأما الثاني ففعله يتأرجح بين الكبيرة والكفر على قولين: قول لبعض أهل العلم ممن يرون كفر من ترك الصلاة متعمدًا حتى يخرج وقتها. وقول لآخرين لا يحكم عليه بالكفر وإنما ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

3- وهناك من المربين من تقوم قائمته وتثور ثائرته وتبرز غيرته وتهب عاطفته عندما يمس أحد طلبته من لحيته وهذا أمر يشكر عليه، ولكن أين هذه الغيرة عندما رأيت طلبتك يغتابون ويستهزئون ويسخر بعضهم ببعض، لماذا لم تغضب وتزمجر وترعد وتبرق أليس هذا الذنب أعظم من سابقه.

عندما مس طالبك لحيته هددته بالفصل والطرد، بل حَثَثْتَ الطلاب على نصحه وهددت بهجره، لماذا لم نر مثل هذه الثورة عندما نمى إلى علمك أن أحد طلبتك لا يصلي الفجر إلا بعد خروج وقتها؟ وحينما بلغك أن أحد طلبتك عاق لوالديه أليس هذا ومن سبقه أحق بالتعنيف وأولى بالتوبيخ وأجدر بالهجران؟

إن الحرص على صلاح الظاهر أصبح الغاية من الاستقامة، لقد بلينا بمجموعة من الشباب حسنوا ظاهرهم، ولكنهم من أضعف الناس دينًا وأقلهم ورعًا والمصيبة أنهم يُقدمون في المحافل ويبرزون في المجالس مع علم مربيهم بواقعهم ولكن مظاهرهم تشجع على الافتخار بهم، إن هذه الفئة لا يدوم ظاهرها، وذلك يعود إلى عدم قدرتهم على الصبر والتحمل، لأن بنيانهم ضعيف وأرضيتهم هشة، إن المصيبة الكبرى والطامة والعظمى عندما يقدمهم هؤلاء المربون على أنهم قدوات للناشئة ونماذج للتربية الراقية، فيصدرون، ويقدمون ثم يصدم الناشئ بعد ذلك حينما يرى أن هناك تغيرًا قد طرأ على هذا القدوة مما يحدث عنده خللاً. إنني أحمل هؤلاء المربين جزءًا كبيرًا من المسؤولية؛ لأنهم حين علموا عن ضعفهم لم يبادروا بعلاجهم، وذلك يعود لأنهم حرصوا على صلاح ظاهرهم قبل صلاح قلوبهم فكانت النتيجة ما يرونه.

ثانيًا: المباهاة في الحفلات:

وهذه من السلبيات الحادثة بكثافة هذه الأيام حيث يحرص القائمون على

تربية الشباب على إقامة احتفالات سنوية يوزعون من خلالها الجوائز على الدارسين في حلق تحفيظ القرآن من باب تشجيعهم وحث غيرهم على الالتحاق بصفهم والحذو حذوهم والسير على طريقهم وهذا أمر مقبول ومحمود بالجملة، ولكن القضية التي سأركز عليها تظهر من خلال التركيز على الشكليات في هذه الاحتفالات حيث يعمد بعض القائمين على هذه المحافل على الظهور بالشكل المناسب ولا يتأتى ذلك إلا بالإعداد الطويل المسبق والذي قد يمتد إلى أشهر إذا كان العدد كبيرًا وراعي الحفل شخصية بارزة ومعروفة سواء علمية أو اجتماعية، وهذا يقتضي أن يتم اختيار كوكبة من الطلبة قبل الموعد بمدة طويلة ينتخب منها أبرزهم وتوزع المهام عليهم وتنتقى السور والمتون لهم ويعطى كل طالب وجهًا أو أكثر لقراءته بالحفل ويلزم الطالب بمراجعة هذا الوجه يوميًا.

بل قد ينقطع عن الحفظ الجديد أو مراجعة حفظه القديم، ويركز على هذا الوجه - وهو الغالب مع الأسف - حتى يظهر أمام الحضور بالمظهر اللائق الذي يبيض وجوه القائمين على الحلقة ويجعل صورتهم بيضاء نقية وعندما يبدأ الحفل وإذا بهذا الطالب قد أبدع أيما إبداع ونظر إليه بإعجاب وإكبار مع أنه لو طلب منه أن يقرأ آية قبل هذا المقطع أو بعده لتعثر وتلعثم ولكنه عندما قرأ هذا الوجه الذي حفظه عن ظهر قلب ظهر وكأنه نابغة العصر في حفظه وتجويده وترتيله... إلخ، إننا مع الأسف الشديد عندما نركز على هذا الجانب نهمل جوانب أهم وهي:

1- الإخلاص والصدق.
2- أن يكون القصد والغرض من الحفظ وجه الله.
3- إتقان الحفظ.

إن الحلقة الجادة لا تستعد للحفل استعدادًا مسبقًا بأسابيع وأشهر وإذا اضطرت فلا تحتاج إلى أكثر من أسبوع: إن الحلقة القوية هي التي تقول يا فلان قم فاقرأ لأنها حرصت على التربية الجادة والحفظ المتقن ولم تعود طلابها على المظاهر. ولا يعتبر مبررًا القول بأننا إن فعلنا هذا شجعنا الأثرياء ورجال الأعمال على دعمهم فإن الثري ورجل الأعمال مطالب بالدعم، ولو لم يكن من ثمرات هذه الحلق، إلا ربطهم بكتاب الله وحفظهم عن أصدقاء السوء لكفى لرجال الأعمال المخلصين.

إن التركيز على الشكليات وجعلها الأساس عند الالتزام قاد بعض الشباب

إلى جعلها أول خطواته وآخرها عند الالتزام لأنه بمجرد إصلاحها فسوف ينال الثقة التامة ويوقف عنه النصح والتوجيه، ولن يقتصر الأمر على ذلك بل سوف يصدر ويقدم. إن هذه الظاهرة موجودة ولابد من الاعتراف بها حتى يتم تلافيها بغض النظر عن حجمها فلابد من علاج سريع يؤدي إلى القضاء عليها ولا يتأتى ذلك إلا لمن رجع إلى منهج الرسول × عندما بعث البعوث الدعوية فإن لم يبادر العقلاء لوأدها قبل استفحالها فقد تأتي بثمار وخيمة وسوف تخرج جيلاً هشًا ذا بناءٍ ضعيف يسهل اصطياده من قبل الأعداء والشيطان والله المستعان.

ثالثًا: مطالبة الشاب فوق طاقته:

لا يشك أحد بمدى حرص القائمين على تربية الناشئة ورعاية الشبيبة على تنشئتهم النشأة الصالحة وعلى تربيتهم التربية الطيبة، ويظهر ذلك جليًّا من خلال ما يبذلونه من وقت وجهد ومال وعلم وجاه.

إن القائمين على الشباب نحسبهم ـ والله حسيبهم ـ أهل صدق وإخلاص ويظهر ذلك جليًّا عند ملاحظة آثار الغبطة والسرور التي تكون واضحة جلية عند نبوغ ناشئ من ناشئتهم وما أذكره أو ذكرته من أخطاء لا تعدو أن تكون ملحوظات قليلة منغمسة في بحر حسناتهم.

ومن الأخطاء التي يجب أن ينظر إليها بعين الاعتبار هو حرصهم الزائد على أن ينبغ تلامذتهم المجدون بأسرع وقت ويظهر ذلك جليًّا عندما يقوم بعضهم بتحميل طلبته ما لا يحتملون ويكلفهم ما لا يطيقون.

وتكون ثمرة هذه التكاليف الشاقة وآثار هذه المعاملة القاسية الغلظة عليهم عند إخفاقهم، إنك تشفق على ذلك الشاب الذي حُمِّلَ ما لا يطيق فأدى به إلى التذمر والضيق والسآمة والكآبة والتضجر والملل.

ومن أسباب تحميلهم ما لا يطيقون خلو المناهج التربوية عند بعض المربين من مسألة مراعاة الفروق الفردية. إن على المربي أن يعلم علم اليقين أن الناس مختلفو القدرات والمهارات وربما كان أحدهم متقنًا القراءة ولكنه في باقي العلوم ضعيف القدرات، وهذه من المسلمات والبدهيات. إن من أخطائنا التربوية أن نطلب من فلان أن يكون كعلان ونريد من زيد أن يكون كعبيد، ولعلي في هذه العجالة أستعرض بعض الأمثلة حتى تتضح الصورة:

1- بعض الطلاب قدراتهم على الحفظ ضعيفة ويقعون في حرج

شديد حينما يواجهون مشايخهم، وقد أخفقوا في حفظ المطلوب منهم مع ما بذلوه من جهود مضنية ولكنهم لم يستطيعوا أداء الواجب الذي عليهم فيجدوا التوبيخ والتعنيف بسبب تقصيرهم. إن بعض المربين يبالغ في معاتبة الشاب عند تقصيره في الحفظ، والمحزن أن صورة هذه المعاتبة تتكرر يوميًا مما يوقع هذا الناشئ في صراع مع نفسه هل يذهب إلى المسجد ويتحمل ما يلقاه أم يبقى في بيته لينأى بنفسه عن الإحراج والمعاتبات التي ما أنزل الله بها من سلطان، أم يتخذ له صحبة غير صحبته؛ قد تؤدي به إلى الانحراف ويكون نتيجة هذا الصراع ابتعاد الناشئ عن هذه المحاضن النظيفة وهجرانه الحلقة والمساجد ومغادرة الالتزام برسمه واسمه بسبب عدم قناعة شيخه بأن القدرات مختلفة والطاقات متباينة وقد يكون مؤمنًا بها لكن من الناحية النظرية لا من الناحية التطبيقية.

2- أحد الدعاء ذكر حكاية حدثت له مع مجموعة من الشباب المنحرف حيث التقى بهم وهم في لهو وعبث، فبدأ بمناصحتهم ومناقشتهم وبعد جدال أظهروا الاستجابة وبدا التأثر واضحًا على أحدهم ثم قال له بحسرة وألم: لقد كنت ملتزمًا حريصًا على ديني والتحقت بحلقة لحفظ القرآن الكريم وتحمست غاية التحمس وكانت قدراتي على الحفظ ضعيفة ولكن شيخي لم يقتنع، بل ألزمني بالحفظ بنفس القدر الذي يحفظه زملائي، وكنت أبذل طاقتي ووسعي ولكن بدون فائدة، وكنت أحمل هم مقابلتي لشيخي والتي كانت تأخذ جل اهتمامي، وكلما أقابله أجد منه التوبيخ والتعنيف على عدم حفظي وكنت أتحمل بصبر نقده ومعاتبته، ولكن الوضع استمر والشيخ على موقفه، أنا لا أحفظ المطلوب وهو لا يتوقف عن العقاب والسباب، ولما رأيت أن الحرج علي زاد بدأت أفكر جديًا بهجران الشباب وترك ما هم فيه من خير ليس زهدًا فيهم أو تهربًا منهم، ولكن هروباً من واقعي المرير مع شيخي القاسي الذي يريد أن نكون سواسية.

واستمر الصراع النفسي المرير هل أستمر مع العلم بأن الإحراج سيزيد خاصة وأنني أصبحت محل تندر من زملائي وتهكم، أم أترك الحلقة وأبحث عن مجال آخر؟ وبعد صراع مرير قررت أن أترك الشباب وأن أميل للعزلة مع ما في قلبي من ألم وحسرة. وفعلاً تركت الشباب ولم أطق العزلة فانضممت إلى صحبة سيئة. ابتعدت معهم عما كنت فيه من خير. وها أنت ترى النهاية مع هؤلاء الأصحاب في لهو وعبث، وهنا لي وقفات:

أ- كان من المفترض على هذا الشاب الصبر والاحتساب، وتحمل ما هو فيه من ابتلاء واختبار أو الالتحاق بصحبه أخرى قد لا يكون من منهاجها الحفظ المكثف، فليس الثبات على الدين مرتبطًا مع هذه المجموعة، فساحة هذا الشاب غير بريئة وهو الخاسر الأكبر ولا يقبل تبريره بترك الالتزام؛ لأن البدائل متوفرةٌ ولو لم تكن متوفرةً فلا أقل من أن يعتبره ابتلاء فيصبر عليه ويحتسب وعذره غير مقبول بأي حال من الأحوال، ولا يليق أن يجعل منهج شيخه الشماعة التي يعلق عليها أخطاءه.

ب- مطالبة جميع من التحقوا بحلق تعليم القرآن بحفظه كاملاً أمر في غاية الصعوبة.

وإن الناظر في تاريخ الأمة منذ مبعثه × إلى يومنا هذا يجد أن الحفظة لكتاب الله أقل بكثير من غير الحفظة وهذا يجده كل مطلع على كتب التاريخ وسير العلماء والنبلاء يجد عندما يترجم لعالم منهم ويثنى عليه يذكر أنه قد حفظ القرآن لأن الأصل عندهم أن الحفظ ليس لازمًا وإنما هو مزية ونعمة ينعم بها الله على بعض أهل العلم والفضل، وما مسارعة الصديق لجمع القرآن عندما رأى كثرة من قتل من الحفظة إلا دليل على ذلك.

فمن لا يطيق الحفظ فلا يلزم به ولا يوجب عليه. فحسن التلاوة يجب أن تكون هي الركيزة الأساسية لمدارس تعليم القرآن مع حرصها على حث الطلاب على الحفظ وتقديم الحوافز للحفظة. ولعلي ها هنا أضع اقتراحًا بين يدي القائمين عليها وهي أن يقوموا بوضع حلقة في كل مسجد لذوي القدرات الضعيفة على الحفظ سواء أكانوا صغارا أم كبارًا، يكون هدفها الرئيس تحسين القراءة ويكون الحفظ فيها ندبا كما شرعه الله، فإنكم بهذا العمل ستجمعون بين الحسنيين إن شاء الله، وسوف تشجعون من لا يستطيع الحفظ ويصيبه الحرج على الالتحاق بكم وسترفعون عن كاهل ذوي القدرات الضعيفة في الحفظ همومًا كانت تثقل كواهلهم، وتبعدهم عن الطريق المستقيم.

جـ- على المربي أن يضع ضوابط للنوعية المختارة لحلقة التعليم ويكون هذا بعد سبره وتمحيصه لطلابه.

د- على المربي ألا يقلق من أن هذه الحلقة سوف تضعف همم الشباب عن الحفظ، فإن خوفه بأن تضعف همم أصحاب القدرات على الحفظ يجب أن يستبعد.

فعليه أن يعلم أن طالبه العاقل الذكي لا يرضى بالأقل والعاقل خصيم نفسه. إننا حينما نعمل بهذه الطريقة سوف نحقق فوائد عديدة منها:

أ- كثرة من سيسلك سبيل الاستقامة بإذن الله.

ب- كثرة من سيحسنون القراءة.

ج- سوف نتخلص بإذن الله من آثام هروب أصحاب القدرات الضعيفة من المساجد ومن الحلق. ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والمصلحة العامة مقدمة على الخاصة. فما بالك إذا كان في كلتا الحالتين مصالح إحداهما أعظم من الأخرى وأعم.

وحتى يكون عمليًّا أنصح المربي أن يضع حوافز ومزايا لحلق التحفيظ أكثر من حلق التعليم، ويذكرهم أيضًا بفضل الحفظ وبأن الرسول × كان يقدم الحفظة على غيرهم. ولما دفن في معركة أحد جمع من الرجال في قبر واحد كان × يقدم عند الدفن أكثرهم حفظًا للقرآن[1].

رابعًا: عدم وضع الفرد المناسب في المكان المناسب:

فمعلوم أن أي عمل شبابي له في الغالب أنشطة اجتماعية وثقافية ورياضية وغيرها، فعلى المربي ألا يجعل مقياسه الوحيد كبر السن أو التفوق الدراسي أو غيرها من المقاييس التي يضعها بعض المربين، فقد يكون الشاب متفوقًا في دراسته لكنه يفقد القدرة على التعامل مع الآخرين، فتسلم له مسؤولية الإشراف الثقافي مثلاً فيفشل في ذلك هو ومن معه، وتكون نتيجة ذلك انسحاب مجموعة من النشاط لعدم وجود الفرد المناسب الذي يستطيع استيعابهم وتقديم ما يفيدهم فالتفوق ليس شرطًا.

خامسًا: الخطأ في تقدير العقاب:

قد يخطئ المربي في تقدير العقاب على الخطأ عندما، يضع أنظمة وضوابط لا تراعي أحوال الشباب، بحيث يكون الخطأ لا يستحق ذلك العقاب الجسيم أو العكس، فتكون النتيجة من ذلك سلبية:

ومثال ذلك: قد يتغيب طالب عن الحضور فلا يحسن بالمربي أن يقسو عليه دون معرفة الأسباب، وقد لا يتحمل ذلك الشاب العقاب، فتكون النتيجة تركه للمجموعة ثم للالتزام، فيتحسر المربي، ويندم على تصرفه، وكان الأجدر به قبل أن يقرر ما قرره بحق ذلك الشخص أن يعرف عقليته، وأن

(1) انظر أصل الحديث عند البخاري كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهيد حديث رقم (1343).

يعرف كيف يتعامل معه، وما مدى قبوله لهذا القرار، فما يعاقب به الشخص هو شيء تقديري من المربي، ويجب عليه معرفة الرادع المناسب لكل فرد، فهذا ينفع معه التقريع، وذاك الهجران، وآخر الإيقاف، وغيره الحرمان من بعض الأنشطة، أما وضع أنظمة معينة تسري على الجميع مع عدم ملاحظة الفوارق كمن يقول: من غاب عن كذا فعقابه كذا، ومن فعل كذا فعقابه كذا، فهذا قد يجعل المربي في موقف حرج في بعض الأحيان؛ لأنه قد يغيب شخص لا يستحق العقوبة المقررة للغياب، ولكن بحسب ما وضعه من نظام يجب أن ينفذها، فيحرج مع الشاب إن نفذها، ويحرج مع زملائه إن لم ينفذها. بل قد تكون العقوبة محببة لهذا الشاب، فمثلاً هناك من لا يحبذ الرحلات الطويلة فعندما تكون العقوبة حرمانه منها فسوف يتعمد الغياب حتى يحرم منها، فهي بالنسبة له مكافأة لا عقوبة.

سادسًا: عدم مراعاة النفسيات: مثال ذلك:

بعض الشباب يميل للعزلة والانفراد، ولا يرغب في المخالطة والممازحة، فيجبره المشرف على هذا الشيء، مما يؤدي به إلى الانعزال التام عن المجموعة، وكان الأجدر بالمربي مناقشته أولاً ومحاولة علاج مشكلاته قبل أن يجبره على شيء ليس واجبًا شرعيًّا، ويتنافى مع نفسية هذا الشخص.

وليس جميع الطلاب نسخة واحدة، بل لابد من وجود المختلفين الذين يحتاجون إلى تعامل معين، فعلى المربي مراعاة ذلك.

سابعًا: عدم التفريق بين الكبار والصغار في المحاسبة:

بعض المربين يهمل النواحي النفسية، فكبير السن قد يخطئ وقد يكون المشرف قاسيًا في التعامل مع خطئه فيقرعه أمام زملائه الأصغر منه سنًّا، وهذا التقريع قد يأتي بآثار عكسية على هذا الشاب.

فمثلاً قد يتأخر أحد الكبار عن حضور درس ما فيوبخه المشرف أمام زملائه ليظهر لهم المساواة بينهم وبينه، وهذا الشاب قد تكون مناقشته على انفراد أجدى وأولى. فلابد أن ينزل الناس منازلهم وتقال لذوي الهيئات[1] عثراتهم وأذكر هنا نماذج:

1- ذكر لي أحد الفضلاء هذه القصة وهي: أن مجموعة من الشباب

(1) أصحاب المكانة والمنزلة.

سافروا إلى منطقة من مناطق المملكة، وأصدر المشرف أوامره بأن هذا الوقت للبرنامج الفلاني لعله الراحة إن لم تخني الذاكرة، ولكن المشرف علم بأن مجموعة من الشباب لم يلتزموا بهذا القرار، وبينهم شاب في المرحلة الجامعية، فأصدر بحقهم عقوبة وهي الوقوف بطريقة مبتذلة مضحكة، فنفذها الصغار ولكن الشاب الجامعي قال: لعلك تعفو عني هذه المرة فأبى، فحاول معه ألا يحرجه بذلك فأبى، فما كان من الشاب إلا أن قرر عدم الانصياع للأمر، وترك الجماعة، وغادر المنطقة بسبب هذا التصرف الأرعن، والخطأ هنا مشترك فلا المشرف أجاد ولا الطالب استفاد.

2- وذكر لي أحد الشباب أن أحد المربين أصدر عقوبة بالهجران لشاب؛ لأنه رفض أن يلقي قصيدة شعرية، فكادت هذه العقوبة أن تكون سببًا في انحرافه.

ثامنًا: عدم مراعاة الظروف:

بعض المربين يطالب الشاب أن يكون على طريقة واحدة، ولا يسمح له بأي حال من الأحوال أن يترك هذه الطريقة التي اعتاد عليها.

فلو تأخر يومًا من الأيام لعاقبه دون أن يعرف سبب غيابه، وقد يخفي الطالب الأسباب الحقيقية، لكن المربي الفطن هو الذي يستطيع معرفة ذلك من خلال خبرته ومعرفته بأحوال من عنده، والإنسان لديه ظروف اجتماعية ونفسية ومالية وصحية وغير ذلك، فبعض المربين لا يراعون أي شيء من ذلك، والمهم عنده حضور الطلبة بغض النظر عن أية مفاسد أو ظروف تترتب على ذلك.

وأذكر أن أحد الطلبة طلب من الأستاذ أن يأذن له بالتغيب أول العصر لكي يعمل في هذا الوقت فساعده مادياً وحل مشكلته واستقام وضع الشاب؛ حيث إن بعض الطلاب يكون وحيد أبويه أو هو القائم على شؤونهما وعلى البيت كله، فالمربي اللبق هو الذي يدرك هذا ويراعي تلك الجوانب كلها.

تاسعًا: عدم مراعاة الفروق الفردية:

فالذكاء والفطنة تتفاوت من شخص لآخر، وعوامل الإبداع الكامنة في النفس كذلك تختلف من شخص لآخر، «فكل يبدع بحسبه، وكلانا على خير» وهنا يظهر عيب بعض المربين الذين يطالبون طلابهم أن يكونوا في مستوى واحد لا يتخلف عنه أي شخص، وهذا ربما يكون من المستحيل بل هو المستحيل بعينه.

فإن هناك من قد يبدع في طلب العلم، لكنه لا يفقه شيئًا في الأمور

الاجتماعية مثلاً، فمن الصعب تكليفه بمثل هذه الأمور.

وأثر عن أحد الحكماء: «لو اشتريت بصلة ما فهمت مسألة»، وهذا لا يعني أن الإنسان لا يبدع إلا في مجال واحد فقط، بل الأصل أن يحاول الإنسان الإبداع في كل الأمور أو في أكثرها بحسب قدرته، والرسول × كان موجهًا للأمة، وقائدًا للجيش ومثلاً أعلى في تعامله مع أهله، وهو أحسن الناس خلقًا وغير ذلك، فقد توفرت فيه جميع الصفات الحسنة. بل نجد من العلماء من كان معروفًا في البيع والشراء كابن المبارك.

فلا يتصور القارئ الكريم أنني أقول: إن من سلك طريق العلم فعليه بالترفع عن خدمة إخوانه والاستكبار عليهم، لكن يكون مثل هذا عندما يعلم المربي أن هذا الطالب لا يمكنه أن ينجح في هذا المجال، وأنه بذل ما في وسعه لينجح في ذلك، لكنه فشل فعليه ألا يحمله مالا يطيق و+لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" [1]، فبعض الشباب قد لا يستطيع حفظ القرآن الكريم، ولا يستطيع كتابة البحث، ولكنه مبدع في خدمة إخوانه لا يتأفف من ذلك ولا يضجر منه وعنده رغبة فيه، فعلى المربي أن يشجعه على ذلك وأن يحسن الاستفادة منه في هذا الجانب الطيب.

أحد الشباب حاول معه معلمه مرارًا أن يحفظ بعض السور وتابعته شخصيًّا لكن لم يستطع مع أنه بذل كل ما في وسعه، ولكن هذا الشاب لو طلبت منه أن يقوم بخدمة إخوانه ساعات طويلة، وفي أمور كثيرة لما رفض ولما توانى فلماذا تحرم المجموعة من هذه الطاقات بسبب أخطاء بعض المربين؟

إنني أؤكد ههنا على التفاوت بين الأشخاص، وأنه ليس بمقدور كل شخص أن يبدع في جميع المجالات، فلا تحرم المجموعة ممن أخفق في طلب العلم ولكنه يحب خدمة إخوانه، ولا تحرم ممن لا يحسن خدمة إخوانه ولكنه يرغب في مصاحبة الصالحين والجلوس معهم، ولا تحرم من أي شخص عنده إبداع مفيد، ولنا أسوة حسنة في مجتمع رسول الله ×، حيث تتعدد المواهب والإمكانات، كل بحسبه، فهذا قائد عظيم، وذاك قاض عادل، والآخر شاعر فحل والرابع خطيب مفوه، والخامس ذو رحمة وقلب طيب تجاه إخوانه، والسادس صاحب حياء وعفة، والسابع، والثامن، وهكذا.... وأذكر هنا مثلاً:

(1) سورة البقرة، آية: 286.

أحد الشباب كان مع زملائه وكان يحمل أعباءه على رأسه، فيذهب في الصباح الباكر لإحضار لوازم الإفطار، ثمّ يتجه ظهراً لإحضار طعام الغداء، ثمّ العشاء، وهكذا، وهو في غاية السرور، ثمّ حاول أحد الإخوان إقناعه بحضور جلسات العلم لكي يستفيد، فأعلن عدم رغبته بذلك، ولكن تمّ الإلحاح عليه بشدّة، فوافق على مضض وقت الغداء، فلما جاء وقت العشاء رفض الجلوس، فألح عليه إخوانه بحجة إفادته ورغبتهم الصادقة بنفعه، ثمّ دار الجدال واشتد، فما كان منه إلا أن غادر المكان، وحمّل الأمر على غير ما يحتمل، فترك الرفقة الطيبة، وصاحب الأشرار، فأخطأ بحقّ نفسه، كما أخطأ الإخوان بحقّه لعدم تقديرهم بميول كل إنسان ورغباته، لأن العلم ليس كل إنسان مهيّأً له.

عاشرًا: رفع شعار المساواة:

وذلك أن بعض المربين يرفع شعار العدل والمساواة بظنه، فالكل عنده سواسية كأسنان المشط، من يحفظ كمن لا يحفظ، ومن يعمل كمن لا يعمل، وطالب العلم كالجاهل وهكذا....

وهذا مردود بلا شك، فالله سبحانه وتعالى قضى بالتمييز وإعطاء كل ذي حق حقه +أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ "[1]، هذا لا يمكن، فالبارز يجب أن يشكر على بروزه، وأن يميز أمام زملائه، وأن يخطى بمزيد رعاية واهتمام، وذلك لزرع روح التنافس وبث الحماسة في أفئدة الشباب، وهذا رسولنا × كان يقرب الصديق وعمر على غيرهما من الصحابة، وعمر - رضي الله عنه - كان يقرب القراء على غيرهم، وكان يقرب معهم ابن عباس على صغر سنه كما هو معلوم، ولو استطردت بذكر النماذج لطال بي المقام.

لذا أشدد وأقول بأن عدم التمييز قد يقتل طموح الشباب، ويجعلهم يقفون عند درجة معينة، حتى يخلق الإيمان في أجوافهم، ومن ثم يحصل الانتكاس -والله المستعان-.

وأذكر هنا أنه كان لي نقاش مع بعض الإخوة الفضلاء حول هذه القضية، فكنت أرى أن يعطى للشباب المتميزين بعض الدروس المكثفة بحيث تختلف عما يأخذه زملاؤهم الآخرون، وقلت: إن من حفظ القرآن وأحسن تلاوته

(1) سورة ص، آية: 28.

وتجويده ليس بحاجة إلى تكرار قراءة أحكام التجويد كل ما شُرع في شرحها وحفظها عن ظهر قلب، ولكن أولئك الإخوة أصروا على أن يأخذ طالب المرحلة المتوسطة ما يأخذه زميله الجامعي، حتى لو كان في ذلك بخس لحق ذلك المتفوق الذي أنهى حفظ القرآن وتجويده مراعاة لنفسية زملائهم، وحتى لا يشعروا بتميز أولئك عنهم وعدم العدل بينهم!

واستمر هذا الجدل العقيم معهم حول هذه المسألة، وناقشت غيري من أفاضل طلاب العلم، واستغرب مثل هذه المفاهيم، بل إن أحدهم طلب مني أن أعطيه هذه الملاحظات ليجعل منها درسًا علميًّا تربويًا للشباب.

فكم قتل عدم التمييز طموح الشباب، وأوقفهم عند حد معين، وفي المقابل يجب ألا يكون هناك تفريط أو إفراط في هذا الجانب فلا يميز إلا من أبدع علميًّا فقط، ويترك الذي يبدع في المجالات الأخرى كخدمة الإخوان والمسابقات والبحوث والحضور وغير ذلك كما سبق بيانه.

الحادي عشر - رفض المربي للنقد:

هناك من المربين من يظن أنه تجاوز مرحلة النقد، وأن من هو تحت إشرافه أصغر من أن يلحظ عليه ملحوظة ما، ولو فعل ذلك أحدهم ونبه المشرف إلى خطأ لاحظه عليه لاستشاط غضبًا، بل ربما قام بطرده لأنه جريء في نقده ومناقشته، وما علم هذا المسكين أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستفسرون من الرسول × بعض الأمور، فإن كانت وحيًا التزموا الصمت، وإن كانت اجتهادًا بشريًّا عرضوا وجهة نظرهم، وكم غير الرسول × رأيه موافقة لآراء أصحابه التي لا تخالف الشرع كما في النزول يوم بدر[1]، والخروج إلى أحد[2] لملاقاة المشركين وغيرها من المواقف الكثيرة.

ولكن بعض المربين يتعامل مع الناقد تعاملاً استبداديًّا يخلو من المنهجية والتربية الصحيحة التي تقبل المناقشة وذكر الأخطاء والمناصحة.

الثاني عشر - قتل طموح الشباب بإبعادهم عن التنافس:

بعض المربين يقتل طموح الشباب حتى لا ينافسوه على القيادة، فيطرد كل مبدع وينفر كل كبير حتى يكون شعاره:

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقـري مـا شئت أن تنقري

(1) انظر أصل الخبر عند البخاري كتاب المغازي باب قصة غزوة بدر حديث رقم (3951).
(2) انظر أصل الخبر عند البخاري كتاب المغازي باب غزوة أحد حديث رقم (4043).

وأقول له:

أوردها سعد وسعد مشتمـل ما هكذا تورد يـا سعد الإبل

الثالث عشر - المعاقبة غير المشروعة:

يدفع حرص الدعاة على ظهور طلابهم على أكمل وجه بالوقوع في أمور لا يُقرون عليها شرعًا، وتكون سببًا في انتكاسة طلابهم عند معاتبتهم أو معاقبتهم على أمر لم يفرضه الله - عز وجل -، وأضرب على ذلك مثلاً: عند خروج بعض الطلاب إلى الحج والعمرة، يحرص المربون على أن يلتزم طلابهم بالسنة النبوية من خلال حلق رؤوسهم لا تقصيرها، حتى إن بعض المربين قد يعاقب من قصر شعره، أو يقوم بهجرانه، أو توبيخه، أو تعنيفه مما يؤثر عليه ويدفعه إلى ترك هذا الطريق - ولي هنا وقفات مع هذا المربي الفاضل:

أولاً: المنهج الشرعي في مثل هذا الموقف هو الحث على الحلق، لا الأمر به، ولا إيجابه لأن الله لم يأمر بذلك، ولم يوجبه بل قال في القرآن الكريم: +مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ"[1]

بل النبي ×، لم يأمر به، بل قال كما في الصحيحين: «اللهم اغفر للمحلقين» قالوا: والمقصرين، قال: « اللهم اغفر للمحلقين» قالوا: وللمقصرين، قالها ثلاثًا قال: « وللمقصرين »[2]

بل وثبت عنه × كما في الصحيحين أنه قصر في بعض عمره.

فعن معاوية - رضي الله عنه - قال:« قصرت عن رسول الله × بمشقص»[3].

بل وجاء عند مسلم بما يصرح بذلك بأنه بالمروة قال معاوية - رضي الله عنه -: « قصرت عن رسول الله × بمشقص، وهو على المروة أو رأيته يقصر عنه بمشقص وهو على المروة »[4].

وجاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر قال: « حلق النبي ×

---

(1) سورة الفتح، آية: 27..

(2) أخرجه البخاري في كتاب الحج (باب الحلق والتقصير) رقم 1727.

(3) أخرجه البخاري كتاب الحج باب الحلق والتقصـــير حديث رقم (1730) واللفظ له، وأخرجه مسلم كتاب الحج حديث رقم (1246)، وفي بعض النسخ (3011).

(4) أخرجه مسلم كتاب الحج باب التقصير حديث رقم (3012).

وطائفة من أصحابه، وقصر بعضهم »[1] فها هو النبي قصر في بعض العمر وأصحابه قصر بعضهم في الحج مع أن الذي يحثهم على الحلق موجود بينهم فلم يعتب عليهم ولم يلمهم، فالزم غرزه إن أردت الهدى.

ثانيًا: ألا تخشى عندما تأمرهم بذلك أن تحبط أعمال بعضهم عندما يحلقون مُراءاة لك، بل أو ما تخشى أن يكون حلق بعضهم خوفًا منك.

ثالثًا: هل لغضبك أو معاتبتك مستند شرعي، بل ها هو شيخ الإسلام - رحمه الله- يقول في الفتاوى عندما سئل عَمَّن يلوم المفطر في السفر في رمضان فقال: (من قال: إن المفطر عليه إثم، فإنه يستتاب من ذلك، فإن هذه الأحوال خلاف كتاب الله، وخلاف سنة رسوله - × -، وخلاف إجماع الأمة)[2].

لماذا؟ لأنه أثمه على أمر قد أباحه الله له.

والواجب: إن على المربي أن يبين لطلابه ما هو الأكمل والأفضل، سواء في مثل قضية الحج أو صيام النفل، ويدع لهم حرية الاختيار، فهذا أكمل منهج لأنه منهج النبي ×، وهذا الخطأ يقع فيه بعض المربين فعليهم أن يتراجعوا عندما يظهر لهم الحق، وألا تأخذهم العزة بالإثم، ولا يصنع الأعذار والمبررات وكل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون.

وخلاصة ما سبق أن هذه بعض الأمور التي قد يقع بها بعض المربين وقد تؤدي إلى انسحاب الشباب من حقل الدعوة بشكل أو بآخر، وهي أخطاء بعضها بسيط يمكن معالجته، وأحسب أن القائمين على تربية الشباب على درجة من الوعي لإدراك مثل هذه الأخطاء ومعالجتها، وما أخطاؤهم إلا أشياء بسيطة منغمرة في بحر حسناتهم وإذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث.

***

(1) أخرجه البخاري كتاب الحج باب الحلق والتقصير حديث رقم (1729)
(2) انظر الفتاوى 210/25.

المبحث الثاني
ترك الالتزام لأسباب

في ثنايا كتب التاريخ أحداث تبين شدة تمسك أصحاب النبي × بهذا الدين، وأنهم قد عضوا عليه بالنواجذ، وأن المواقف لم تغيرهم بل زادتهم ثباتًا وإصرارًا على مبادئهم، فما أكثر من ينتكس بسبب المواقف التربوية التي اتخذت بحقهم! فأنف من ذلك وتضايق وهجر المجتمعات الطيبة بناءً على ذلك!

إن المواقف التربوية يجب ألا تعيق الشاب عن مواصلة مسيرته، فهذا رسول الله × يتخذ قرارًا ويأمر به وهو أن يهجر المجتمع كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، يُخاطبون الناس فلا يردون عليهم، بل وتأتي لكعب الإغراءات بالتحول عن هذا المجتمع الهاجر له ويأبى ذلك، لماذا؟ لأنه صادق في إسلامه صادق في نيته عنده الاستعداد لتحمل آثار خطئه.

وقد يكون هذا السبب غريبًا عند من لا يعرف مجتمع الشباب فأقر به له بأمثلة.

قد يرتكب أحد الشباب أخطاء فيرى الأستاذ أو المربي أن من مصلحة هذا الشاب أن يحرم من أشياء تأديبًا له ومعالجة لخطئه.

اصبر على مر الجفا من معلم فإن رسوب العلم في نظراته

ولكن الشاب لا يريد أن يتحمل هذه العقوبة فيهجر المجتمع الصالح؛ لأنه يرى نفسه قد أهين وأن كرامته قد حط منها وأذكر ههنا قصة وهي: أن شابًا رأى الأستاذ حرمانه من رحلة بناءً على أخطاء وقعت منه، فما كان من هذا الشاب إلا أن ترك الالتزام وهجر المجتمع الطيب، بل والطريف أن هذا الشاب كان يكنى قبل الحدث بأبي فلان (وهو اسم الأستاذ المشرف عليه) من شدة حبه له.

وانضم هذا الشاب إلى مجموعة من الأشرار، وانقطع عن الدراسة، وأصبح همًّا على والديه، كلاًّ على إخوانه وأقاربه، حتى من الله عليه بالهداية من عنده ولله الحمد.

قد يكون هناك شاب يكثر من التغيب عن الأنشطة المدرسية، أو حلقة تحفيظ القرآن، فيقوم المشرف عليه بحرمانه من بعض المزايا وبعض

الأنشطة، فيتعامل هذا الشاب مع هذا القرار تعاملاً عكسيًّا ويهجر مجتمع الطيبين، وكان عليه قبل أن يتخذ قراره أن يوجه لنفسه الأسئلة التالية:

1- هل يستحق هذه العقوبة التي وجهت له؟
2- هل التزامه إرضاءً لربه أو للمشرف؟
3- إلى أين سيتجه عند ترك الشباب الملتزم؟
4- لنفرض أن ذلك القرار كان خاطئًا بحقه فهل يستحق رد الفعل هذا؟ أليس المشرف أو الأستاذ بشرًا يخطئ ويصيب؟ ثم إذا كان لا يحبك كما تقول، هل تترك طريق الجنة من أجل شخص لا يحبك؟

على الشاب أن يكون عاقلاً في قراراته، وألا تأخذه العزة بالإثم، وعليه أن يثق بأساتذته ومن يقوموا على تربيته، وأنهم ما جعلوك تشاركهم أنشطتهم في المدرسة أو في الحلقة أو في غيرها إلا من حبهم لك، ورغبتهم في الخير، وعليك أن تعد ما حصل لك بلاء، عليك أن تتحمل نتائجه.

إنني أهمس في أذن الشاب وأقول له: إذا كنت أخطأت فتحمل نتيجة خطئك، وكن لبقًا في التعامل مع من تظنه أخطأ عليك، فإنه لا يخلو من أمرين:

1- أن يكون قراره صائبًا فيكون ذلك من قبيل التربية لك وتعويدك على تحمل نتائج أخطائك.
2- أو أن يكون أخطأ في قراره، فكن ذا صدر رحب واسع، وأحسن الظن، واحتسب ما قابلك به عند الله تعالى، وقل: لعله اجتهد فأخطأ.

* * *

المبحث الثالث

المبالغة في الاهتمام بالمدعو ثم التغير المفاجئ

وهو من الأسباب المهمة التي تؤثر على سير الملتزمين وتغير أحوالهم، والسبب في هذا الجانب هم الدعاة في الغالب، حيث يكون لبعضهم دور مؤثر دون أن يشعر بذلك بسبب الاندفاع الزائد من بعضهم وعدم التوازن، ولكي أدخل في صلب الموضوع أقول:

إن للدعاة أساليب مختلفة في الدعوة إلى الله، ويغلب على بعضهم الحماس الزائد في الدعوة، واعتبار المدعو غنيمة لا يمكن التفريط فيها، وأن خسارته تعتبر انهزامًا للإسلام والمسلمين، ويبالغ في المحافظة عليه حتى يصيب هذا الداعية الملل من جراء ذلك التدليل، ويشعر المدعو بالفرح والسرور من جراء هذا التعامل والتدليل، ومن ثم يتخلى الداعية، عن المدعو فيتألم هذا الضعيف الذي أحس بتخلي هذا الداعية عنه، مما يؤثر على نفسيته ويجعله يترك الالتزام كردة فعل متوقعة بسبب هذا التحول المفاجئ في التعامل معه، وسأذكر بعض الأمثلة لهذه التعاملات الخاطئة:

1- الإكثار من الزيارة بشكل مبالغ فيه.
2- المبالغة في تقديم الخدمات كالطعام والشراب والوقوف فوق رأس المدعو بصورة غير مستساغة.
3- الإكثار من المزاح والبعد عن الجد لدرجة يفقد خلالها الداعية هيبته واحترامه.
4- القيام بغسل ملابس المدعوين وكيها وأخذ نصيبهم من الأعمال في الرحلات وغيرها بشكل لا يخلو من التكلف.
5- الإكثار من الهدايا التي ترهق كاهل الداعية بشكل مبالغ فيه.

فعلى الداعية أن يعرف التوازن في هذه الأمور والاعتدال، ولا يظن ظان أنني أرفض هذه الطرق في التعامل، ولكن أدعو إلى التوازن والاعتدال فيها.

كما أن لبعض الدعاة أساليب أخرى غير مستساغة كخدمة المدعوين بصورة غير مقبولة لا عرفًا ولا عقلاً، كقيام بعض الدعاة بالتقرب إلى المدعو بتدليك ظهره وقدميه وربما قص أظافره كل هذا يحدث بحجة التأليف والتقريب للمدعو؟!

وبعضهم لا ينبه المدعو للأخطاء التي يقع فيها ويأثم بفعلها بحجة عدم تنفيره، ومن أجل تأليف قلبه، وقد تكون هذه الأخطاء في حقوق الله تعالى كسماح بعض الدعاة للمدعوين بشرب الدخان والخمر وسماع الغناء، بل إن بعض الدعاة قام بدعوة شارب خمر فاحتفظ له بزجاجة الخمر وسلمها له بعد الصلاة؟!!، ولا شك أن هذا فيه اعتداء على حق الله تعالى، والغاية لا تبرر الوسيلة، وفيه من التعاون على الإثم والعدوان، وإضاعة حدود الله الشيء الكثير، فمهما كانت المبررات من بعض الذين يعللون ذلك بقولهم: إننا إذا لم نسمح لهم بذلك فإنهم لن يصلوا، فأقول: وهل هذا المبرر كاف لمساعدته على منكره؟

إننا لا يمكن أن نقبل منه الإسلام بشروط يشترطها هو: +يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم" [1] وخير شاهد على ما ذكرت قصة ذلك الرجل الذي أراد أن يسمح له رسول الله × بالزنا فرفض × ذلك ووجهه التوجيه السليم[2].

(1) سورة الحجرات، آية: 17.

(2) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (22211) عن أبي أمامة رضي الله عنه وقال الهيثمي في المجمع (رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح) (129/1) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح 370. وقال عنه شعيب إسناده صحيح. انظر الموسوعة 545/36.

المبحث الرابع

حرمة جعل البدع وسيلة للدعوة إلى الله وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية حول ذلك

سئل شيخ الإسلام عن «جماعة» يجتمعون على قصد الكبائر من القتل وقطع الطريق والسرقة، وشرب الخمر، وغير ذلك. ثم إن شيخاً من المشايخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك، فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعاً يجتمعون فيه بهذه النية، وهو بدف بلا صلاصل، وغناء المغني بشعر مباح بغير شبابة، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة، وأصبح من لا يصلي ويسرق ولا يزكي يتورع عن الشبهات، ويؤدي المفروضات، ويجتنب المحرمات، فهل فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه، لما يترتب عليه من المصالح؟ مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين:

أصل جواب هذه المسألة وما أشبهها: أن يعلم أن الله بعث محمداً × بالهدى، ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا. وأنه أكمل له ولأمته الدين، كما قال تعالى: +ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ".

وأنه بشر بالسعادة لمن أطاعه والشقاوة لمن عصاه، فقال تعالى: +وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا".

وقال تعالى: +وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا ".

وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به، كما قال تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" وأخبر أنه يدعو إلى الله وإلى صراطه المستقيم، كما قال تعالى: +قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ".

وقال تعالى: +وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ".

وأخبر أنه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات، ويحرم الخبائث. كما قال تعالى: +وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ".

وقد أمر الله الرسول × بكل معروف ونهى عن كل منكر. وأحل كل طيب. وحرم كل خبيث. وثبت عنه × في الصحيح أنه قال: «ما بعث الله نبياً إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم» وثبت عن العرباض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله × موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. قال: فقلنا: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا، فقال: أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل بدعة ضلالة». وثبت عنه × أنه قالك «ما تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به».

وقال: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».

وشواهد هذا «الأصل العظيم الجامع» من الكتاب والسنة كثيرة وترجم عليه أهل العلم في الكتب. «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة» كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، وكان السلف - كمالك وغيره -: يقولون السنة كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وقال الزهري: كان مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة.

إذا عرف هذا فمعلوم أنما يهدي الله به الضالين ويرشد به الغاوين ويتوب به على العاصين، لابد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة، وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول × لا يكفي في ذلك، لكان دين الرسول ناقصاً محتاجاً تتمة، وينبغي أن يعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب. والأعمال الفاسدة نهى الله عنها.

وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقرباً إلى الله، ولم يشرعه الله ورسوله؛ فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه، وإلا فلو كان نفعه أعظم غالباً على ضرره لم يهمله الشارع؛ فإنه × حكيم، لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين.

إذا تبين هذا فنقول للسائل: إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعين على الكبائر، فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي. يدل على أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة، أو عاجز عنها، فإن الرسول × والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان، بالطرق الشرعية، التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية.

فلا يجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة، فإنه قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية، التي ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعي؛ بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان -

وهم خير أولياء الله المتقين، من هذه الأمة - تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية. وأمطار المسلمين وقراهم قديماً وحديثاً مملوءة ممن تاب إلى الله واتقاه، وفعل ما يحبه الله ورضاه بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية.

فلا يمكن أن يقال: إن العصاة لا تمكن توبتهم إلا بهذه الطرق البدعية، بل قد يقال: إن في الشيوخ من يكون جاهلاً بالطرق الشرعية، عاجزاً عنها، ليس عنده علم بالكتاب والسنة، وما يخاطب به الناس، ويسمعهم إياه، مما يتوب الله عليهم، فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلا الطرق البدعية. إما مع حسن القصد. إن كان له دين وإما أن يكون غرضه الترؤس عليهم، وأخذ أموالهم بالباطل، كما قال تعالى: + يا أيها الذين ءامنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله " فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلا لجهل، أو عجز، أو غرض فاسد، وإلا فمن المعلوم أن سماع القرآن هو سماع النبيين، والعارفين، والمؤمنين. قال تعالى في النبيين: + أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾"(1)(2).

وقد يكون المنكر فيه اعتداء على حقوق البشر كالغيبة والنميمة والسب والشتم، فقد يقوم بعض الفساق باغتياب الدعاة الصالحين وتجد الداعية يتنازل عن حقه ويطالب الآخرين بالتنازل عن حقوقهم، وهذا أمر طيب وحسن ولا شك فيه، ولكن بشرط النصح والإرشاد لهؤلاء المغتابين وعدم الاقتصار على العفو فقط؛ لأن بعض الدعاة يتكلف في قبول مثل هذا ثم ينقلب فجأة ويعامل المدعو بصورة معاكسة تمامًا غالبًا ما تكون نتيجتها ردة فعل عند المدعو، كان بإمكان الداعية تحاشيها لو سلك طريق الاعتدال والتوازن، لذا أنبه الدعاة حفظهم الله من هذا التغيير المفاجئ في أسلوب الدعوة الذي يؤثر غالبًا على نفسية المدعو، خصوصًا إذا علمنا أن من يمارس معه هذا الأسلوب يكون التزامه غالبًا قد بني على قواعد هشة، فيكون

(1) سورة مريم، آية: 58.
(2) انظر الفتاوى 625/11.

عرضة للسقوط عند أول صدمة فاحذروا يا دعاة الإسلام.

ولكي أزيد في تقريب هذا المفهوم أضرب مثلاً واقعًا لتكلف بعض الدعاة: حيث انضم أحد الشباب إلى جماعة التبليغ وتأثر بأساليبهم في الدعوة، والانضمام إلى الجماعات الحزبية بكل صورها مخالف لمنهج السلف الصالح وأحب هذا الشاب أن يمارس هذا الأسلوب في الدعوة، فانضم إلى مجموعة من الشباب وقام بخدمتهم بطريقة غريبة، لا تخلو من مشقة وكلفة حيث كان يبذل جهودًا مضنية لإراحتهم، وأذكر منها أنه يرفض ممارسة النشاط الرياضي معهم في الرحلات من أجل أن يقف خلف الملعب ويقوم بإحضار الكرة إلى زملائه، ويقدم لهم المياه الباردة وماء الوضوء والغسيل بعد اللعب بصورة متعبة ومرهقة له، ثم لم يتحمل هذه الأمور التي اعتاد عليها زملاؤه منه فتركها فجأة، مما جعله مجالاً للنقد وعرضة للَّمز، ونفروا منه لأنهم أحبوه من هذا الجانب الذي برز به أمامهم ثم تركه فجأة فوصفوه بالمتذبذب وترك بعد ذلك الالتزام ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

ومن الملاحظ أيضاً أنه ما إن يلتزم شخص مشهور إلا ويتسابق بعض الدعاة إليه، ويبجلونه، ويقدمونه للناس على أن التزامه نصرة للإسلام ويتبارون في خدمته واصطحابه معهم في كل مكان حتى لا يتركوا له فرصة للتفكير في وضعه الذي كان عليه ومقارنته بالذي هو عليه الآن، وهذا بلا شك صادر من حبهم وحرصهم على الدعوة إلى الله، وأنهم يريدون أن يبينوا للناس أن توبة هذا الفنان مثلاً اعتراف منه بخطئه، وتركه لزملائه السابقين دليل على ذلك وحث لهم أن يحذوا حذوه لينالوا ما ناله.

ولكن هل يستطيع الدعاة تحمل مثل هذه الأمور والاستمرار فيها؟ الجواب بلا تردد: لا، فتجد هذا المسكين فجأة يُترك وحيدًا يشعر بالفرق بين المرحلتين في أول التزامه والآن، فبعد أن كان دائمًا مع إخوانه في كل مكان يجد الآن نفسه وحيدًا لا أنيس ولا جليس فلا أهل الخير معه ولا أهل الشر معه، لذا تجده يفكر طويلاً ويشعر بهذا الجفاء، فتكون ردة فعله عنيفة، حيث يفاجأ الناس بانتكاسه، وقد يشعر الدعاة الذين طاروا به ثم تركوه فجأة بحرج شديد أمام الناس بسبب كلماتهم البراقة عنه وحديثهم المبالغ فيه عند أول التزامه، فهل كان الدعاة سيواجهون مثل هذه الإحراجات لو تعاملوا معه بتوازن واعتدال منذ البداية ويذكر الأخ الشيخ عادل عبد العالي في شريط له قصة أحد الدعاة الذي تعرف على شاب في مركز صيفي فبدأ يكثر من زيارته والاتصال به

حتى شعر هذا المدعو بسعادة غامرة وحب شديد لهذا الداعية الذي ملأ عليه حياته وشغل وقته ولكن بعد فترة من الزمن انقطع ذلك الداعية لانشغاله بمدعو آخر فكانت النتيجة هي انتكاس الأول. والله المستعان.

وعليك يا أخي القارئ أن تعلم أنني لا ألقي اللوم على الدعاة فقط، فهذا ليس صحيحًا، بل اللوم الحقيقي على المدعو الذي كان عليه أن يخلص التزامه لله، وألا يربطه بفلان أو علان، وأن يبادر بتربية نفسه ذاتيًّا، وأن يتخذ من الدعاة نماذج يحتذى بها، ويرجع إليهم إذا ادلهم الأمر، بل إن بعض المدعوين يدخله الغرور من هذا الجانب حيث يشعر أن الدعاة والدعوة لا يمكنهم الاستغناء عنه وأصبح يمن عليهم بالتزامه وتمسكه +يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" [1].

ومن أخطاء الدعاة: الوعود الكاذبة أو الخاطئة، وليعذرني الإخوة على هذا الوصف لكن هذا ما يحدث فعلاً عند بعضهم.

يأتي الداعية إلى رجل ابتلي بالعمل في البنوك الربوية فيذكره بربه ويبين له حكم العمل في هذه الأماكن وحرمتها، وقد يتأثر المدعو فيشكو للداعية قلة ذات اليد وأنه يتمنى عملاً شريفًا يقتات منه، فيقوم الداعية من حماسه الزائد وحبه للخير بإعطائه العهود بأن يبحث له عن عمل، أو يقول له: عندي وظيفة راتبها أحسن من راتبك المحرم، وهنا يترك هذا الموظف عمله فلا يفي الداعية بوعده لعدم قدرته على ذلك، فيصاب المدعو بصدمة لعدم تصوره أن يخلف هذا الداعية وعده؛ فيرجع إلى ما كان عليه. أما كان الأجدر بهذا الداعية أن يمارس معه أسلوب التخويف من الله، وربطه بالله، ودعوته للتوكل عليه بأن يبين له أن الرزق بيد الله +وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ "[2] وأن العمل ما هو إلا وسيلة فلا تجعل وسيلتك إلى رزقك غضب الرزاق سبحانه، ويبين له أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وليس شرطًا على الداعية أن يتكفل له بعمل بديل، ولكن لا مانع من مساعدته قدر المستطاع، وعليه أن يبين له أنه

(1) سورة الحجرات، آية: 17.
(2) سورة الذاريات، آية: 22-23.

لا يجوز له العمل في مثل هذا المكان حتى ولو لم يجد عملاً آخر، فعليه تركه دون تردد، ولو أنه عمل حمالاً فهو أشرف وأفضل له عند الله.

وليحذر الداعية من إطلاق الوعود الكاذبة أو التي لا يقدر عليها نتيجة حماسه ورغبته في إنقاذ المدعو من النار.

والأدهى من هذا أن يقوم الداعية بعد ذلك بالتهرب من المدعو، فلا هو وفى بعهده، ولا هو اعتذر له بعدم مقدرته على الوفاء حتى يبحث هو بنفسه، أو يطلب المساعدة من غيره.

فالله الله يا دعاة الإسلام بالمنهج الإسلامي في الدعوة إلى الله، والتريث والتفكير في كل ما يقدمه الداعية للمدعو، واعلموا أن الناس يقيسون جميع الدعاة بكم، بل بعضهم يحكم على الإسلام على ضوء فعلكم، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلكم.

* * *

المبحث الخامس

ضعف القدوة وإهمال دور العلماء

أحد المربين من قليلي العلم يقوم على تربية مجموعة من الشباب ويسير معهم مسارًا طيبًا، وعندما تواجه هؤلاء الشباب بعض المشكلات يقومون بعرضها عليه ويستفتونه في أمورهم فيستحيي أن يقول لهم: لا أعلم! فيجيب على بعض أسئلتهم واستفساراتهم إجابات خاطئة لا تستند إلى دليل شرعي، فإذا تقدم بهم العمر علموا خطأه وعدم نصحه لهم مما يتسبب في ردة فعل عندهم قد تؤدي إلى انتكاسهم، بل قد تؤدي إلى انتكاس المربي نفسه، حيث لم يعد قادرًا على مواجهتهم ويفضل أن يختفي عنهم، وربما اختفى عن الصالحين جميعهم؛ لأنه يرى أنه لم يعد مقبولاً عندهم، ولم يعودوا يثقون به.

ولو كان هذا المربي لبيبًا وعلم أنه إنما يربي هؤلاء الشباب ليكونوا رجالاً صالحين في المجتمع لا ليكونوا أتباعًا له لأرشدهم ولحرص على توجيههم للعلماء وطلبة العلم ليستفيدوا منهم، أما مخالفة هذا المقصود والعمل بخلافه فإن النتيجة بلا شك كما قال تعالى: +خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ"[1].

إن على المربي ربط الشباب بالعلم والعلماء وأن يكون هو متسلحًا بالعلم قادرًا على الاعتراف بضعفه العلمي متى ما رأى ذلك، لا يتحرج من أن يقول: لا أدري، حتى لا يكون سببًا في انتكاس بعض الملتزمين أو في انتكاسه هو كما سبق وليعلم أن الدعاة يتبادلون الأدوار فهذا يوجه، وهذا يعظ، وهذا يعلم، وهذا يربي، وكل يتصف بصفة تخالف صفة غيره.

* * *

(1) سورة الحج، آية: 11.

المبحث السادس

الغياب المفاجئ للقدوة

أمرنا الله سبحانه وتعالى الاقتداء بأنبائه ورسله، فقال تعالى: (فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِه)، فأمرنا الله تعالى أن نقتدي بهدائهم، فالصالح يُقتدى بما هُديَ إليه من خير، وليس الاقتداء بذاته، فإذا كان الخليل يأمرنا الله بالاقتداء به إلا قول إبراهيم لأبيه قال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ).

ومع ذلك نجد أن الشاب متحمسًا ومواظبًا على دينه وجادًّا في التزامه، لوجود الشيخ الذي يقتدي به، مما لا يترك فراغًا ولا خللاً يؤثر على تنشئته لوجوده بجواره، وهذا أمر طيب - ولله الحمد - ولكن عند غياب القدوة تضعف استقامة الشاب إلى درجة خطيرة - يصعب بعدها تقويم ما اعوَّج إضافة إلى شعوره بنوع من الضياع وفقدان الثقة بالنفس، وعدم القدرة على المواجهة، وهنا تكمن المشكلة. إن هذا الشاب قد ارتبط بهذا المربي كليًّا حتى ربط به دينه واستقامته.

وغياب المربي لا شك أنه سوف يترك أثره مهما كانت أسباب غيابه؛ لأنه اتخذه قدوة له، سواء كان غيابه مؤقتًا أو دائمًا أو طبيعيًّا ومن ذلك:

1- سفره.
2- انتقال عمله إلى خارج منطقة هذا الشاب.
3- تعيينه خارج منطقة الشاب، وهذا هو أكثر أسباب غياب القدوة.
4- الوفاة.
5- انتكاس المربي وغيابه عن الساحة الدعوية، بل قد يتحول إلى الضد والعياذ بالله مما يؤدي إلى حدوث خلل وشرخ كبير بعقل الشاب وتدينه فكم من شاب انتكس بسبب انتكاس شيخه وضعف لضعفه، وضاع لضياعه.

وإن هذا يعود لأمور:

1- إن هذا الشاب لم يربط دينه بربه.
2- الخلل من المربي ابتداءً.

3- إن الشاب جعل المربي قدوة رئيسة له، والمفترض أن يكون قدوة فرعية لأن القدوة الذي لن نخذل به أبدًا هو محمد ×.

قال تعالى: +"لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"[1].

كذلك يقتدي بالصحابة الكرام وصالحي الأمة الأموات يقول ابن مسعود:«من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ×، كانوا خير هذه الأمة»[2].

فكم من شاب كان ملء السمع والبصر، ثم فقد بسبب غياب شيخه، والنماذج في هذا الباب كثيرة منها: أن أحد الشباب كان مولعًا بشيخه، وكان الشيخ يملك من القدرة على كسب القلوب وربط الشباب به الشيء الكثير، وتكنى هذا الشاب باسم شيخه من شدة تعلقه به، وحفظ القرآن والمتون، ثم فجأة تغير الشيخ حتى غادر الساحة وتبعه جمع من أصحابه وعلى رأسهم هذا الشاب.

إن على الشاب أن تكون استقامته نابعة من ارتباطه بربه جل وعلا، لا بشخص مهما كان، وعليه أن يتذكر الموقف الصعب الذي كان عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - عندما مات النبي - × - ولم يربطوا الإيمان بوجود شخصه - × - فعن ابن عباس: « أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر فقال أبو بكر: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ».

قال تعالى: +"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ".

وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها[3].

فانظر إلى هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم، كيف استمروا على ما هم عليه مع أن المفقود هو أعظم البشر - × - فلم يجعلوا الذهول يتجاوز دقائق، ثم استمروا على ما كانوا عليه رضي الله عنه.

---

(1) سورة الأحزاب آية رقم: (21)
(2) انظر حلية الأولياء 306/1.
(3)أخرجه البخاري كتاب المغازي باب مرض النبي × ووفاته حديث رقم (4454).

إن على الشاب ألا يربط الاستقامة بوجود شخص مهما كان مستواه، بل يربط دينه واستقامته وعبادته بربه جل وعلا.

* * *

المبحث السابع
عدم المتابعة من المربي

لقد كان رسول الله × حريصًا على تفقد أصحابه فها هو بعد صلاة الفجر يسأل أصحابه، عن أعمالهم في هذا اليوم فيسأل عن المتصدق، وعمن عاد المرضى، ومن تبع الجنائز ليعرف مدى تمسك أصحابه بهذه الخصال الطيبة، وليثني على من أداها، ويندب البقية على أدائها. بل ها هو يسأل أصحابه عن امرأة كانت تقم[1] المسجد عندما افتقدها[2]، وكل ذلك حرصًا منه × على ألا يصيب أصحابه ما يمنعهم من أداء الأعمال، ويعالج ما عندهم من نقص وقصور، فيسأل عن عبد الله بن عمر، ثم يثني عليه، ويقول: «نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل»[3] فحرص الرسول × على متابعة أصحابه جعله ينبه عبد الله لما حصل عنده من قصور، بل ويستمر على متابعته لعبد الله ليعلم مدى حرصه على معالجة هذا النقص، فلما علم بمعالجة هذا الصحابي لما اعتراه من نقص بهذا النفل، أوصاه × بألا يدع قيام الليل، فحفزه لذلك، وقال له: « يا عبد الله لا تكن كفلان كان يقوم الليل فتركه»[4]، والأمثلة في هذا كثيرة، ولكنني أقف ههنا وأقول: إن المسلم عليه أن يتابع من استرعاه الله، وكما جاء في الحديث: « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[5] فالأب مطالب بمتابعة أبنائه، فعليه عندما يلاحظ عليهم أي خطأ أن يبادر باجتذاذه من أصوله قبل استفحاله وكذلك يجب مثل ذلك على الصاحب نحو صاحبه، والوالدة تجاه ولدها والأخ تجاه أخيه، والجار نحو جاره، والقريب نحو قريبه، ولكن تظل المسؤولية الكبرى على الأستاذ والشيخ المربي؛ لأنه يعتبر وعاء أسرار التلميذ فيكشف له ما لا يكشفه لغيره ويتقبل غضبه ومتابعته، فعلى الشيخ عندما يلحظ على تلميذه أي صورة من صور الفتور والتي سأورد بعضها ألا يقف مكتوف الأيدي، وألا يؤجل

(1) تزيل القمامة.
(2) انظر أصل الخبر في صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر بعدما يدفن، حديث رقم (1337) ومسلم حديث رقم (959).
(3) أخرجه البخاري في كتاب التهجد باب التهجد بالليل حديث رقم (1121).
(4) أخرجه البخاري برقم (1152).
(5) أخرجه البخاري في كتاب العتق باب كراهة التطاول على الرقيق رقم 2554 ومسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل برقم 1829.

الموضوع؛ لأن التأخر في معالجة هذه الظواهر عواقبه بلا شك وخيمة وكلما تأخر الشيخ يومًا بالمعالجة صعب عليه العلاج ومن الظواهر ما يلي:

أ- التغيب عن الدروس أو التأخر عن الحضور.

ب- الإهمال في الحفظ أو عدم الحرص على متابعة الدروس.

ج- تخفيف مقدار المحفوظ من القرآن يوميًا.

د- أخذ شيء من اللحية أو إطالة الثياب.

هـ- تغير بعض صفات الطالب، كأن يكثر المزح أو يميل للعزلة أو يكثر من الغضب أو الإساءة إلى الآخرين، وهذه الظواهر قد يتخذها الشباب لتكون ذريعة لتركهم للجماعة أو لفت الأنظار، فعلى المربي المبادرة بعلاج هذه الظواهر ومناقشة أصحابها وعلاج مشكلاتهم حتى لا تكون بداية النهاية، وأذكر موقفًا مر بي شخصيًّا حيث لاحظت على أحد الشباب تغيرًا في تعامله وتأخرت في معالجته حتى استفحل وزاد ثم فوجئت بانقطاعه، فبدأت ألتمس له الأعذار دون التأكد من وضعه حتى طال غيابه، فذهبت لزيارته فوجدته شخصية أخرى، فحاولت معالجته ولكن سبق السيف العذل، ولا أريد أن أطيل ولكنها مجرد همسات في أذن كل من استرعاه الله رعية، كما لا أنسى أن أوجه أئمة المساجد أن يحرصوا على متابعة مأموميهم عند ملاحظة تغير من حيث التأخر بالحضور، أو الاستعجال بالانصراف بعد الصلاة، أو إهمال السنن الرواتب بصورة لم تكن معروفة عنهم، لكي لا يتأزم الوضع.

وأذكر أن شابًّا كان يسابق المؤذن بالحضور، ثم بدأ يصلي بأطراف الصفوف، ثم الصفوف الخلفية، ثم أصبحنا لا نراه إلا في المناسبات.

وأعتقد أن جماعة المسجد وعلى رأسهم الإمام لو بادروا لمعالجة هذا الشاب لما وصل إلى هذه الحال. والله الموفق.

* * *

المبحث الثامن

سوء ظن المتربي

إن من الأمور التي تسبب الانتكاسات عند الشباب سوء الظن، وهذا أمر يلحظه من يمارس العملية تطبيقيًّا.

حيث إن الشباب في المراحل المتوسطة والثانوية وبداية الجامعة يمتلكون مشاعر مرهفة وحساسية مفرطة، ويؤولون الأمور على غير مقاصد أصحابها وتكون نتيجة هذه التأويلات خطيرة وخطيرة جدًّا.

شابًا من خيرة الشباب وكان معلمه عليه يحبه ويقربه ويؤلف قلبه، وبعد أن حسن التزامه وصار قادرًا على المحافظة على دينه وشعر بأهمية التزامه عندئذ تفرغ الأستاذ لمتابعة غيره وخفف من التركيز عليه، وبدأ هذا الشاب يشعر بجفاء الأستاذ نحوه وأساء به الظن، ولكنه كان ذكيًا حيث ذهب للأستاذ وناقشه بصراحة، فأخبره الأستاذ بالأسباب، فقال له: والله لقد أسأت بك الظن ودارت بي الدوائر وحامت حولك الشكوك، أما إن كان هذا هدفك وتلك نيتك، فلا أغضب بعدها أبدًا.

السؤال الذي يطرح نفسه: لو لم يكن هذا الشاب عاقلاً وعرف كيف يحل المشكلة ألا تكون النتيجة سيئة؟ أعرف شابًّا حدث له نفس الموقف لكنه ترك جماعته وأخطأ بحق الأستاذ ورفض المناقشة وبعد مدة أفشى هذا الشاب سره، وكان سبب انتكاسه أنه أساء الظن بالأخيار واتهمهم أنهم أصحاب مصالح، ومن هذه القصص قصة شاب ارتبط مع إخوانه الطيبين وكانت معه سيارة تحملهم، وكان لا يبخل بها عليهم، وفي يوم من الأيام تعطلت سيارته فنسي الأستاذ المرور عليه فغضب وترك الشباب وعند مناقشته قال: هم لا يريدونني إلا من أجل سيارتي وأساء بهم الظن وحاولوا إقناعه ولم يستطيعوا إلا بعد أن أقسم الأستاذ ألا يركب سيارة هذا الشاب أحد من الطلبة، وبعد أن عاد بفترة عرف أن حبهم له كان لوجه الله تعالى وليس لسيارته.

وآخر كان في رحلة مع زملائه وشك في أحدهم، وكاد أن يترك الالتزام بناء على هذا الشك.

إن الحكم على الآخرين بناء على الشكوك والظنون ثم اتخاذ القرارات بناء على هذه التصورات تؤدي إلى نهاية مأساوية للالتزام، إن الوسوسة وسوء الظن مبعثها غالبًا الشيطان +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ

فَتَبَيَّنُوٓاْ" (1)، +إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ"(2).

إن على المسلم أن يلتمس العذر لأخيه وكما ورد عن بعض السلف «التمس لأخيك سبعين عذرًا فإن لم تجد فقل: لعل له عذرًا لا أعرفه»(3)، هذا هو واجب المسلم نحو أخيه ونحو نفسه، ثم إني أهمس همسة وأقول: لماذا يكون الالتزام دائمًا هو الضحية؟ هل نحن نلتزم لله أم للناس؟ إن الإنسان يتعجب من شاب يجلس مع الصالحين سنين ثم بمجرد انقطاعه عنهم أو حدوث أي أمر له من سوء ظن وغيره من الأسباب السابقة يكون الضحية هو الالتزام. فأين مراقبة الله تعالى؟ وأين العمل للدار الآخرة؟ وأين من يبيعون الدنيا ويشترون الآخرة؟.

* * *

(1) سورة الحجرات، آية: 6.
(2) سورة الحجرات، آية: 12.
(3) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان 36/20 برقم (10684) برواية مختلفة قليلاً: قال حمدون القصار: «إذا زل أخ من إخوانكم فاطلبوا له سبعين عذرًا، فإن لم تقبله قلوبكم فاعلموا أن العيب في أنفسكم..» وقال المحقق إسناده جيد.

المبحث التاسع

عدم اختيار المتربي ما يلائمه

قد يكتسي هذا العنوان بعض الغموض وخاصة عند من ليس مجاله التربية، ولكي أوضح الصورة للقارئ الكريم أقول: قد يتأثر أحد الشباب بأسلوب داعية من الدعاة ثم يطلب من هذا الداعية أن يصحبه معه لينهل من علمه ويسترشد بإرشاده، وقد يكون الدافع لهذا هو الحماسة، ثم يجد هذا الشاب نفسه بعد فترة يعيش حالة ملل من جراء عدم التأقلم مع هذا الوضع ثم تكون النتيجة انتكاسه، ولو كان ذكيًّا لالتحق مع مجموعة توافقه في الأفكار فيتدرج معها في التعلم والمعرفة، حيث لن يجد صعوبة في التكيف معهم، فمثلاً شاب في المرحلة المتوسطة ينضم إلى مجموعة من الجامعيين فتكون الدروس والبرامج فوق مستواه مما يسبب له مفارقة هؤلاء الأصحاب والعكس صحيح فمثلاً شاب في المرحلة الجامعية يلتحق مع مجموعة من الشباب في المرحلة المتوسطة تكون برامجهم غير ملائمة له مما يسبب له الملل ومن ثم يترك تلك المجموعة إيذانًا بانتقاله لمرحلة أخرى، كذلك هناك من الشباب من يقرأ كتبًا أعلى منه مستوى فيصاب من جراء ذلك بملل أو عدم قدرة على استيعابها وفهم محتوياتها فتسبب عنده بعض الشبه والشكوك وتكون نهايتها تركه لهذا الطريق.

وقد يقرأ الشاب كتبًا علمية مليئة بالعجائب والغرائب مما قد لا يتصورها العقل البشري الناقص وخاصة من لم يزك بالعلم فتكون نتيجتها شرًّا عليه ووبالاً، وأذكر في هذه المناسبة قصة حدثني بها أخ سوداني حيث قال لي: إن له خالاً مولعًا بالقراءة والاطلاع ولكن مشكلته أنه يقرأ كتبًا تفوقه بمراحل وإذا نُصِحَ لا يستنصح وإذا قيل له: استشر لا يستجيب، فاستمر على وضعه حتى قرأ أحد الكتب لعلم من الأعلام وما إن أنهى المجلد الأول إلا وقد أعلن الردة والخروج عن الملة حيث إن هذا الكتاب الذي يقرأ فيه مليءٌ في جزئه الأول بالعجائب والغرائب التي حار عقله فيها لضعف علمه.

فعلى الشاب أن يستشير دائمًا: من يصاحب؟ وماذا يقرأ؟ وفي كل شيء يحاول الاستشارة ليسلم من الانتكاس إن شاء الله.

* * *

المبحث العاشر

تقاعد الدعاة عن الدعوة اكتفاءً بما سبق

قد يكون الشاب في بداية التزامه وتوهج شبابه شعلة من النشاط في الدعوة يؤثر على الأهل والأصدقاء والجيران يدعو هذا وذاك ويهدي لهذا شريطًا ولذاك كتابًا، سيارته مليئة بالأشرطة والكتيبات يوزع في كل مكان رجاء ما عند الله، يساهم في البرامج والأنشطة فلا تجد مشروعًا خيريًّا إلا وله فيه يد حتى أصبح علمًا في مجتمعه، وفي حيه، وفي مدرسته، وعند أهله وزملائه، ولكن عندما يتخرج من الجامعة ويبدأ المراحل العملية في حياته تجده قد انطفأ وترك العمل!!

وعند سؤاله عن سبب ذلك يقول: نترك هذه الأعمال للشباب ونتيح لهم الفرصة! وبعضهم قد يقول كلامًا أخطر فيقول: عندنا من الحسنات ما يكفي! سبحان الله ما هذه الجرأة؟! هل ضمنت القبول؟

هل ضمنت عدم النكوص؟ أما تخشى أن يؤثر موقفك هذا على التزامك؟ هل ضمنت قبول الله لما قدمته في ماضي أيامك؟ رب سيئة أدخلت صاحبها الجنة، ورب حسنة أدخلت صاحبها النار، فشخص يعمل حسنة يغتر بها ويبدأ يمن بها على الله حتى يختم الله على قلبه ويدخله النار، وآخر يعمل سيئة فيخاف من غضب الله ويبدأ بعمل الطاعات لتكفيرها ويرى أنها كبيرة لا يكفرها أي عمل حتى يرحمه الله فيدخله الجنة.

أو ما قرأ هؤلاء قول الحق تبارك وتعالى: +وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ" لقد بين علماء السلف بأن من معاني هذه الآية كما قال ابن جرير: لا تمنن عملك تستكثر على ربك، وقيل: لا يكثر عملك في عينك، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل[1].

وقال القرطبي: ولا تمنن على ربك بما تتحمله من أثقال النبوة، كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير.

وقيل: لا تستكثر عملك فتراه من نفسك، إنما عملك منة من الله عليك،

(1)انظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (302/12). انظر البغوي (265/8) وانظر فتح البيان (405/14).

إذ جعل الله لك سبيلاً إلى عبادته[1].

وقال الآلوسي: ولا تمنن: لا تستكثر، لأن من شأن المان بما يعطي أن يستكثره أي يراه كثيرًا ويعتد به[2].

ويوجهه إلى إنكار ذاته وعدم المن بما يقدمه من الجهد، أو استثكاره واستعظامه: +وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ".... وهو سيقدم الكثير، وسيبذل الكثير، وسيلقى الكثير من الجهد والتضحية والعناء. ولكن ربه يريد منه ألا يظل يستعظم ما يقدمه ويستكثره ويمتن به..... وهذه الدعوة لا تستقيم في نفس تحس بما تبذل فيهما. فالبذل فيها من الضخامة بحيث لا تحتملها النفس إلا حين تنساه. بل حين لا تستشعره من الأصل؛ لأنها مستغرقة في الشعور بالله، شاعرة بأن كل ما تقدمه هو من فضله ومن عطاياه. فهو فضل يمنحها إياه، وعطاء يختارها له، ويوفقها لنيله.

وهو اختيار واصطفاء وتكريم يستحق الشكر لله لا المن والاستكثار.

فإذا كان المخاطب هنا هو صفوة البشر محمد - × - فكيف بغيره؟! إن العاقل الذي يحمد ربه على أن وفقه ليكون داعيًا إليه +وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ"[3] فهذه وظيفة الأنبياء، فكيف نتركها اكتفاءً بما سبق لك عمله؟ فلا تتقاعد عن العمل في سبيل الله، بل كلما طالت بك الحياة اعمل وأفد الناس من خبرتك فلقد أصبحت أكثر قدرة على التأثير.

إن ترك العمل الدعوى سبب رئيس من أسباب الانتكاس، وذلك بما يحدثه من فراغ مضر على الداعية يجب أن يتنبه له.

أعرف شبابًا كانوا رموزًا في الدعوة والالتزام وقد التزم على أيديهم كثير من الشباب، واستطاعوا بفضل الله أن يحولوا بيوتًا بأسرها ومجتمعات بغالبها إلى التدين والالتزام، ثم ماذا بعد؟ أصبح التلاميذ أنشط في الدعوة وأحرص، أما أولئك فقد اكتفوا بما زرعوه في الماضي، حتى أصبحت جلساتهم جلسات أنس وسمر، فضعف التزامهم بل بدأ يتلاشى، وأصبحت إجازاتهم بدلاً من أن تكون فرصة للدعوة إلى الله أصبحت للترفيه والتنزه،

(1)انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (20/19، 45).
(2)انظر روح المعاني للآلوسي (206/16).
(3) صورة فصلت آية: 33.

نسأل الله العافية والسلامة، وآخرون أسلم على أيديهم خلق كثير - بفضل الله - ثم تركوا الدعوة، وقالوا: إن هؤلاء كلما عملوا عملاً كان لنا مثل أجورهم؛ لأن إسلامهم أو التزامهم كان على أيدينا، سبحان الله ألهذا الحد وصل التفكير عندهم؟ ألهذا الحد عبث الشيطان بعقولهم؟!.

إن من المؤسف أن يتحول دعاة مؤثرون إلى أصحاب رحلات وأنس وترفيه عن النفس بين يوم وليلة اكتفاء بما قدموه في الماضي، إن الداعية الحقيقي لا يكل ولا يمل ويجتهد بكل ما أوتي من قوة، وكلما تقدم به العمر زادت خبرته فوظفها لصالح الدعوة إلى الله، وإذا مل من مجال انتقل إلى مجال آخر، ولنا أسوة حسنة في سلفنا الصالح الذين دعوا إلى الله من بداية وعيهم إلى أن أصبحوا على سرير الموت +وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ " [1].

* * *

(1) سورة الحجر، آية: 99.

الفصل التاسع
دور البيئة في الانتكاس

وفيه مباحث:
المبحث الأول: ضغط البيئة ودوره في الانتكاس.
المبحث الثاني: عدم الهجرة في سبيل الله.
المبحث الثالث: عدم تكيف المسلم مع بيئته.
المبحث الرابع: الهجرة إلى بلاد الغرب.

المبحث الأول

ضغط البيئة ودوره في الانتكاس

1- لا شك أن للبيئة آثارًا على أهلها، ولذا نهى النبي × عن معاشرة المشركين، ومجالستهم والسكن معهم حماية للمؤمن من أن يصاب في دينه، قال جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه -: بعث رسول الله × سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس منهم بالسجود فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبي × فأمر لهم بنصف العقل وقال: « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «لا تراءى ناراهما»[1].

إن السر في هذا المنع ما قد يصيب المؤمن من تأثر بهذه البيئات الفاسدة التي ضاعت فيها المبادئ والأخلاق والأديان، فأصبحت مجتمعات بهيمية، أسمى أهدافهم تحقيق رغباتهم ونيل شهواتهم + إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا "[2].

لذا فلا يجوز للمسلم أن يسافر إلى هذه البلدان إلا لضرورة كالعلاج أو الدراسة أو التجارة، وهذه الضرورة لها ضوابطُ شرعية ليست مجالاً لبحثنا، ومن أهمها:

1- أن يكون عنده علم لدرء الشبهات.
2- أن يكون عنده دين لدرء الشهوات.
3- أن يكون محتاجاً لهذا السفر إما لدراسة أو علاج.

وإنني هنا أتحدث عن الآثار السيئة التي تحدثها هذه المجتمعات غالبًا على من يعيش فيها فمثلاً:

أعرف رجلاً مستقيمًا محافظًا على دينه راعيًا للأمانة التي استرعاه الله إياها ومثالاً يحتذى به، فهو محل للتفوق في جميع شؤون حياته، ولقد استطاع هذا الرجل في فترة وجيزة من التزامه أن يحول بيته إلى مجتمع مثالي خال من جميع آلات اللهو والفساد، وأمر أهله بالحجاب ومنعهم من الاختلاط بغير المحارم وجلب الكتب والأشرطة النافعة لهم، وسايره التفوق في عمله

---

(1) أخرجه أبو داود في السنن حديث رقم (2645) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود وقال: صحيح دون جملة أمر لهم بنصف العقل 2/2645 باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود.
(2) سورة الفرقان، آية: 44.

كذلك مما جعله يرشح لدورة علمية في مجال تخصصه في إحدى بلدان الكفر، فوافق عليها دون تردد ودون أن يحسب أي حساب لما في هذه البلاد من الفتن والفساد، وسافر فعلاً إليها فانخدع بهذا المجتمع الكافر وأعجب بأهله وببريقه الزائف، وانتهت دورته وعاد إلى أهله وقد امتلأ قلبه بصور شتى من الانحراف، وحول البيت الصالح إلى مجتمع جاهلي، واستهزأ بمبادئ الالتزام، وأهدر قيم الدين وأصبح بيته مثالاً سيئًا ووكرًا للفساد، ولا شك أن هذا من تأثير البيئة والنظر إلى الأمور بسطحية.

1- رجلاً سافر إلى بلاد الغرب وقد كان مثالاً للمسلم في بلده وقدوة حسنة بين إخوانه، ولكن مكثه في هذا البلد الكافر بضع سنين حوله إلى إنسان آخر، لا يمت إلى ماضيه القديم بأي صلة فلقد أثرت البيئة عليه، فأفقدته كل بريق كان يتحلى به قبل سفره.

2- (وآخر سافر إلى تلك البيئة نفسها فلم يستطع الصمود أكثر من سنة غرق بعدها في المعاصي إلى ما فوق أذنيه، ثم انقطعت أخباره واختفت آثاره، ولا زلت حتى اليوم أذكر رسائله التي راسلني بها في عامه الأول وهي مليئة بالنقد والتعريض بالعاملين في مجال الدعوة ثم كانت نهايته السيئة بالانحراف والله المستعان).

وقد يسأل سائل فيقول: ما العوامل التي تؤدي إلى حصول هذه الانهزامات والانتكاسات فأقول:

أ- هناك من لا يعي خطورة الوضع وصعوبة الطريق وثقل الحمل عندما يعيش في تلك المجتمعات، فلا يعد للأمر عدته عند ذهابه لها، فتجده يسقط عند أول اختبار. إن طريق الالتزام مليء بالأشواك التي من لم يتحملها فمآله الخسارة والهلاك.

ب- هناك من يكون التزامه غير مبني على أساس صحيح، فقد تكون عنده بعض الشبه والانحرافات الخلقية والسلوكية، فهذا يسقط عند الاختبار الأول لعدم وجود الأساس القوي من الدين الذي يردعه عن اتباع هواه ونيل شهواته.

جـ- هناك من يكون التزامه من قبيل العادة والمحاكاة لمجتمعه الذي يعيش فيه، فبمجرد انتقاله من هذه البيئة إلى بيئة أخرى تجده يسقط سقوطًا ذريعًا؛ لأن التزامه إنما كان بناء على عوامل الخجل والتقليد، وبزوال السبب يزول المسبب.

د- قد يكون سبب هذا الانحراف تغييره لجلسائه في بيئته الثانية، حيث يستبدل بأهل العلم والدعوة أهل الكأس والغانية، وهنا بداية السقوط، ومما يذكر أن أحد الدعاة كان إذا ودع أحد إخوانه إلى بلاد الاغتراب للدراسة أو العمل حذره من اثنين: المرأة الأولى والكأس الأولى.

هـ- عدم الخوف من الفتنة وترك الحيطة والحذر؛ لأن عدم عمل أي حساب لما في تلك البلاد من انحرافات إيذان بالسقوط إلا أن يشاء الله.

وأختم هذا بهمسة لأبناء المسلمين الذين يتوسم فيهم الخير والصلاح فأقول لهم: إن منكم من يتمسك في بلده، وبمجرد تحوله إلى غيرها نجده يتحول إلى إنسان آخر، إن من أبناء المسلمين من يرفض الاختلاط ويتأفف منه ويحث أهله على التستر والتحشم وهذا أمر طيب ولله الحمد، لكنك تجد هذا الأخ عندما يسافر خارج بلده لا يمتنع عن دخول أماكن الاختلاط بنفسه وربما اصطحب أهله معه كذلك.

3- وأضرب لك مثلاً بشاب صالح من سكان أحدى البلاد الإسلامية كان تقيًّا ورعًا فيما يظهر لنا، ومن المتحمسين للدعوة وممن أظهر الناس له القبول، وعندما يذهب إلى خارج بلده تجده يتخلى عن قيمه ومبادئه، فتجده يسمح لنفسه بمشاهدة القنوات الفضائية في مقر سكنه مع ما تحمله هذه القنوات من مفاسد وتجده لا يمانع من جلوس أهله على الشاطئ مع ما في ذلك من اختلاط دون اكتراث أو مبالاة مع وجود أماكن لا اختلاط فيها؛ لماذا هذا الشاب يرفض الاختلاط بكافة صوره وهو في بلده، ويرضاه عندما يتحول منها؟ هل رفضه في السابق تقليدًا وعادة بغض النظر عن كونه أمرًا شرعيًّا يجب عليه التمسك به؟ إنها أسئلة تحتاج إلى من يجيب عنها.

بعض هؤلاء لهم حجج، فمنها أن هذه فترة مؤقتة، وهي لا تعدو كونها سياحة وترفيهًا عن النفس لا أقل ولا أكثر؟

فأقول لهم: هذا العذر أقبح من الذنب، فهل يرفه المسلم عن نفسه بما حرم الله عليه؟ وهل مشاهدة أفلام العهر والمجون ترفيه عن النفس؟ إذا كنت تدري أن هذا حرام فلماذا تقبل عليه؟

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظَمُ

4- لماذا يلبس بعض أهل الصلاح زي غيرهم من الفساق عند انتقالهم إلى بلاد غيرِ بلادهم، إن هذا من أهم أسباب الانتكاس لما يزرعه في القلب من أمراض خطيرة تتفجر بين الفينة والأخرى، يقول لي أحد الأخوة: إن

صديقه إذا ذهب إلى الشرقية، - نعم الشرقية هذا المكان القريب من مدينته، وفي بلد التوحيد - لا يمنع زوجته من التبرج، بل ويتحول إلى إنسان آخر، وقح سمج لا دين ولا خلق ولا مراقبة. والله المستعان.

وبسبب هذا وأمثاله أصبح من بعض أهل الصلاح نماذج لا يحتذى بها، إن هناك من الملتزمين من يتحول إلى مراهق عندما يغادر بلده ولو بمقدار ميل.

إن على المسلم الحق أن يعرف صعوبة الطريق وأن يراقب الله في سره وعلنه وفي حله وترحاله، ولا يرضخ لشهوات نفسه ورغباتها الجامحة، وباختصار عليه ألا يحمل شخصيات مزدوجة تؤدي أدوارًا معينة في أماكن معينة، فهو في بلده التقي النقي الصالح المصلح، وفي غير بلده الفاسق الفاجر صاحب الشهوة والرذيلة.

إن هؤلاء غالبًا ما تكون نهايتهم نهاية مؤسفة، انتكاسات وفضائح في الدنيا،والآخرة، لأن أصحاب الأزدواجية لا يستمرون طويلاً، وسقوطهم أمر محتم لا محالة وهو بالنسبة لهم غير مفاجئ، لكن المفاجأة تكمن فيمن يعرفونهم ويحسنون الظن بهم فيصدمون مما يرون منهم.

والعلاج لمثل هذه الحالات يحتاج إلى عزيمة وقوة إرادة من الإنسان نفسه، ويحتاج إلى تعقل في اتخاذ القرارات خاصة في السفر للخارج.

فلا بارك الله في شهادة تتسبب في انحراف المسلم عن دينه، ولا نفع الله بمال في الدنيا يتسبب في إفلاس صاحبه في الآخرة.

وأعود فأقول: إن هؤلاء قلة بالنسبة لغيرهم - ولله الحمد، لكن عليهم دراسة واقعهم جيدًا ومن جديد، لأننا لا نريد أن نخسر أي شخص يدعو إلى الله تعالى.

* * *

المبحث الثاني
عدم الهجرة في سبيل الله

إن الهجرة هي الفرار بالدين من المحن والفتن إلى محل يأمن فيه المسلم على نفسه ودينه من الآثام.

إن ترك الهجرة والمكث في بلاد الفتن ومواطنها من أهم وأخطر العوامل التي تؤدي إلى الردة والعياذ بالله، فكم من مسلم فارق دينه بسبب معاشرة الكافرين، إن المسلم مطالب بحماية دينه والمحافظة عليه، ولو أدى ذلك إلى التضحية بالأموال والأولاد فليس هذا بكثير على دين ارتضاه الله للبشرية جمعاء وأمرهم بالتمسك به والعض عليه بالنواجذ.

إن الآيات القرآنية تدعو صراحة للهجرة، بل ونصت على أن من لم يهاجر فهو ظالم، وقبل أن أستعرض الآيات والأحاديث في هذا المجال لا بد أن يعلم القارئ الكريم ما كان في هجرة الرسول × وأصحابه من الدروس والعبر.

قال تعالى: +يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعۡبُدُونِ"[1].

قال الإمام ابن جرير الطبري: «إن المراد بسعة الأرض أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله فلم تقدروا على تغييره فاهربوا منه

ثم ذكر قول سعيد بن جبير: إذا عمل فيها بالمعاصي فاخرجوا منها.

ثم قال: وأولى الأقوال في الآية إن أرضي واسعة فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي لدلالة قوله تعالى: +فَإِيَّـٰىَ فَٱعۡبُدُونِ"، والمعنى - والله أعلم - أن الأرض إذا وصفها الله بالسعة فالغالب من وصفه إياها بذلك أنها لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع»[2].

وذكر القرطبي عن ابن عباس أنه قال: لما أمر الرسول × الناس بالهجرة من مكة إلى المدينة منهم من تعلقت به امرأته وولده يقولون له: ننشدك الله ألا تضيعنا، فيقر لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله +قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ

(1) سورة العنكبوت، آية: 56.
(2) انظر تفسير الطبري سورة العنكبوت، آية: 56. بتصرف يسير 156/10.

وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ "[1].

قال الطبري: يقول الله لنبيه ×: قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام المقيمين بدار الشرك إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وكانت أموال اقترفتموها أي كسبتموها، وتجارة تخشون كسادها بفراقكم بلدكم ومساكن ترضونها فسكنتموها أحب إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله من دار الشرك، ومن جهاد في سبيله أي: في نصرة دينه الذي ارتضاه، (فتربصوا): أي انتظروا حتى يأتي الله بأمره بفتح مكة،+ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ "[2]، والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته المقيمين على معصيته » [3]. اهـ.

فانظر - رحمك الله - كيف ذم الله من ترك الهجرة خوفًا على أولاده وأمواله علمًا أنه يجب أن تكون جميع هذه الأشياء فداء للإسلام، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه -:

فإن أبـي ووالـده وعـرضي لعـرض محمد منـكم فـداء

فكل ما سبق لا يساوي شيئاً أمام عزة الإسلام ورفعته، وهذا أمر لابد من معرفته فعندما يكون دينك في خطر فالنجاة النجاة قبل السقوط والوقوع في الشرك والكفر والفسق والضلالة.

واحذر أن تكون ممن وصفهم الله بالظلم لتركهم الهجرة فقال سبحانه:+ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ "[4].

قال ابن كثير:نزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين أظهر

(1) تفسير القرطبي (سورة التوبة آية 24، 60/8 بتصرف يسير.
(2) انظر تفسير الطبري سورة التوبة، آية: 24، 339/6.
(3)انظر تفسير الطبري سورة التوبة، آية: 24، 339/6.
(4) سورة النساء، آية: 97.

المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة دينه فهو ظالم لنفسه مرتكب حرامًا بالإجماع وبنص هذه الآية[1].

قال الشوكاني: «استدل بهذه الآية على أن الهجرة واجبة على من كان بدار الشرك أو بدار يعمل فيها بالمعاصي جهرًا، إذا كان قادرًا على الهجرة ولم يكن من المستضعفين، لما في هذه الآية من العموم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وظاهرها عدم الفرق بين مكان وآخر وزمان وآخر»[2]

قال تعالى: +قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ"[3].

قال ابن كثير عن عطاء: « إذا دعيتم إلى معصية الله فاهربوا، ثم قرأ قوله تعالى: +أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ " »[4].

وعن مجاهد: فجاهدوا فيها وهاجروا واعتزلوا الأوثان[5] فالهجرة من دار الشرك لا تخص مكانًا دون مكان والمراد بدار الشرك أن يكون الحاكم على الأرض كافرًا؛ لأن الناس على دين ملوكهم والأرض لمن غلب عليها.

أقوال أهل العلم في الهجرة:

إن وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى دار الإسلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وقد حكى الإجماع على وجوبها الإمام الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: +إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ"[6] الآية.

قال ابن القيم في الزاد: منع الرسول × إقامة المسلم بين المشركين إذا قدر على الهجرة من بينهم[7].

قال ابن حجر: «قال الخطابي وغيره: كانت الهجرة فرضًا في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما

(1) تفسير ابن كثير (سورة النساء، آية 97، 1500/4.
(2) فتح القدير (سورة النساء، آية: 97) 637/1.
(3) سورة الزمر، آية: 10.
(4) سورة النساء، آية: 97.
(5) سورة النساء، آية: 97. لابن كثير 3031/7.
(6) (انظر تفسير ابن كثير لسورة النساء آية 97، 1500/4.
(7) انظر زاد المعاد، 111/3.

فتحت مكة دخل الناس في دين الله أفواجًا، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو وكانت الحكمة أيضًا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار، فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه، وفيهم نزلت: +إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ" الآية.

وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج.

ثم قال: قال الطيبي: الهجرة من الوطن إما للفرار من الكفار، أو إلى الجهاد، أو إلى غير ذلك كطلب العلم فانقطعت الأولى وبقيت الأخريان، فاغتنموها ولا تتقاعدوا عنهما بل إذا استنفرتم فانفروا.

قال ابن حجر معقبًا على هذا الكلام:

ثم قال: قال ابن العربي: الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار السلام، وكانت فرضًا في عهد النبي ×، واستمرت بعده لمن خاف على نفسه، والتي انقطعت أصلاً هي القصد إلى النبي × حيث كان »[1].

ومما ذكره الشيخ حماد الأنصاري في كتابه إعلام الزمرة باب في الثناء على المهاجرين حيث قال: إن الله - تعالى - أثنى على من هاجر +۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"[2][3].

قال ابن كثير: «في هذه الآية ترغيب في الهجرة وفي مفارقة المشركين، وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة وملجأ يتحصن فيه، قال الشاعر:

إلى بلد غير داني المحل بعيد المراغم والمضطرب

قال النابغة:

كطود بلاد بأركانه عزيز المراغم والمضطرب

(1) انظر فتح الباري شرح الحديث (2825) 94/7.
(2) سورة النساء، آية: 100.
(3) المرغم: المهرب.

والمقصود بالسعة الرزق، قاله غير واحد منهم حيث قال قتادة عند تفسير +يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ" أي من الضلالة إلى الهدى ومن القلة إلى الغنى»[1].

تنبيه مهم:

إذا كانت هذه الآيات تندب الإنسان وتأمره بالخروج من بلده إلى بلد يأمن فيه على دينه فمن باب أولى أن من أوذي من قبل أهله ولم يستطع الحفاظ على دينه والتزامه أن يترك البيت ويتحول عنهم بعد استشارة أهل العلم والفضل وعرض الموضوع على إمام الحي أو من يثق به لدراسة وضعه ومساعدته وتقدير المصالح والمفاسد فالأحكام تختلف من شخص لآخر.

فكم من إنسان بذل معه أهله كل السبل والطرق لإبعاده عن التزامه وتمسكه بدينه، وأصبح وجوده معهم سبيلاً لا مفر منه للانتكاس، وهو مع ذلك يرفض مفارقتهم مع علمه أنه لن يستطيع التأثير فيهم، ولا يستطيع المحافظة على التزامه، فليت شعري كيف يكون واقع هذا لو كان الأمر أشد من ذلك، وهو مفارقة الوطن كله والخروج من البلد والتضحية بالأموال والأهل، فماذا عساه أن يفعل، اللهم ثبتنا بقولك الثابت يا رب العالمين.

* * *

المبحث الثالث

عدم تكييف المسلم مع بيئته

لا تكاد نسبة الملتزمين في بعض المناطق تذكر، حيث إنهم قلة قليلة وفئة نادرة، ومع هذا فهم على مشارب شتى واتجاهات متنوعة وأفكار مختلفة.

إن هذه الفئات كما سبق مع قلتها مختلفة الاتجاهات قد يجد بعض المسلمين صعوبة في التأقلم، معهم والانضمام إلى صفوفهم، فتجده يعاني الأمرين إما وحدة لا يطيقها، أو الاضطرار للانخراط معهم لأنه في مجتمع لا يضمن المسلم دينه فيه، أو يجبر على العيش معهم مع الاختلاف في وجهات النظر والطباع، ولا شك أن الأفضل هو النظر للمصلحة العامة،

(1) أعلام الزمرة: 33.

فإن كان الاختلاف معهم في العقائد والأصول فلا شك أن العزلة خير، وإن كان الاختلاف في الطباع والأفكار فلا شك أن الاجتماع خير.

إن من الصعوبة أحيانًا على الشخص أن يجد المجتمع الذي يلائمه تمامًا ويستطيع العيش فيه دون مصاعب، فعليه تحمل هذه المصاعب من أجل الحفاظ على دينه، ولا يترك ذلك المجتمع لعدم تكيفه معه، فيعيش وحيدًا فتأتيه الوساوس والشكوك من كل مكان حتى تؤدي به إلى الانتكاس.

إن على المؤمن أن يتكيف مع أوضاعه وأن يجالس الصالحين ويصبر على ما يجده من أذى ومشقة في فهمهم، وليس شرطًا أن يكون المقدم في الأمر، وأن تتحقق جميع أمانيه، لذا دعا الله جل وعلا إلى مجالسة أهل الخير والصلاح بقوله: +وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا"[1].

قال الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتبًا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحدًا أو صل أخاك فإنه مقـــارف إثـم مـرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

القذى مشاربه [2]

وقال آخر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه[3]

فعليك بالصبر والتحمل والتكييف.

* * *

(1) سورة الكهف، آية: 28.
(2) الأبيات لبشار بن برد من العصر العباسي 96-168 هـ.
(3) هذا البيت للمتنبي (أحمد بن الحسين) شاعر مشهور من العصر العباسي 303-354هـ.

المبحث الرابع
الهجرة إلى بلاد الغرب

يعتبر هذا السبب من الأسباب الخاصة بفئة معينة وليس من الأسباب العامة.

إن الهجرة إلى بلاد الغرب أثرها على الدين والأخلاق لا يخفى على أحد، وهذه الهجرة لها أسباب، من أهمها:

أولاً: البحث عن فرص معيشية أكثر، حيث يسافر كثير من المسلمين إلى بلاد الغرب لتوفر سبل المعيشة فيها أكثر من توفرها في بلدانهم التي هاجروا منها، وبدون أن يعوا أو يضعوا في حسبانهم خطر ذلك على دينهم، وهنا تكمن المشكلة، حيث تجري الأمور على خلاف توقعاتهم، أو كما قيل: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

إن الذين يسلمون في بلاد الغرب ثم يبقون في تلك البلاد في بقائهم نظر عند جماهير أهل العلم. قال ابن العربي - رحمه الله -: «فمن أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام، فإن بقي فقد عصى»[1].

وقال ابن رشد -رحمه الله- الهجرة واجبة بإجماع من المسلمين على من أسلم بدار الكفر[2].

فكيف بمن كان مسلمًا في الأصل، ثم هاجر إلى بلاد الغرب من أجل زيادة دراهمه ودنانيره؟ فهو أولى وأحق بالتحريم.

لقد استند من حرم بقاء المسلم في بلاد الكفر لمن أسلم من أهل الكفر بعدة أحاديث منها:

قوله - × -: «من جامع المشرك، وسكن معه، فإنه مثله»[3].

فكيف بمسلم يجعل الهجرة إلى بلاد الكفر من أجل المال، ولا شيء غير ذلك؟!

فكم من رجل هاجر إلى تلك البلاد من أجل الثراء، فكانت العاقبة عليه

---

(1) أحكام القرآن 484/1.

(2) انظر المقدمات والممهدات 345/3.

(3) أخرجه أبو داود حديث رقم (2787) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 182/2، وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ قريب من هذا، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي 154/2.

وخيمة في مجتمع يوجب عليه التخلي التام عن الضوابط والمبادئ الأخلاقية، بل أصبح المهاجر إلى تلك البلاد يجبر على الإقرار بما حرم الله من أجل قبول إقامته، حيث يقرر الغرب إجباره على قبول هذه المحرمات من باب أنها من الأمور الشخصية التي ينبغي عدم الوقوف في وجهها أو الاعتراض عليها مثل الشذوذ الجنسي، وزواج المثلين، وكما قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: كيف تطيب نفس مسلم يقيم بينهم، وتعلن فيها شعائر الكفر مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم»[1].

فكم من رجل كان صاحب دين وخلق، ثم هاجر إلى تلك البلاد وعاد وقد انسلخ من دينه وأخلاقه، ولذلك فإن الهجرة لا تكون إلا في حالات ضيقة سأتطرق إليها في النوع الثاني:

وإنك لتعجب ممن يقول: إن الذي دفعني إلى الهجرة قلة ذات اليد والبحث عن لقمة العيش لأسد بها جوعي، ثم تتضخم بعد ذلك أرصدته، وتزول حاجته وتنقطع حجته ومع ذلك فهو مستمر ولم يعد إلى بلده.

والغريب أن هؤلاء سدوا آذانهم عن سماع الحكم بتحريم البقاء، وتذرعوا بعلل وأهواء شخصية، وفقدوا السيطرة -إلا من رحم ربك- على أنفسهم وأزواجهم وأولادهم، وأصبحوا يعيشون في حيرة، فإما التخلي عن الكثير من أحكام الدين والاستسلام والخضوع للهوى والشيطان أو صراع داخلي، مع الصبر على المحن والابتلاءات إن هؤلاء لو بقوا في بلادهم مع صبرهم على قلة ذات يدهم لكان خيرًا لهم ولأولادهم من الهجرة إلى تلك البلاد.

ثانيًا: الهجرة إلى بلاد الغرب لضرورة:

من المعلوم أن أهل العلم قد قرروا أن هجرة المسلم من بلاده واجبة على من يضطهد في دينه، بحيث لا يستطيع القيام بالشعائر المفروضة عليه، ويلحق به من خشي أن يفتن في دينه كما قال ابن كثير: «إن الهجرة بسبب عدم القدرة على إظهار الدين إلى دار الإسلام لا خلاف فيها بين أهل العلم بأنها واجبة»[2].

(1) انظر شرح ثلاثة الأصول ص 137-138 بتصرف واختصار.
(2) انظر البداية والنهاية 320/4.

وقد قرر هذا ابن حجر في الفتح وبين بأن من لا يمكنه إظهار دينه وهو قادر على الهجرة، فالهجرة في حقه واجبة[1].

وهذه الأقوال ظاهرها الهجرة إلى بلاد الإسلام، إلا أنه يلحق بها من هاجر عكسيًّا كما قال ابن حزم -رحمه الله-: «وأما من فر إلى أرض الحرب بظلم خافه ولم يجد في المسلمين من يجيره، فهذا لا شيء عليه؛ لأنه مضطر مكره، وقد ذكرنا أن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب كان عازمًا على أنه إن مات هشام بن عبد الملك لحق بأرض الروم لأن الوليد بن يزيد كان نذر دمه إن قدر عليه، وكان الوالي بعد هشام، فمن كان هكذا فهو معذور»[2].

وهنا لم يصرح ابن حزم بالوجوب، ولكنه على أقل حال نفى الحرج، ولست هنا بصدد بحث هذه المسألة.

***

(1) انظر فتح الباري 220/6.
(2) انظر المحلى 125/12.

المبحث الخامس

إثارة الفتن والقلاقل في بلاد المسلمين، ثم اللجوء إلى بلاد الغرب[1].

1- الذي أحب أن أؤكد عليه أن بعض أهل الإسلام يتصرفون بتصرفات في بلدانهم ليس لها داع، ولا تستند إلى مراعاة المصالح والمفاسد ومعرفة فقه الأولويات ومعرفة منهج النبي × في ذلك يجبرهم على اللجوء إلى بلاد الكفر بحثًا عن الأمان مع العلم أنه كان من الممكن لهم بقاؤهم في بلادهم والصبر على الفتن وأداء واجبات الدين وإظهارها، بل كان من الممكن لهم ممارسة الدعوة، ولكن تذمرهُم من المعاصي في بلادهم ومحاولة إزالتها بأيديهم أجبرتهم على مواجهة الحاكم بالسلاح، وبالتالي وجد نفسه مضطرًا إلى الهروب من بلده مع أنه كان بإمكانه البقاء والدعوة إلى الله بحكمة وموعظة حسنة مع الصبر والاحتساب.

ورحم الله من قال من كثر حوله فعل المنكرات وقل فعل الطاعات فليتوكل وليصبر وليدعو الله ويعلم أن الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيله.

2- إما إثارة القلاقل والفتن فهذه أمور قد جاء الشرع واضحًا في تحريمها.

إن المشكلة تكمن بوجود الجهل الكبير عند بعض المسلمين بما سيترتب على أفعالهم في المستقبل من خطر على دينهم وأخلاقهم وأولادهم، وما ستسببه تصرفاتهم من آثار عظيمة عليهم قد تصل بهم في نهاية المطاف إلى الوقوف مع أعداء الله ضد أهل دينهم وملتهم، مع أن الكفار أهل مكر وخديعة لا يوثق بهم، لأن عداءهم أزلي لأهل الإسلام، فكيف يثق بعض المسلمين بهم، والله -عز وجل- يقول: +وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۚ

(1) أما من يسمون أنفسهم بالمعارضين السياسيين وهم في الغالب راغبي سلطة وطلاب ولاية ولذلك ترى بعضهم يكون خائن لبلده ويكون جاسوسًا وعميلًا للبلد التي يلجأ إليها، ويحرض على بلاده وحكام بلاده الغرب، ويسعى لإثارة القلاقل في بلاده وبلاد المسلمين، فهؤلاء الخونة ليسوا مخاطبين في هذا الكلام، وإنما المخاطب ضحاياهم من الشباب الذين غُرّر بهم؛ لأنهم صنعوا مبررات من عند أنفسهم، أو هولوا من أمور في بلدانهم هي في البلاد التي لجأوا إليها أعظم، بل وما فيها من الشر والفتن والبعد عن الدين لايعادل ما في بلادهم منها واحد في المئة.

"[1].

3- مع الأسف إن بعض شباب الإسلام يقعون ضحية الجهل بالعلم الشرعي وعدم معرفة الأمور على حقيقتها مما يجلب لهم ضررًا أعظم مما كانوا عليه في السابق. كذلك هم ضحايا بعض من ينسبون أنفسهم إلى الدعوة ويحرضون الشباب على الخروج على الحكام ومنابذة الحاكم بالسلاح والخروج عليه وغالب هؤلاء المحرضين تجدهم، يجعلون أبنائهم وأقاربهم في منأى عن واجهة الحاكم، أو تجدهم يعيشون في أحضان الغرب ويحملون صفة اللاجئ السياسي، وهو يعيش تحت كنف الغرب ويحث أبناء المسلمين على منابذة الحاكم بالسلاح أو الخروج عليه أو الإساءة إليه بالأفعال والأقوال، أو غيبة أو التنقص منه وهنا لي وقفات مع هؤلاء الشباب، فأقول لهم:

1- وازنوا بين المصالح والمفاسد، فأيهما أعظم مفسدة بقاؤكم في بلدكم مع صبركم على بعض المنكرات أو خروجكم إلى بلاد الكفر مع الإقرار لجميع المنكرات؟

2- ألم تعلموا أن ما فعلتموه لا يقره الشرع بأي حال من الأحوال، ولو عدتم إلى أهل العلم الراسخين لأوضحوا لكم خطأ ما فعلتم؟

إن انتقاص بعض الشباب قدر أهل العلم وعدم احترامهم وعدم الثقة بهم مع الاستماع لمنتقصيهم أضر بهم.

3- هل وضعتم في حسابكم آثار فعلتكم على دينكم وعلى أخلاقكم؟

بل هل حسبتم حساب بأنكم ستتزوجون ويصبح لكم أولاد وذرية ستتربى في هذه البلاد؟

4- هل حسبتم حساب ما بعد هذه التصرفات وما هو مصيركم ومآلكم؟

فلو كانت تصرفاتكم شرعية لأمرتم بالصبر واعتبر هذا من الابتلاءات والمحن لكم، ولكن مع الأسف إن فيها خللاً كبيرًا من حيث الحكم الشرعي.

5- قبل أن تقبلوا على هذه التصرفات، هل اعتقدتم أنكم المصلحون وغيركم من أهل العلم الذين شابوا في الإسلام عملاء أو فسقة أو جهلة لا يعرفون فقه الواقع؟

فإن قلتم: لا والله هم علماء ثقات، فيقال لكم: أفلا يسعكم ما وسعهم؟

---

(1) سورة البقرة آية: 109.

وإن قلتم: لا نثق بهم، فيقال لكم: هذا دليل على جهلكم واعتدادكم بأنفسكم.

6- هل قرأتم التاريخ، وتأكدتم إذا كان هناك من سبقكم إلى هذا الطريق الشائك أم لا؟

فإن قلتم: نعم، سبقنا إلى هذا غيرنا، فيقال لكم: هل استفدتم من تجاربهم، وقارنتم بين حالهم من قبل هجرتهم وحالهم من بعد تصرفاتهم وهجرتهم؟

فإن كان الجواب نعم، فنقول: خذوا الدروس والعبر، وإن كان الجواب لا، فنقول:

اقرؤوا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

نعم مع الأسف الشديد لقد خاض غيركم هذه التجارب في بعض البلاد الإسلامية، وكانت العاقبة عليهم وعلى دعوتهم وخيمة.

فاستفيدوا -رحمكم الله- منها والسكينة السكينة.

7- المقارنة:

وإنني الآن أقدم هذه المقارنة بين أحوال بعض الشباب من حيث دينهم قبل الهجرة وبعدها:

أ- تجد الواحد منهم قبل الهجرة مواظبًا على أداء جميع الفروض جماعة في المسجد، أما بعد الهجرة فتجده غالبًا لا يكاد يحافظ إلا على صلاة الجمعة في المسجد وأما بقية الفروض فمن النادر تأديتها مع الجماعة إلا إذا كان إمامًا أو مؤذنًا أو مسؤولاً لمركز، وذلك يعود إلى ندرة المساجد في تلك البلاد، وتباعد المنازل عنها، أو لظروف العمل الذي يمنع المسلم من الخروج إلى الصلاة.

ب- الأنشطة الدعوية: تجد غالب هؤلاء الذين هاجروا من جراء المصادمات كانت لهم أنشطة دعوية في بلادهم، أما بعد الهجرة فينقطع غالبهم عن هذه الأنشطة لانشغاله بأمور الحياة، أو لعدم وجود المثير لها، أو لأن الأنظمة في تلك البلاد تمنع الأنشطة الدعوية إلا بضوابط وبفقدها يفقد أكثر الشباب أعظم وسائل التثبيت له.

جـ- **المنكرات:** تجد غالب الشباب يشتكي من وجود منكرات في بلده، ويتألم من وجودها، ويشكر على ذلك، ولا شك أن هذا من الإيمان، ولكن هل انعدمت المنكرات أو قلت في بلد المهجر عما في بلده؟

الحقيقة التي يتفق عليها الجميع أنه مهما وجدت المنكرات الظاهرة في بلاد الإسلام، فإنها لا تقارن بحال من الأحوال عما هي عليه في بلاد الغرب،

فإذا كانت هذه هي الحقيقة، فهل كانت لهجرتك جدوى؟

فقد وقعت فيما هو شر مما هربت منه، فقد كانت المنكرات في بلدك غالبها غير ظاهر، بل كنت تستطيع البقاء في أماكن لا يمكن أن ترى فيها المنكرات إلا ما ندر، أما الآن فأنت في بلد المهجر تصبح وتمسي على المنكرات، فمثلاً في بلاد الإسلام قلة -ولله الحمد- من النسوة اللاتى لا يلتزمن بتغطية الرأس على أقل تقدير، أما في بلاد الغرب فقلة اللواتي لا تجدهن كاشفات عمَّا لا يقل عن تسعين بالمئة من أجسادهن، ناهيك عن دور البغاء وأماكن الفساد المختلفة في كل مكان وزمان.

لقد كنت تتضايق من كاشفة وجهها، وكنت تشكر على ذلك، أما الآن فأصبحت لا تستنكر ما تراه من كاشفة صدرها أو متجردة من ملابسها، لأنك قد اعتدت عليه فلقد هربت من منكر إلى منكرات؟!

إن تذمر الشباب المسلم من المنكرات أمر حسن، ولكن هذا لا يعطيهم الحق بأن يسعوا إلى إزالتها بأيديهم أو إثارة الفتن التي يترتب عليها أعظم مما أرادوا إزالته، فلو قدروا المصالح والمفاسد لعلموا أن بقاءهم في بلادهم مع الصبر والاحتساب والدعوة والحكمة خير مما حدث منهم.

د- الولاء والبراء:

إن بعض الشباب لا يتردد في بلاد الإسلام بهجر من ظهرت منه معصية، بل يحذر غيره منه، بينما تجده في بلاد المهجر يعيش ذليلاً ويستجدي من يخالفه بالدين، ويضطر لمداهنته أو على أقل تقدير مداراته، وهذا يسبب أبعادًا وآثارًا مستقبلية على عقيدته.

وإنك لتتعجب من هذا الشاب كيف لم يتحمل الجلوس مع مسلم عاص، ثم يفعل بعد ذلك مع المشركين ما هو أشد شرًّا، وفي بلده كان لا يدخل محلاً تبيع فيه امرأة متبرجة، وهذا الموقف يشكر عليه، ولكن هل وجد البديل الأفضل في البلاد التي هاجر إليها؟

لقد أصبح الآن لا يتورع عن الدخول إلى محلات غالب البائعات فيها غير متبرجات! فقط بل شبه عاريات ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد كنت في بلدك لا ترغب بمخاطبة مسؤول بدت منه بعض المعاصي، أما الآن فصرت لا تتردد عن التملق إلى مسؤولي تلك البلاد الكافرة من أجل تسيير بعض أمورك: إن عقيدة الولاء والبراء التي كنت معتزًا بها فيما مضى، أصبحت الآن شبه مفقودة، إنني لا ألومك، ولا أعتب عليك بعدما

حدث ما حدث، ولا أشمت بك -فمعاذ الله- أن يصدر هذا مني أو من مسلم ولكن هذا هو تحليل الواقع إني لا أطلب منك المستحيل أن تعيش في بلاد الكفر كما كنت تعيش في بلاد الإسلام، ولكني أقول: هل حسبت لهذه الأمور حسابها، أو توقعتها؟

إنني أجزم أنك لو كنت على علم بما يساوى 1% منها لما فعلت ما فعلت.

والله مـا أزرى بـأمتنـا إلا أزدواج مـا لـه حـدُّ

هـ- خلل في العقيدة:

لم يقتصر الأمر على ما سبق فقط، بل يصل الحال بكثير من أبناء الإسلام المهاجرين إلى بلاد الغرب إلى الإقرار والاعتراف بأمور ما كانت في خيالهم ولا في حسبانهم، ومن ذلك مثلاً: أن يطلب منه الإقرار بحقوق الشاذين جنسيًّا، وبأن شذوذهم هو من قبيل الحرية الشخصية لا يحق لأحد الاعتراض عليه أو احتقار أصحابه، بل قد يطلب منه مشاهدة ذلك لقياس مدى ردة الفعل واستنكاره لهذه الأمور، كما يطلب منه القسم بغير الله - عز وجل - وأشياء أخرى ليس هنا مجال بحثها. لقد وقع كثير من الشباب المهاجر بورطات من جراء انخراطهم في مجتمعات منحلة من المبادئ والقيم، فقد التقيت بعدد من هؤلاء الذين يعيشون في بلاد الغرب فوجدت الكثير منهم قد انسلخ من هويته الإسلامية، وأصبح بلبسه ومشيته وحياته يعكس الواقع المرير الذي يعيشه، بل أصبح بعضهم يتزوج من الكتابيات إما بنية الاستمرار أو بنية الحصول على الجنسية، وهذا لا يخفى بأنه زواج لأجل، وهو أشبه ما يكون بزواج المتعة، وليس هذا مجال بحثه، وكذلك مسألة التجنس وما يترتب عليها من حقوق وواجبات.

والخلاصة: على الشباب أن يعوا ويضبطوا تصرفاتهم قبل أن يقدموا على أي عمل حفاظًا على دينهم واعتقادهم، لأن أولئك الذين انتكسوا من جرَّاء هذه الهجرة ليسوا بالعدد القليل، فهم أكثر من أن يذكروا، بل أظهر كثير منهم الندم والحزن وشعروا بخطورة ما هم عليه بل أكثرهم لم يعوا هذه الخطورة إلا عند زواجهم وصاروا يخشون ويخافون من المصير الذين ينتظرهم وينتظر أولادهم من جرّاء التربية التي تنتظرهم وذلك من خلال الدراسة والاحتكاك في هذه المجتمعات الكافرة.

إن هذه حقائق يجب أن تعلم، وعلى المربين أن يبينوها للشباب حتى

يستفيدوا من تجارب الآخرين.

إنني أقولها بكل صراحة ووضوح: مهما لقي المسلم في بلاده المسلمة فصبره واحتسابه خير له ألف مرة من أن يذهب إلى تلك البلاد متخليًا عن دينه وعقيدته وأخلاقه سواء بإرادته أو غير ذلك، وعلى الدعاة والمربين أن يبينوا لهم هذه الأمور قبل أن تكون العاقبة عليهم وخيمة.

وعليهم أن يبينوا لهم أن بقاءهم في بلدانهم مع الصبر، وممارستهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة خير لهم من الهجرة إلى المجهول وبخاصة أنه لا يوجد ضرورة تلجئهم إلى تلك التصرفات التي تدفعهم إلى الهجرة.

كما أنصح من يعيشون في تلك البلاد أن يحاولوا حل مشكلاتهم مع بلدانهم وتصحيح أوضاعهم بدلاً من البقاء في أحضان الغرب، ومن لا يتأتى لهم ذلك فلا أقل من ربط أولادهم بأوطانهم مع حرصهم على أن يعودوا إليها.

* * *

الفصل العاشر
أمراض القلوب ودورها في الانتكاس

وفيه مباحث
المبحث الأول: النفاق.
المبحث الثاني: الاستهزاء بالدين.
المبحث الثالث: الغرور.
المبحث الرابع: العجب.
المبحث الخامس: الأمن من الانتكاس.
المبحث السادس: الالتزام من أجل مصالح شخصية.
المبحث السابع: عدم الإخلاص وعدم الصدق بالالتزام.
المبحث الثامن: الحسد.
المبحث التاسع: موت القلب.

المبحث الأول

النفاق

النفاق ظاهرة مرضية لم ينج منها مجتمع الرسول ×، ولم يسلم الرسول × من آثار هؤلاء المرضى، وقصة الإفك خير شاهد على ذلك.

والمنافق قد يدخل الإسلام، ويدعي الالتزام، فيطيل اللحية ويقصر الثوب، ليحصل على هدف وغرض معين، بل قد يبني المساجد ويشيدها، وقد يؤم المصلين ويخطب فيهم، وما حادثة مسجد الضرار إلا دليل على ذلك[1].

وقد يعود الواحد من هؤلاء إلى وضعه الحقيقي، ويظن الناس أنه قد انتكس وأن الدعوة قد خسرته.

فهؤلاء يغرون الضعفاء، ويثبطون العاملين، وقد قال الله فيهم:+ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ "[2].

«القلوب الحائرة تبث الخور والضعف في الصفوف، و النفوس الخائنة خطر على الجيوش، ولو خرج أولئك المنافقون من الصف ما زادوا المسلمين إلا اضطرابًا وفوضى، ولأسرعوا بينهم بالوقيعة والفتنة والتفرقة والتخذيل، وفي المسلمين من يسمع لهم في ذلك الحين، ولكن الله الذي يرعى دعوته ويكلأ رجالها المخلصين كفى المؤمنين الفتنة فترك المنافقين المتخاذلين قاعدين، والله عليم بالظالمين ».

فهؤلاء يشكلون نقطة الضعف في البناء الداخلي المتماسك، ويمثلون الداء الخبيث الكامن في الجسد والطابور الخامس المتآمر الذي يمد يده لكل عدو متربص بجند الحق، ولكن لن يكون حالهم بإذن الله أفضل من حال أسلافهم الذين قال الله فيهم: +لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ "[3].

---

(1) انظر القصة في تفسير ابن كثير (سورة التوبة، آية: 107-108).
(2)سورة التوبة، آية: 47.
(3) سورة التوبة، آية: 48.

فسوف يأتي أمر الله في نهاية المطاف، وستعلوا راية الحق وتسقط كل الرايات المشبوهة بإذن الله.

إذن علينا أن نعلم أن النفاق قد يتفشى أمره، وقد يؤثر على مسيرة الأمة وقد يفرق صفها ولكن لا يطول مكوثه +وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا"[1].

وعلى المسلم ألا ينخدع بالمظاهر ومعسول الكلام +۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ"[2]، بل على المسلم أن يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال.

* * *

(1) سورة الإسراء، آية: 51.
(2) سورة المنافقون، آية: 4.

المبحث الثاني

الاستهزاء بالدين

إن الاستهزاء بالدين وأهله آفة خطيرة تعد من أنواع الردة، وهي قد لا تكون في مجال بحثي ولكن ما أريد أن أتطرق إليه أن هناك من لا يشعر بخطورة هذه الآفة وأنها تخرجه من الملة.

لقد قص الله علينا في كتابه خبر أولئك المنافقين الذين وصفهم الله بالكفر بعد الإيمان وبالردة بعد الإسلام بسبب استهزائهم، قال ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى: +وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ" (1).

عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ×، فبلغ ذلك النبي × ونزل القرآن، قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله × يقول: +قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ" (2) (3).

فاسمع رعاك الله كيف قالوا كلمات أخرجتهم من الملة؟!! لأنهم سمحوا لألسنتهم أن تعبر عما في قلوبهم فكانت النتيجة كفرًا ونفاقًا صريحين خرجوا بهما من الملة؛ لأن هذه الآفة تهلك من اتصف بها.

ولكي أوضح ما أريد أقول: إن من وقع في أعراض العلماء والدعاة أو استهتر بشعائر الإسلام عرضة للخروج من الملة على ضوء أحكام الشرع التي ضعفت في هذا الزمان، فمن يجرؤ على إصدار الأحكام الشرعية بحق هؤلاء المستهزئين الذين يحتاجون إلى حكم صريح بحقهم؟ وإذا عدم أولئك

---

(1) سورة التوبة، آية: 65.

(2) الحديث أخرجه ابن جرير في جامع البيان 409/6 وذكره السيوطي في الدر المنثور رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان وأخرجه الطبري من طريقه ج1 ص172 وله شاهد بسند حسن عن ابن أبي حاتم ج4 ص64 من حديث كعب بن مالك.

(3) سورة التوبة، آية: 65.

الرجال فإن الله لا يترك هؤلاء القوم يسرحون ويمرحون، بل يفضحهم بصدور أفعال منهم يعلم نفاقهم بها الجاهل قبل العالم والصغير قبل الكبير.

إن على المسلم أن يتجنب السخرية والاستهتار وأن يبتعد عن الهمز واللمز، وأذكر رجلاً كان يقول في مجلسه إن فلانًا! وذكر علمًا من الأعلام له جهوده في الدعوة! لو ظهر الصدق لوجدت هذا الرجل مختفيًا في زاوية من زوايا بيته فهو جبان عند المواجهات، فذكرتني مقولته بمقولة أسلافه من قبل: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء) فأصبحت بعدها لا أراه إلا من معصية إلى أخرى ومن مصيبة إلى غيرها.

وذكر لي أحد الأقارب أنه رأى في منامه صديقًا له مات، فقال هذا الميت: إنني لم أر عذابًا علي أشد من استهزائي بلحية أحد الصالحين.

وأذكر رجلاً أنعم الله عليه بالمال والجاه، ولكنه أصيب بآفة خطيرة هي التندر بصغار السن من الملتزمين ويتهكم بثيابهم ويسخر بلحاهم ويتشدق بكلامه استهزاء بهم، فابتلاه الله بابتلاءات كثيرة حيث تفرق شمل أولاده، ونشأت الخصومات بينه وبين أقربائه وأصابه كساد بتجارته وألزمته الأمراض فراشه فأصبح لا يزار إلا غبًا!!.

إن هذا الرجل وأمثاله لم يجدوا من يوقفهم عند حدهم فعاقبهم الله بهذه العقوبات.

إنك تعجب من رجل يظهر الإسلام يسلم من لسانه اليهود والنصارى وينجو من قرع سياطه الفساق والفجار، ولا ينجو منه أهل الخير والصلاح، استخفافًا بهم واستغلالاً لضعفهم، وهذا يعود بلا شك إلى جهله وحمقه، وإلا فالرسول × يقول فيما يرويه عن ربه: « من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»[1] ويقول تعالى: +﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾"[2] فلو تفهم هذا الرجل نصوص القرآن ما جرأ أن يحدث نفسه فضلاً عن أن يتحدث بمثل هذه الحماقات والسفاهات +﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾"[3]، +﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ

(1) رواه البخاري في كتاب الرقائق، باب التواضع حديث رقم (6502).
(2) سورة الحج، آية: 38.
(3) سورة الأحزاب، آية: 58.

فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ "[1] وأختم بما قاله الشيخ عبد الله البسام ـ رحمه الله ـ في تعليقه على كشف الشبهات: «وبهذه المناسبة يجدر بي أن أحذر بعض مغروري ناشئة المدارس من الاستهزاء بعلماء الدين وكتبه وعلومه، وألا يلتفتوا إلى ما يسمعون من بعض السفهاء، فإنه مع الأسف يوجد في بعض الشباب المتزندقين من يجاهر بالسخرية بشعائر الإسلام ولا شك أن هذا أكبر من سخرية الذين كفرهم الله ولم يقبل عذرهم بقوله: +لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ "[2] حينما قالوا كلمة في ظاهر الأمر في بعض الصالحين على وجه المزح، فالناصح يحاسب نفسه، ويصون لسانه والله الموفق».ا هـ.

* * *

(1) سورة النور، آية: 19.
(2) سورة التوبة، آية: 66.

المبحث الثالث

الغـــــــــــــرور

إن الغرور هو إعجاب المرء بنفسه إلى حد احتقار واستصغار كل ما يصدر من الآخرين» ومن أهم أسباب الغرور ودوافعه:

1- تأثير البيت حيث ينشأ الابن في بيت يكون فيه بعض المغرورين فيتأثر بهم.

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

2- إطراء الآخرين له وعدم الالتفات إلى القيود الشرعية في المدح.

3- الإطراء الكاذب بحيث يمدح المرء بما ليس فيه.

4- مصاحبة من ابتلوا بهذا الداء العضال والآفة الخطيرة.

5- دوام التحقير والتسفيه للآخرين وعدم الاعتراف بهم.

6- الصدارة للعمل قبل النضج وكمال التربية مما يجعل الإنسان يشعر بعظمة زائدة.

7- احتقار الفقراء والمساكين وأمثالهم.

8- الغفلة والجهل بحقيقة الإنسان وأن أوله نطفة وآخره جيفة قذرة.

9- كثرة حديث المرء عن نفسه والثناء عليها وذكر محامدها.

10- صعوبة الإذعان والانقياد لغيره لأنه يشعر في قرارة نفسه أنه أفضل الجميع.

11- الشهرة بنوعيها (الدينية والدنيوية).

12- القوة البدنية أو الفكرية.

13- الجمال والوسامة.

14- عراقة النسب.

15- مبالغة الآخرين في توقيره واحترامه والانقياد له والسمع والطاعة دون معرفة الضوابط الشرعية في هذه المجالات.

16- عدم معرفة آثار إعجاب المرء بنفسه.

17- عدم محاسبة النفس.

18- التعمق في غرائب العلوم وعجائبها.

19- قلة الاعتصام بالكتاب والسنة.

ومن آثاره ومظاهره:

1- الوقوع في المراء والجدل.
2- التكبر في الأرض.
3- الاستبداد بالرأي.
4- كراهية العامة والخاصة له مما يجعله فريسة سهلة للأعداء.
5- قد تؤدي إلى الكفر والردة.
6- الأمراض النفسية والعصبية.
7- عدم قبول النصيحة وخاصة ممن هم أصغر منه والفرح بسماع عيوب الآخرين ومثالبهم.

وبعد هذا فإني أحب أن أوضح أن هذه الآفة خفية بحيث إن المصاب بهذه الآفة لا يشعر بها ولا يعترف بها، وهذا مما يزيدها صعوبة، ولو علم المغرور أصله ومآله، وأنه بهذا لن يخرق الأرض، ولن يبلغ الجبال طولاً؛ لما تمادى في غيه وضلاله.

8- دوام التحقير والتسفيه للآخرين وعدم الاعتراف بهم.
9- كثرة حديث المرء عن نفسه والثناء عليها.
10- صعوبة الإذعان والانقياد لغيره لأنه يشعر في قرارة نفسه أنه أفضل الجميع.
11- الحسد لمنافسيه.
12- تعطيل الأعمال الناجحة لغيره.

دوافـــع الغـــرور:

أ- المـــــال:

حيث إن بعض من أغناهم الله وبسط لهم في المال لا يشكرون الله، وإنما يحقرون غيرهم ويرونهم عبيدًا لهم، مما يجعلهم عرضة للخطر، وأوضح مثال على هذا قارون[1] وأصحاب الجنة[2] وصاحب الجنتين[3].

ب- الجاه والمكانة:

حيث إن بعض أصحاب المناصب العالية الفانية لا يعترف بإنسانية

(1) سورة العنكبوت، آية 79-82.
(2) سورة القلم، آية 17-33.
(3) سورة الكهف، آية: 32-44.

غيره، ولا يحترم مشاعرهم فيحقرهم ويزدريهم ولا يرى لهم حقًّا ولا مكانة.

جـ- العلـــــم:

فالله عز وجل يفتح على بعض خلقه بعلم ومعرفة ومنطق وقوة حجة وفراسة ودراية، لكنه لا يستخدم هذه النعم في مجالها، وإنما يستخدمها لزيادة مكانته عند الناس بمماراة السفهاء ومجادلة العلماء وإبراز نفسه للآخرين، فيحب التصدر والإفتاء ويشعر بالغيظ إذا سئل غيره وهو موجود، بل ربما بادر بالإجابة عن أسئلة لم توجه إليه، وتراه يسفه غيره من أهل العلم، ويقدح في فتاواهم، وينقص من قدرهم، ولا يذكر لهم فضلاً، و لا يقدر لعلمهم قدرًا. ويفرح بأخطائهم ويبرزها للملأ حتى يسقطهم ويسود هو، فإذا لم تتحقق مطالبه وما يصبوا إليه رأيته يخرج من دائرة الإسلام إلى دائرة أخرى يحقق فيها بغيته وينال فيها مقصده وغايته، ومن الأمثلة في هذا الباب ارتداد عبد الله القصيمي وغيره عن الإسلام.

إن الغرور آفة خطيرة ووصمة عار في جبين مرتكبها كبيرة، إن على المسلم أن يعلم أن الكبرياء رداء الله عز وجل لا يجوز لغيره منازعته فيه.

على المسلم أن يعلم نعم الله عليه، وأن الغرور من كفرانها، وعليه أن يستفيد من الآخرين وتوجيهاتهم وأن يعلم أن المسلم مرآة أخيه.

عليه أن يحتقر نفسه دائمًا؛ لكي لا تكبو به في مهاوي الردى.

1- و أذكر هنا قصة أحد خريجي جامعة الإمام - وهو طالب أفريقي - نهل من علمها الصافي، ثم ذهب إلى بلده ليعلم الناس ويرشدهم، ثم أصابه من جراء ثناء الناس عليه إعجاب بنفسه؛ حيث تميز عليهم بالعلم الشرعي المؤصل خصوصًا وأنه حديث عهد ببلاد التوحيد، فأصبح يحتقر غيره، ولا يسمح لأحد من الدعاة بالتحدث في مسجده إلا بصعوبة، ورأى نفسه أنه وحيد زمانه، وأصبح ناقدًا بذيء اللسان، إن ألقى غيره محاضرة استشاط غضبًا، وإن استفتي غيره تميز غيظًا، حتى ضاق الناس به ذرعًا، فهيأ الله له أحد الدعاة، حيث ذهب إلى مسجده، وألقى كلمة عن التواضع، وذكر تواضع أحد النبلاء عندما شعر بالعجب بتوليه الإمارة، فشعر بإعجاب بنفسه فاشتغل حمالاً، فكانت هذه القصة كالسوط الذي قرعه، وأحس بصغر نفسه وأنه هو المعني بهذه الكلمات، فغير وضعه وبدل حاله، وعلم أن هذا الدين ليس مطية لتحقيق الرغبات والشهوات، وإن حقق صاحبها نجاحًا نسبيًا في الدنيا فإن الوضع في الآخرة مختلف تمامًا فتاب إلى الله وأناب.

قال ابن القيم:

وسل العياذ من التكبر والهوى فهما لكل الشر جامعتان
وهما يصدان الفتى عن كل طر ق الخير إذ في قلبه يلجان
فتراه يمنعه هواه تارة والكبر أخرى ثم يشتركان
والله ما في النار إلا تابع هذين فاسأل ساكني النيران
والله لو جردت نفسك منهما لأتت إليك وفود كل تهان

وقال آخر:

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورته انظر خلالك فإن النتن تثريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعروا الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس وهو بخمس من الأقذار مضروب
أنف يسيل، وأذن ريحها سك والعين مرفضة والثغر ملعوب
يا بن التراب ومأكول التراب غدًا أقصر فإنك مأكول ومشروب

ذكر أحد الدعاة قصة لأحد العلماء حيث قال هذا العالم عن نفسه:

2- «دخلت المسجد في يوم من الأيام فتذكرت سعة العلم الذي منحني الله إياه فقلت: هل هناك مسألة في الفقه لا أحسنها؟ فدخلت المسجد وفيّ بعض الغرور، فلما جلست أمام طلابي إذا بعجوز ومعها ابنتها، فأقبلت وقالت: «يا شيخ هذه المرأة قد أصابها الحيض وكان من شأنها كذا وكذا فأفتنا رحمك الله؟ قال: إذا بها مسألة من أيسر مسائل الحيض وإذا بي لا أحسن لها جوابًا، ومن شدة ما أصابني من الإعياء والحصر أصبح الطلاب في دهشة فما استطاعوا أن يجيبوها.... فبقيت تنتظر مني الجواب فما استطعت أن أجيب.... وبينما هي تريد الخروج من المسجد إذا بها تلتقي بأحد الطلاب المبتدئين فقالت له: «يرحمك الله امرأة أصابها الحيض ومن شأنها كذا وكذا؟ فأفتاها وأجابها بالصواب فقالت: «أنت خير من هذا الذي جلس». قال: «فعلمت أن الله خذلني حينما اتكلت على نفسي».

وقريب من هذا ما ذكره أحد الشباب الصالحين قال: «دخلت يومًا

الاختبار وكنت حافظًا له متقنًا فتلبسني الغرور، قال: وقبل أن تأتيني ورقة الأسئلة قلت في نفسي: هل هناك سؤال في المقرر لا أستطيع أن أجيب عنه؟ فلما وقعت ورقة الأسئلة بين يدي إذا بي والله لا أعرف شيئًا!! فرحت أتصبب عرقًا من الخوف والخشية، مضى على ذلك فترة ربع ساعة بل أكثر، فتذكرت أنه أخذ مني الغرور مأخذه، وأنني اتكلت على حولي وعلى قوتي فأتبعت ذلك بالاستغفار والتوبة إلى الله من هذه الآفة، فما هي إلا لحظات حتى فتح الله عز وجل علي بالإجابة» [1].

* * *

(1) انظر محاضرة عن داء الغرور للشيخ محمد الشنقيطي.

المبحث الرابع

العُجـــــــــــب

يعتبر العجب صورة من صور الكبر، ومظهرًا من مظاهره. وعرفه القرطبي فقال: إعجاب الرجل بنفسه، وهو ملاحظته لها بعين الكمال، والاستحسان مع نسيان منة الله تعالى. فإن دفعها على الغير واحتقره، فهو الكبر المذموم[1].

إن من الأسباب التي تؤدي إلى الانتكاس ويُخشى على صاحبها مما هو أخطر من ذلك هي قضية العجب، وقد ذم الله سبحانه وتعالى في كتابه صنيع الصحابة في يوم حنين حيث قال تعالى: +وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا "[2] حين ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في معرض الإنكار عليهم؛ لأنهم قد شعروا بعظم عددهم فتكلموا عنه، وحذر النبي × من الإعجاب بالنفس، وجعله من المهلكات حيث قال ×: «وثلاث مهلكات» وذكر منهن: «وإعجاب المرء بنفسه»[3].

قال بشر الحافي: «هلاك القراء في هاتين الخصلتين الغيبة والعجب»[4].

فالعجب آفة خطيرة متى ما تمكنت من الفرد أهلكته؛ وكما قال ابن مسعود: « الهلاك في اثنين: القنوط والعجب»[5].

إن خطر العجب أنه يوحي إلى صاحبه أنه بلغ القمة، وظفر بالمراد فيقوده ذلك إلى التوقف عن العمل. إن خطر المُعجب أنه يتعاظم عمله حتى يقوده ذلك إلى احتقار الآخرين.

يروي لي أحد الثقات عن أحد المشايخ أنه قال له: كان يحضر دروسي شاب ظهر منه اللامبالاة في الدرس لعدة أيام، ثم فجأة بدأ هذا الشاب يحرص على الدرس بكل حيوية ونشاط. يقول: فسألته عن هذا التغير المفاجئ؛ فقال: لقد حفظت القرآن والصحاح. فكنت أقول في نفسي هل حفظهما علماء الأمة؟

---

(1) انظر المفهم للقرطبي (406/5).
(2) سورة التوبة، آية: 25.
(3) أخرجه البزار وأورده المنذري في الترغيب والترهيب رقم (453) وقال الألباني: حسن لغيره. انظر صحيح الترغيب والترهيب (312/1).
(4) انظر شعب الإيمان للبيهقي (6361) وإسناده صحيح، انظر الجامع للشعب (157/2).
(5) (انظر إحياء علوم الدين: 1495/5).

لا أظنهم حفظوها، هل عندهم مزيد على ما عندي؟ لا أظنهم..... يقول: فشعرت ليس عندك شئ ليس عندي فاحتقرت دروسك، لكني وجدتك تأتي بمعلومات ليست عندي؛ فقلت: لعلها حالة استثنائية. يقول: فتكرر حضوري لدروسك ووجدت أنني في كل مرة أخرج من عندك بشيء جديد، قال: فاحتقرت بعد ذلك نفسي، وشعرت أني ما زلت في بداية الطريق، فقررت أن أشمر عن ساعد الجد، وعلمت أن ما مر علي إنما هو طائف من الشيطان، فقال له الشيخ: الآن بدأت تطلب العلم حقيقة.

فانظر إلى آثار العجب كيف أوشك أن يقضى على هذا الشاب ورحم الله ابن طاهر الأبدي عندما قال:

يا من غَلا في العُجْب والتيهِ وغـــرَّه طـــولُ تمـــاديه

أمْـــلَى لكَ الله فبـــارزتَه ولم تَخَـــفْ غِـــبَّ مَعَاصِيه[1]

إن العجب هو البداية الأولى إلى داء الكبر والغرور، فكل غرور عجب وليس كل عجب غرور. إن من أعظم آثار العجب اعتقاد العامل أو العابد أنه وصل إلى درجة كبيرة، فيقوده هذا الشعور إلى إهمال ذنوبه ونسيانها، وإن من أعظم آفات العجب استعظام صاحب العمل لعمله حتى يقوده ذلك إلى إعلانه أمام الناس من باب استعظامه كأنه يمن على الله بفعله.

إن من أهم ملامح ومظاهر المعجب بنفسه اغتراره بنفسه وبرأيه، واعتقاده بأن له عند الله من المنزلة والمكانة ما يجعله بمأمن من غضبه وعقابه، ونسي بأن ما ناله من الخير ما كان له أن يحصل عليه لولا توفيق الله وتمكينه، ولعلّي هنا أذكر بعض الصور التي قد تؤدي إلى العجب:

1- أن يعجب بجسمه وجماله وتناسق شكله أو حسن صوته، ويقوده هذا الإعجاب إلى أن ينسى أنها منة من الله ونعمة ليس له دور في حصوله عليها، فليس هو الذي اختار أن يكون لونه أبيض أو شعره حسنًا أو صوته عذبًا، فكلها جاءت له من غير عمل منه ولا جهد.

فلماذا التكبر والتغطرس؟ فانظر إلى هذا الشقي الذي يحدثنا عنه النبي × حيث قال: « بينما رجل يمشي في حُلَّة، تعجبه نفسه، مرجِّل جُمّته، إذ

(1) (انظر تفسير القرطبي (161/10) وموسوعة نظرة النعيم (5066/11).

خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»[1].

فانظر إلى هذا الشقي كيف أعجبته جُمَّته وهي: شعره عندما يتدلى إلى منكبيه فشعر بعجب من جراء ذلك، فكانت العاقبة عليه وخيمة، حيث خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض مضطربًا حتى تقوم الساعة.

إن معرفة العباد بنوع عقاب هذا الشقي بيان لعظم هذا الذنب عند الله، فلو سأل العاقل نفسه سؤالاً: لماذا أقود نفسي إلى الهاوية؟

ولماذا أنسى فضل المنعم عليّ وأنسبه لنفسي؟

ولماذا لا أجعل هذه النعم دافعًا لي نحو المزيد من العمل والقربة إلى ربي أكثر فأكثر؟

2- العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا، وثمرته الاستبداد بالرأي، و ترك المشورة، وتجاهل الناس المخالفين له ولرأيه، ويخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم إعراضًا عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل من باب الاحتقار والإهانة لهم، وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزقه من العقل، ويتذكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه سوف يوسوس ويجن بحيث يُضحك منه، فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقم بشكره، ويستقصر عقله وعمله، وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلاً وإن اتسع علمه، وأن ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه، فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى؟ وأن يتهم عقله وينظر إلى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم. فليحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فإن قاصر العقل قد لا يعلم قصور عقله، فينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه، ومن أعدائه لا من أصدقائه، فإن من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبًا وهو لا يظن بنفسه إلا الخير.

ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبًا[2].

وهذا مع الأسف الشديد هو أكثر مظاهر العجب انتشارًا وفظاعة. فاللهم سلم سلم، ولا أريد أن أستفيض في ذكر هذا الداء.

* * *

(1) (أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء رقم (5789)، ومسلم رقم (2088).

(2) (أحياء علوم الدين (1502/5).

المبحث الخامس

الأمـــن مـــن الانتكاس

من الأمور الحسنة أن يثق الإنسان بربه جل وعلا ثم بنفسه، ولكن هذه الثقة يجب أن تكون ثقة معتدلة لا إفراط فيها ولا تفريط.

إن الثقة بالنفس إذا زادت عن حدها وتجاوزت المقبول انقلبت في الحقيقة إلى كبرياء وغرور، إن هناك من يظن أنه قد تجاوز القنطرة وتعدى المرحلة الصعبة، وأصبح بأمن من الانتكاس ولا خوف عليه ولا خطر، وما علم أن وقوع أمثاله وشيك.

إن شعور المرء أنه وصل إلى مرحلة الكمال وأنه ليس بحاجة إلى مزيد من التربية الإيمانية لأظهر دلالة على إن إيمانه بدأ ينقص؛ لأن الإيمان يزيد وينقص كما هو منهج أهل السنة والجماعة. قال تعالى: +لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ"[1]، وقال تعالى: +وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى "[2]، وقال تعالى: +وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ"[3]، وروى الطبراني والحاكم عن الرسول × أنه قال: «إن الإيمان يخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم»[4] إن بعض الشباب يهمل تربية نفسه وزيادة إيمانه بحجة أنه تعدى هذه المرحلة، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء، ومن أسباب الأمن من الانتكاس إعجاب المرء بعمله، قال ×: «لن ينجي أحدًا منكم عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا، وقاربوا، واغدوا وروحوا، واستعينوا بشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»[5].

إن الإنسان إذا وصل إلى مرحلة الإعجاب والثقة بالنفس والأمن من سوء الخاتمة وقع فيما حذر منه؛ لأنه سوف يبتعد عن أسباب الثبات وسؤال

---

(1)سورة الفتح، آية: 4.
(2) سورة الكهف، آية: 13.
(3) سورة محمد، آية: 17.
(4) الحاكم (4/1) وصححه ووافقه الذهبي و صححه الألباني في صحيح الجامع (330/1) رقم (1590).
(5) البخاري (6463)، ومسلم (2861).

ربه الهداية، ويختم له بسوء والعياذ بالله، فالحذر الحذر من الثقة الزائدة والعجب، والله المستعان.

* * *

المبحث السادس

الالتزام من أجل المصالح الشخصية

قد ينتكس كثير من الشباب ممن يحملون سمات الملتزمين؛ لأنهم في قرارة أنفسهم غير مقتنعين بهذا الطريق، وإنما يعود السبب في مسارهم هذا إما لمجاملة أو لمصالح شخصية يريدون تحصيلها أو غير ذلك وسأورد أمثلة على هؤلاء:

1- أذكر أن أحد الشباب سار مع مجموعة من الأخيار، وبعد مضي سنة تقريبًا انقطع عنهم، وعندما سأله الشيخ عن هذا الانقطاع تردد كثيرًا ثم قال: لم أعد أطيق التحمل، وقد كان الدافع لاشتراكي معكم هو حبي لك ومجاملتي لك، ولما رأيت الأمر قد طال كان لا بد من الانقطاع والمصارحة.

والذي يظهر أمام الناس أن هذا الشاب قد انتكس، بناء على مظهره الخارجي ولكنه في قرارة نفسه لم يلتزم أصلاً لكي ينتكس.

2- وأذكر شابًا التحق بمجموعة من الصالحين وسار معهم وحضر دروسهم، وكان الدافع له أن المشرف عليهم هو أستاذه الذي يطمح للاستفادة منه كي يساعده في بروزه العلمي وتفوقه الدراسي، وبمجرد تخرج هذا الشاب من هذه المرحلة ترك الطريق وسلك مسلكًا آخر حيث انتهت حاجته من سلوكه طريق الالتزام.

صلــى المصلي لأمر كان يطلبه فلما انقض الأمر ما صلى ولا صاما

3- حدثني أحد الإخوة عن شاب من عائلته قصر ثيابه وأرخى لحيته، وبدأت تظهر عليه سمات الصالحين فاستبشر به أهله وأقرباؤه، ثم تقدم لخطبة قريبة له اشترط أهلها ألا يزوجوها إلا لتقي لكنهم اعتذروا عن تزويج هذا الشاب، فما كان منه بعد ما تأكد من رفضهم إلا أن زار أقرب حلاق ليقوم بحلق لحيته، ثم مر بطريقه على محلات الغناء ليتزود بالجديد منها وهجر الجمعة والجماعة، وعند ذلك علم أهله وأقرباؤه أن التزامه كان صوريًا، الهدف منه الزواج من هذه الفتاة فقط!! وأعرف شابًّا كان رمزًا من رموز الفسق والعصيان، وعلمًا من أعلام الغواية والضلال، فأراد أهله أن يزوجوه وأغروه بفتاة عرف عن والدها الصلاح، فلما تأكد من أن هذه الفتاة مناسبة له، قرر أن يؤلف مسرحية يخدع بها والد الفتاة، وبدأت فصولها

بإرخاء لحيته وتقصير ثوبه، ومن ثم مجالسة الصالحين حتى اشتهر أمره، وتعرف على والد هذه الفتاة وهو لا يعرف عن ماضيه شيئًا وإنما عرفه بحاضره المشرق، وبعد أن تأكد هذا الشاب من ثقة والدها به تقدم بشجاعة لخطبتها فوافق الأب دون تردد. فهذا الشاب يحمل صفات الرجل المناسب لابنته، وتم الزواج، وبعد مدة عاد الشاب إلى وضعه وأُسقط في يد الأب الذي علم فيما بعد أنه وقع ضحية لمسرحية قذرة كان ثمنها ابنته وفلذة كبده، فالله المستعان.

* * *

المبحث السابع

عدم الإخلاص وعدم الصدق في الالتزام

هناك من يلتزم لتحقيق أهداف معينة، وهناك من يلتزم ليصل إلى تطلعاته، وهناك من يلتزم ليشتهر عند الناس، وعندما لا يحصل على مراده يترك هذا الطريق، ويظن الناس أنه قد انتكس، وهو لم يلتزم أصلاً. فعلى من سلك طريق الالتزام أن ينكر ذاته ولا يمن، حتى يحقق أهدافه؛ لذا ورد في الحديث عن أبي موسى الأشعري أن أعرابيًا أتى النبي × فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال ×: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

وقد كان أصحاب رسول الله × يخافون من هذا الجانب حتى إن ابن مسعود طرد تلاميذه عندما تبعوه وقال: « إنه فتنة للمتبوع وذل للتابع ».

فعلى من دخل في حقل الدعوة ألا يهتم بكثرة أتباعه أو تلاميذه أو يغتر بذلك أو يجعله هدفًا له، فإن مصيره ومآله إذا أراد ذلك إلى السقوط، وكم يتحسر المسلم عندما يرى من يتركون صف الدعوة من أجل أنهم لم يحمدوا ولم يثنَ عليهم.

فعلى من سلك طريق الالتزام أن يخلص لله، ويجعله هدفه وغايته ومبتغاه ومقصده، فلا تلتزم لتحظى بقربة عند أستاذ أو مكانة عند داعية، ولا تلتزم لتكون تابعًا لفلان متأثرًا به إن سار سرت وإن توقف توقفت، أو تلتزم لتكون مشهورًا عند الناس مقربًا إليهم، ولا تلتزم من أجل أن يشار إليك بالبنان، بل التزم لتكون كلمة الله هي العليا. التزم لتظفر بالجنة، تنجو من النار، قال تعالى: +إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ "[2].

* * *

(1) متفق عليه في كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله حديث رقم (2810)، ومسلم في كتاب الإمارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا حديث رقم (1904).
(2) سورة القمر، الآيتان: 54، 55.

المبحث الثامن

الحســـــــــــــد

يعد هذا السبب من أكثر الآفات التي تُخرج من الملة، وتحدث شرخًا في صفوف الأمة. إن الحسد آفة خطيرة امتلأت بها القلوب المريضة، فالإنسان يُحسد على دينه أكثر ممَّا يحسد على ماله وجاهه، لذا ذكر ابن كثير أن قريشاً جاءت للنبي × فقالت له: (...إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً، سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا)[1] وأهم الأسباب التي تؤدي إلى الحسد:

أ- ضعف الإيمان:

ب- عدم التسليم بالقضاء والقدر، وهذا واضح؛ لأن الحاسد لا يحسد إلا لظنه أن غيره قد أعطي أكثر من حقه، ولو سأل هذا البائس نفسه سؤالاً لماذا حسد؟ أليس الله هو الرازق العليم؟، هل تعتقد أنك إذا حسدت سوف تمنع غيرك من أرزاق قدرها الله لهم؟ إنك لن تقدم شيئًا في رزق الله ولن تؤخره، كيف وقد قال الله تعالى: +وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ"[2]، وبالمناسبة فقد أورد الزمخشري قصة في تفسيره قال: وقال الأصمعي: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قَعُود[3]، فقال: من الرجل؟ قلت: من بني أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الله.

قال: اتل علي، فتلوت (والذاريات) فلما بلغت قوله تعالى:+وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ"[4]، قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها، ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما، وولى، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق، فالتفت؛ فإذا أنا بالأعرابي

(1) انظر البداية والنهاية لابن كثير 159/4.
(2) سورة الذاريات، آية: 22.
(3) الذكر البكر من الإبل حين يمكن ظهره من الركوب، وهو ما بين السنتين والست سنوات، فإذا تجاوز ذلك صار جملاً. انظر لسان العرب مادة (قعد)
(4) سورة الذاريات، آية: 22.

وقد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت: +فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ"[1] فصاح وقال: يا سبحان الله، من الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤوه إلى اليمين قالها ثلاثًا وخرجت معها نفسه [2]. ا هـ.

فانظر رحمك الله تعالى إلى هذا الأعرابي كيف آمن بهذا المبدأ! وكيف رسخ الإيمان في قلبه وكيف ازداد توكله على ربه! فهل علم الحاسد أن حسده لا يؤخر في الأرزاق ولا يقدم في الآجال ألم يؤمن بقسم الله عز وجل بذلك: + فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ"[3].

ج- عدم التسلح بالعلم، فلو كان الحاسد متسلحًا بالعلم الشرعي لما سلك هذا الطريق الوعر، ولما وقع في هذا المنزلق الخطر؛ لأنه بكل بساطة سوف يتحصن بالآيات والأحاديث التي تكون بإذن الله حرزًا له ووقاية من الوقوع في هذه الآفة.

د- البيئة التي يعيش فيها، حيث اشتهر عن بعض الأسر والعوائل والبلدان انتشار هذه الآفة بينهم، وقد يسأل سائل ويقول: وما علاقة الحسد بالانتكاس؟ والجواب على سؤاله ظاهر وبارز: حيث نجد أن كثيرًا ممن حسدوا غيرهم ووقعوا في هذه الآفة قد انتكسوا؛ لأنهم لا يريدون لغيرهم بروزًا ولا تميزًا، بل وتجد بعضهم يتطور به الوضع إلى حياكة المؤامرات، ولا يخفى على أحد ما حاكه علماء السوء في زمن شيخ الإسلام عليه، بل ما فعله إخوة يوسف به، وما فعله ابن آدم بأخيه، وقد يقول قائل: إن هؤلاء لم ينتكسوا، فأقول: نعم؛ لأن بعضهم قد تدارك وضعه وندم على تصرفه، كإخوة يوسف، ولكن الوضع بالنسبة لابن آدم مختلف.

أخي العزيز، إن الحسد أخرج جموعًا من الإسلام ومنع آخرين منه! ما

(1) سورة الذاريات، آية: 23.
(2) انظر الكشاف 17/4.
(3) سورة الذاريات، أية: 23.

الذي جعل أبا جهل يرفض الإسلام؟ عندما قال هذا الطاغية: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذا؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه[1]؛ أليس حسده لرسول الله ×؟ ما الذي منع عقلاء يهود أهل العلم والكتاب من الإسلام؟ أليس حسدهم لهذا النبي الأمي؟ ولو استطردت في ذكر الأمثلة لطال المقام ولكنني سأذكر نموذجًا لمن أخرجهم هذا الداء من دائرة الالتزام:

شاب مقدم بارز لا يألو جهدًا في خدمة دينه ولا يضيع وقتًا في نشر مبادئه، ولكنه حسد من هم أعلى منه واستغرب أن ينسب الفضل إليهم ويتجاهلوه، حتى إنه قال لي: لقد ضقت ذرعًا بالوضع فأنا الذي أعمل، وغيري الذي يُعرف، فقلت له: يا هذا اتق الله، أتحسد غيرك على أن الناس قد عرفوه؟ لماذا لا تفتش في إخلاصك وتراجع أساس عملك؟ لماذا لا تقول إن معرفة الناس طيبات عجلت له أو عقوبة عجلت لك؟ أما تعلم أن هذا اعتراض على قضاء الله وقدره؟ أما تعلم أن الله حذر من الحسد؟ وتلوت عليه قوله تعالى: +أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ"[2] وقوله تعالى: +وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم"[3] أوَ ما تعلم أن فعلك هذا حسد قد أمر الله تعالى بالاستعاذة منه؟ +وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ"[4]، أما تعلم أنه شر ووبال؟ إن الحاسد يريد أن يتصرف بالأرزاق وما علم أنها ليست بيده ولا بيد البشرية جمعاء: +أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ" [5] ولكنه ما استجاب ولا أناب +۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ" [6] والعجيب أن ضحية الحسد في كثير الحالات هو الحاسد لا

(1) انظر سيرة ابن هشام ص 281 طبعة دار ابن كثير.
(2) سورة النساء، آية: 54.
(3) سورة البقرة، آية: 109.
(4) سورة الفلق، آية: 5.
(5) سورة الزخرف، آية: 32.
(6) سورة البقرة، آية: 272.

المحسود، أما الآثار السيئة التي تُرى على المحسود فأسبابها:

أ- ضعف إيمانه.

ب- عدم الصبر والاحتساب من جراء ما يصيبه.

جـ- عدم الاقتداء بالسلف الصالح.

د- عدم معرفة أن ما يقال حوله هو حسد لا نصح أو ثناء، ومن مأمنه يؤتى الحذر.

هـ- عدم معرفة أهمية المرحلة التي يعيشها، وأن قبول الناس له سوف يكون له ثمن وتضحية لا بد من بذلها، وأن كل ذي نعمة محسود.

إن على الداعية أن يثبت على طريقه، وأن يتحمل كل ما يصيبه في سبيل دعوته، وأن يستعيذ بالله من شر أهل الحقد والحسد وأن يكون شعاره "قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ" [1].

إن على الشباب تقوى الله والبعد عن الحسد حتى لا يقع في حبال الشيطان، وليعلموا أن الشيطان يزين لهم طريق الحسد، ويلبس عليهم فيه ويسميه بغير اسمه حتى إن أحدهم قد يلقي درسًا في التحذير من الحسد وهو واقع فيه دونما شعور؛ لأنه بكل بساطة يبرئ نفسه من هذه الآفة.

(1) سورة آل عمران، آية: 119.

المبحث التاسع

مـــوت القلـــــب

تجد بعض الملتزمين لا يحمل أدنى هم لأمته، ولا يتأثر بمصائبها بل عنده استعداد أن يضحك ملء فيه أربعًا وعشرين ساعة!! والمصيبة أن كثيرًا ممن هذه صفاتهم يحملون طيبة زائدة، ولكن مشكلتهم أن الضحك وعدم المبالاة أصبحت سمات بارزة لهم، فأصبح لا يفرق بين الجد والهزل؛ لذا تجده مع مرور الوقت قد ذبل الإيمان في قلبه؛ لأن كثرة الضحك تميت القلب وكثرة الهزل تلغي المهابة، فالرسول × كان ضحكه - كما ذكر أصحابه رضوان الله عليهم- تبسمًا[1]، وأنا لا أطالب الشباب الملتزمين أن يتصفوا بالعبوس كعبوس مالك الغضبان كما قال القحطاني في نونيته، ولكن أقول: لا بد من الاعتدال في هذا الجانب، ولابد أن يقضي الشاب على هذه الآفة التي تؤدي في النهاية إلى نتائج وخيمة، فهي تميت القلب، قال ×: « لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب »[2].

أعرف شابًّا كان يصحب الصالحين، وكانت مشكلته تكمن في كثرة ضحكه وهزله حتى ضاق به أصحابه ذرعًا مع حبهم له، فأصبح وصمة عار عليهم في المجالس حتى إنه أصبح من كثرة ضحكه يضحك من لا شيء؛ فلما رأى زملاؤه أنه عاجز عن أن يتخلص من هذه الآفة اعتذروا له عن عدم مصاحبتهم، وطلبوا منه أن ينضم إلى غيرهم، والغريب أنه تلقى هذا الخبر وهو يضحك، ومع مرور الزمن وجد نفسه وحيدًا فما كان منه إلا أن انحرف وانضم إلى مجموعة من الأشرار قبلت به، وهذا نموذج كان تركه للالتزام من جراء ترك أصحابه له؛ لأنهم لا يستطيعون تحمله، وهو عاجز عن تغيير وضعه، ولكن غير هذا الشاب ممن بلوا بهذه الآفة تجده مع كثرة ضحكه يترك طريق الأخيار باختياره؛ لأن هذه الآفة قد قضت على أصول الخير عنده وطمست منابعه في قلبه.

إن السلف الصالح كانوا يحرصون على البعد عن الضحك والهزل، ولو أحسسنا بمصائب أمتنا لما تلذذنا بالطعام ولا بالنساء على الفرش فضلاً عن

---

(1) أخرجه الترمذي حديث رقم (3645) وصححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية ص 121.
(2) أخرجه ابن ماجه حديث رقم (4193)، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح. انظر مصباح الزجاجة 392/3.

أن يضحك أحدنا بملء فيه. ولكن رحماك يا رب.

* * *

الفصل الحادي عشر
قصص لبعض المنتكسين

المبحث الأول: الرجال بن عنفوة.
المبحث الثاني: بلعام بن باعورا.
المبحث الثالث: عبد الله القصيمي.
المبحث الرابع: عيسى الداوي.
المبحث الخامس: خيرية حيدر.
المبحث السادس: ربيعة بن أمية.
المبحث السابع: قصة قارون.
المبحث الثامن: برصيصا الراهب.
المبحث التاسع: عقبة بن أبي معيط.
المبحث العاشر: النعمان بن محمد بن منصور.
المبحث الحادي عشر: ارتداد من افتتن بالجهاد.
المبحث الثاني عشر: جبله بن الأيهم.
المبحث الثالث عشر: ابو شجرة.
المبحث الرابع عشر: ابن خطل.
المبحث الخامس عشر: عبيد الله بن جحش.
المبحث السادس عشر: التجارة هي السبب.
المبحث السابع عشر: قصة شاب انتكس بسبب مشاحنة.
المبحث الثامن عشر: أقاربه أغروه بالكره.
المبحث التاسع عشر: قصة شاب إنتكس بسبب روايه.
المبحث العشرين: قصة رجل ألحه بسبب قراءة بداية والنهاية.
المبحث الحادي والعشرون: قصة شاب انتكس بسبب الدش.
المبحث الثاني والعشرون: الشاب الذي تنصر في الجهاد.
المبحث الثالث والعشرون: ردة كاتب الوحي.

المبحث الأول

الرجّـــال بن عُنفـــــــوة

ذكره ابن أبي حاتم فقال: «قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وفد بني حنيفة، وكانوا بضعة عشر رجلاً فأسلموا، سمعت أبي يقول ذلك.

قلت: لكنه ارتد وقُتل على الكفر، فروى سيف بن عمر في الفتوح، عن مَخْلَد بن قيس البجلي قال: خرج فرات بن حيان والرجال بن عنفوة وأبو هريرة من عند رسول الله × فقال: « لضرس أحدهم في النار أعظم من أحد، وإن معه لقفا غادر» فبلغهم ذلك. إلى أن بلغ أبا هريرة وفراتا قتل الرجال فخرا ساجدين. وروى الواقدي عن رافع بن خديج قال: كان في الرجال بن عنفوة من الخشوع واللزوم لقراءة القرآن والخير فيما يرى رسول الله × شيء عجيب، فخرج علينا يومًا والرجّال معنا جالس، فقال: أحد هؤلاء النفر في النار، قال رافع: فنظرت فإذا هم أبو هريرة وأبو أروى والطفيل بن عمرو والرجّال، فجعلت أنظر وأتعجب، فلما ارتدت بنو حنيفة سألت ما فعل الرجّال؟ فقالوا: افتتن وشهد لمسيلمة أن رسول الله أشركه في الأمر، فقلت: ما قال رسول الله × هو الحق، قالوا: وكان الرجال يقول: كبشان انتطحا فأحبهما إلينا كبشنا يعني مسيلمة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » [1].

وقال ابن كثير: «وقد كان الرجال هذا قد وفد إلى النبي × وقرأ البقرة. وجاء زمن الردة إلى أبي بكر، فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله، ويثبتهم على الإسلام، فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة، قال سيف بن عمر عن طلحة عن عكرمة عن أبي هريرة: كنت يومًا عند النبي × في رهط معنا الرجال بن عنفوة، فقال: إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد، فهلك القوم وبقيت أنا والرجال متخوفًا لها، حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة، رواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبي هريرة.

وقرب خالد بن الوليد، وقد جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة، وعلى المجنبتين زيدًا وأبا حذيفة، وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من أربعين،

(1) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج2 ص446.

وقتل ستين فارسًا، عليهم مجاعة بن مرارة، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر وهو راجع إلى قومه، فأخذوهم فلما جيء بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصدقهم، وأمر بضرب أعناقهم كلهم سوى مجاعة فإنه استبقاه مقيدًا عنده؛ لعلمه بالحرب والمكيدة وكان سيدًا في بني حنيفة شريفًا مطاعًا، ويقال: إن خالدًا لما عُرضوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون يا بني حنيفة؟ قالوا: نقول منا نبي ومنكم نبي، فقتلهم إلا واحدًا اسمه سارية، فقال له: أيها الرجل إن كنت تريد عدلاً بعدول هذا خيرًا أو شرًّا فاستبق هذا الرجل - يعني مجاعة بن مرارة -، فاستبقاه خالد مقيدًا، وجعله في الخيمة مع امرأته، وقال: استوصي به خيرًا، فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم، وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة فضرب فيه عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، والعرب على راياتها، ومجاعة بن مرارة مقيد في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل أم تميم، حتى أجارها مجاعة وقال نعمت الحرة هذه، وقد قتل الرجال بن عنفوة - لعنه الله- في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب ثم تذامر الصحابة بينهم، وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما دعوتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب: أخلصنا يا خالد فخلصت له[1].

* * *

(1) البداية والنهاية 328/6، 329.

المبحث الثاني
بلعـــام بـــن باعـــــورا

قال تعالى: +وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ"[1].

اختلف أهل التفسير فيمن نزلت هذه الآية، فقيل: إنها نزلت في أمية بن أبي الصلت، وقيل في غيره. ولكن أشهر الأقوال أنها في بلعام بن باعورا، وكان من بني إسرائيل المتقدمين، وكان مجاب الدعوة، فلا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وكان يعلم اسم الله الأعظم، وكان من مدينة الجبارين، بل أغرَبَ بعض أهل العلم فقالوا بأنه أوتي النبوة فانسلخ منها وهو غير صحيح، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: « إنه لما نزل موسى بالجبارين ومن معه ذهب بنو عم بلعام إليه، وشكوا له قوة موسى وقومه والخطر المحدق بهم من جراء دخول أرضهم، فقال لهم: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه، وقال السدي: لما انقضت الأربعون سنة؛ بعث يوشع بن نون نبيًّا فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبي، وأن الله أمرهم أن يقاتلوا الجبارين فبايعوه وصدقوه، وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له بلعام، وكان عالمًا يعلم الاسم الأعظم المكتوم فكفر، وأتى الجبارين، وقال لهم: لا ترهبوا بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم لقتالهم أدعو عليهم دعوة فيهلكهم، وكان عنده ما شاء من الدنيا غير أنه كان لا يأتي النساء لعظمهن، فكان ينكح أتانًا له وهو الذي قال الله تعالى فيه: +فَٱنسَلَخَ مِنْهَا" وقوله تعالى: +فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ "

أي: استحوذ عليه وعلى أمره فمهما أمره امتثل وأطاعه؛ ولهذا قال:+فَكَانَ

(1) سورة الأعراف (الآيات 175-177).

مِنَ ٱلۡغَـٰوِينَ" أي من الهالكين الحائرين البائرين، وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال: حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا محمد بن بكر عن الصلت بن بهرام حدثنا الحسن قال: حدثنا جندب البجلي في هذا المسجد أن حذيفة يعني ابن اليمان - رضي الله عنه - حدثه قال: قال رسول الله ×: « إن مما أتخوف عليكم رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام؛ اعتراه إلى ما شاء الله انسلخ منه، ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك»، قال: قلت: يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال: «بل الرامي»[1]. هذا إسناد جيد وابن بهرام كان من ثقات الكوفيين، ولم يُرْمَ بشيء سوى الإرجاء، وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما، وقال تعالى: +وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا"؛ أي: رفعناه من الدنس من قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناها إياه، وقوله تعالى: +وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ"؛ أي: مال لزينة الحياة الدنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها ونعيمها، وغرته كما غرت غيره من أولي البصائر والنهي، وقد سيقت هذه القصة بروايات مختلفة، ولكن الجامع بينها أن الله أمر نبيه محمدًا أن يقص هذه القصة على بني إسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له في طرد الله إياه وإبعاده عن رحمته بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه بتعليمه اسم الله الأعظم في غير طاعة ربه، بل دعا على حزب الرحمن وشعب الإيمان أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان كليم الله موسى بن عمران؛ لذا قال تعالى: +لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ"؛ أي: يحذرون أن يكونوا مثله، فإن الله قد أعطاهم علمًا، وميزهم على من عداهم من الأعراب، وجعل بأيديهم صفة الرسول يعرفونها كما يعرفون أبناءهم، وهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومؤازرته ومناصرته[2].

* * *

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم (81)، وأخرجه الطبراني في الكبير حديث رقم (169)، صححه الألباني في الصحيحة ح 3201.
(2) انظر تفسير ابن كثير 1510/4.

المبحث الثالث

عبـــد الله القصيمـــــي

عبد الله بن علي النجـــدي القصيمي ولد في عام 1907م، وتوفي 1996م / 1416هـ، قدم أجداده إلى نجد مع جيش إبراهيم باشا عندما هاجمها.

عاش حياة فقر وبؤس بعد فراق والده لوالدته، وانقطاع أخبار والده عنه، فعمل أجيرًا، ثم بدأ رحلة البحث عن والده الذي انتقل إلى بعض مناطق الخليج حتى حصل على مراده، والتقى بوالده بعد رحلة بحث شاقة تكبد خلالها المصاعب والمتاعب.

ثم تلقى تعليمه هناك تحت إشراف والده حتى فارق والده الحياة وهو لم يبلغ الحلم، ثم سافر لتلقي العلم في عدة بلدان حتى انتهى به المطاف إلى جامعة الأزهر، ودرس فيها أربع سنوات، كان الأزهر خلالها يعيش حركات شديدة أثرت هي كذلك على شخصية القصيمي وتكوينه.

وقد حدثت هذه الحركات في تلك الفترة التي تبنى فيها الأزهر محاربة السلفيين ودعوة مجدد العصر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وتوج هذا ما خطّه قلم الشيخ يوسف الدجوي أحد علماء الأزهر الذي تبنى بوضوح، ودافع بقوة عن زيارة الأولياء، والتوسل بالمقبورين الصالحين، وندب إلى طلب الشفاعة منهم نافيًا أن يكون هذا شركًا أكبر أو أصغر. فانبرى له القصيمي ورد عليه في كتابه الرائع الماتع «البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية» وعرى من خلاله حجج الدجوي مما أحدث ردة فعل عنيفة لدى القائمين على الأزهر.

(واتخذ الأزهر قرارًا قاسيًا بحقه ألاَ وهو فصله من الجامعة، وأصدر البيان التالي: (صدر كتاب ينسب إلى طالب من نجد في جامعة الأزهر، ويوجد في الكتاب شتائم وإهانات موجهة إلى أستاذ من هيئة كبار العلماء، وعلى أثر ذلك كلفت هيئة المدرسين أحد الأساتذة بإجراء تحقيق ضد الطالب فيما تضمنه الكتاب من افتراءات وشتائم، وقام الأستاذ بتقديم نتائج تحقيقه إلى مجلس إدارة الأزهر والتي قررت في جلستها المنعقدة في 1932/9/13م

قرارًا بفصل الطالب من انتسابه إلى الأزهر)[1]، ولكن هذا القرار لم يثن عزمه، بل واصل انتقاداته، وألف كتابين هما: «شيوخ الأزهر والزيارة في الإسلام»، «والفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم».

(وقد حاول الشيخ رشيد رضا الدفاع عنه ومؤازرته، وقام بطبع كتبه، بل قال: إن القصيمي اكتسح في الحقيقة هؤلاء العلماء بمعرفته الواسعة وأخجلهم)[2].

(ثم استمر القصيمي في دفاعه عن الإسلام، وتصدى للرد على محمد حسنين هيكل الذي ألف كتابًا عن حياة الرسول ×، ولم يثبت للرسول× إلا معجزة القرآن، وناقشه القصيمي بالحجج النقلية والعقلية، و عندما تعرض لحادثة شق الصدر التي أنكرها هيكل، أخذه العجب، وقال: إن أي جراح يملك القدرة على فتح الصدر، فلم يتعذر ذلك على الله وملائكته؟ وهذا نموذج يدل على قوة حججه العقلية عند المحاورة) [3].

(واستمر في دفاعه القوي عن السلفية، وبين بأنها ثورة روحية لتحرير العقل البشري، ودعا الأمة الإسلامية إلى العودة إلى التوحيد وإلى الوقوف مع المملكة العربية السعودية وإلى اعتبار مكة وطن حي للمسلمين، بل دعا إلى دعم المملكة بكل وسائل الدعم المادية والمعنوية، وتوظيف الأموال في مشاريع في بلاد الحرمين حتى تنال من الهيبة والقوة الاقتصادية ما يعينها على القيام بواجباتها نحو المسلمين) [4].

(ثم بلغ قمته عندما رد على الكاتب الشيعي السوري محسن العاملي، الذي ألف كتابًا بعنوان «كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب» تعرض فيه للدعوة السلفية التي أحياها المجدد شيخ شيوخ الإسلام في عصره محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فانبرى له القصيمي انبراء الأسود، ورد عليه رد الفحول في كتابه الكبير «الصراع بين الإسلام والوثنية») [5].

(وقد لقي هذا الكتاب قبولاً عظيمًا عند أهل العلم حتى قال فيه إمام الحرم المكي في ذلك الوقت قصيدة فيها ثناء عطر على الكتاب:

---

(1)انظر (دراسة عن القصيمي) ص23، وانظر (من أصولي إلى ملحد) ص42، 24.
(2) المرجع السابق ص23، 24، و (من أصولي إلى ملحد) ص46.
(3) (من أصولي إلى ملحد) ص53.
(4) المرجع السابق ص56، 57.
(5) المصدر نفسه ص58.

صراعٌ بَين إسلامٍ وكفرٍ يقوم به القصيميُّ الشجاعُ
ألا لله ما خط اليراعُ لنصر الدين واحتدم النزاعُ[1]

بل ذكر صلاح المنجد أن بعض أهل العلم قالوا للملك عبد العزيز -رحمه الله-: «لقد دفع القصيمي مهر الجنة بكتابه هذا »[2].

(وشعر القصيمي - بعد كتابه هذا وما لقيه من قبول عند أهل العلم وما أحدثه من أثر وجرح عميق عند أهل البدع - بكثير من الزهو والفخر؛ فألفان وخمسمائة صفحة في الدفاع عن الدين والإيمان وتحطيم الوثنية تكفي لتجعل منه الشيخ الذي ينظر إليه بعين الرضا، ويقدم في المحافل، ويبرز في المجامع، ويصدر في المجالس)[3].

ولكن هذه الهالة سرعان ما اندثرت وخفتت وعاد القصيمي إلى وضعه، فلا هو قدم ولا هو بُجِّل، فأصيب بردة فعل عنيفة قادته إلى أن يقوم بشرح أسباب انحطاط المسلمين! وتأخرهم! بكتابه «كيف ذل المسلمون»، وقد ظهر من خلال هذا الكتاب مناقضته الصريحة لمواقفه السابقة.

ثم فاجأ العالم بقنبلة مدوية مخزية، وهي كتابه «هذي هي الأغلال» الذي ثار فيه على كل شيء عرف عن المسلمين لا فرق عنده بين عادات وتقاليد وخرافات وعقائد، وأثار الكتاب ضجة عنيفة في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، (وما إن وصل خبر الكتاب إلى الملك عبد العزيز -رحمه الله- حتى بادر بإرسال برقية إلى الشيخ فوزان السابق - رحمه الله - يطلب فيها منه أن يعلن براءته في الصحف من القصيمي)[4].

وقال علامة زمانه الشيخ السعدي - رحمه الله -: «لقد وقفت على كتاب صنفه القصيمي سماه: «هذي هي الأغلال»، فإذا هو محتوٍ على نبذ الدين والدعاية إلى نبذه والانحلال منه من كل وجه، وكان هذا الرجل معروفًا بالعلم والانحياز إلى مذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس

(1) دراسة عن القصيمي ص25.
(2) دراسة عن القصيمي ص25.
(3) (من أصولي إلى ملحد) ص55.
(4) (دراسة عن القصيمي) ص28.

مقام وسمعة حسنة، فلم يرع الناس في هذا العام حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقًا.

وبعد ما كان في كتبه السابقة معدودًا من أنصار الحق، انقلب في كتابه هذا من أعظم المنابذين له، فاستغرب الناس منه هذه المفاجأة الغريبة لسوابقه» [1] وقال: «إن من نظر فيه وتأمله حق تأمله عرف أنه ما كتب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي منفرًا منه، وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل، ولا افترى مفترٍ على الدين كافترائه، ولا خرف أحد نظير تخريفاته، وما صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحملته كاستهزائه وسخريته، فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابذته ومنافقته ثلاثة لا تبقي من الشر شيئًا إلا تضمنته:

1- صريح في الانحلال عن الدين بالكلية، وخروج تام عن عقائده وأصوله فضلاً عن فروعه.
2- هو أكبر دعاية للإلحاد. مقاومة للدين وأهله.
3- فيه من البهرجة والتزويرات التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله +ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ "[2].

وجملة ذلك أنه تلقى عن جميع أعداء الدين ما وجهوه إلى الدين وإلى أهله من جميع ألوان الشبه التي تدعو إلى الكفر والتكذيب بالدين، وزاد عليهم زيادات واستدرك أمورًا لم يصلوا إليها، فإن النافين للباري - عز وجل - الجاحدين له؛ كزنادقة الدهرية وفرعون وأتباعه الذين حرصوا على جحد رب العالمين بالكلية وتكذيب رسله جهرًا وعلنًا، ثم أظهره زنادقة الاتحاديين بأسلوب آخر: وهو أن الوجود كله - واجبه وممكنه - واحد بالعين، فلا ثم رب ولا مربوب ولا خالق ولا مخلوق، الجميع شيء واحد، ثم جاء القصيمي بأسلوب أشنع من ذلك كله حينما زعم أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق،

(1) تنزيه الدين وحملته ورجاله للسعدى ص 425.
(2) سورة فاطر، آية: 43.

وأن من فرق بينهما من الأنبياء والرسل وأهل الأديان فهو غالط ضال» [1].

كما ألف الشيخ إبراهيم السويح كتابًا فيه رد على القصيمي سماه «بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال»؛ حيث قال في المقدمة: «لسنا بحاجة هنا إلى الاستدلال على فساد تصور هذا الرجل، وكثرة تقلب آرائه» [2].

كما رد عليه الشيخ عبد الله بن يابس بكتاب كبير بعنوان «الرد القويم على ملحد القصيم» بيَّن فيه كفر الرجل وإلحاده.

وكتب إبراهيم آل عبد المحسن في حوادث سنة 1366هـ من تاريخه «تذكرة أولي النهى والفرقان» بعنوان: ذكر ردة عبد الله بن علي القصيمي.

كما ثار الأزهر وعلماؤه والجمعيات الدينية على هذا المرتد المارق[3].

أسبـــاب الـــــــردة

تفاوتت ردود الأفعال عن ردة هذا الزنديق وعن تحليل أسباب الردة، ولعل لردته أسبابًا عدة:

1- الشك والحيرة وكثرة الجدل:

يقول عبد الله بن يابس: «كان القصيمي منذ أكثر من خمسة عشر عامًا تقريبًا يجادل في البَدَهيات الدينية، حتى اشتهر بكثرة جدله في الأمور الضرورية، وحتى كان يجادل بعض جلساته في وجود نفسه، وحدثني صديق حميم من العلماء الأفاضل قال: كان ذلك المخلوق القصيمي يأتي إليّ منذ خمس عشرة سنة تقريبًا، ويصرح لي بأنه تعتريه شكوك إذا جن الليل، فيسخن جسمه، ويطير النوم من أجفانه، قال: وكان يجادلني في الله، وفي النبي ×، وكان قلبي يمتلئ بغضًا له واحتقارًا.

قال: وكنت أجيء لزيارتكم فأجده يقرأ في صحيح مسلم مع بعض الإخوان. فترجع نفسي قائلة لعلها وساوس وليست عقائد» [4].

---

(1) انظر (تنزيه الدين وحملته) من ص 425 إلى 430.
(2) طُبع بالمطبعة السلفية.
(3) انظر (دراسة عن القصيمي) ص27.
(4) انظر الرد القويم ص11.

2- الغرور والغطرسة:

عندما ألف كتابه «البروق النجدية» امتلأت نفسه زهوًا وعجبًا وكبرًا.

يقول الشيخ ابن يابس: «لقد صدَّر كتابه هذا بقصيدة ركيكة يمدح بها نفسه ويطريها، ولما اطلع على هذا الكتاب شيخنا «عبد العزيز بن بشر» - رحمه الله- أدرك بنور بصيرته وعلمه أن صاحبه منحرف عن الإسلام، وكان من إعجابه بنفسه أنه لما قرأ ديوان المتنبي كتب على طريقته:

كفى أحمدًا أني نظرت كتابه لأن يدعي أن الإله مخاطبه

ولو شامني أني قرأت كتابه لقال إله الكون إني خالقه

كما قال أيضًا:

ولو أن ما عندي من العلم والفضل يقسم في الآفاق أغنى عن الرسل[1]

قال آل عبد المحسن:

«كان هذا الرجل من أهالي خَبِّ[2] من خُبوب القصيم، ثم إنه نشأ في مصر واكتسب من العلوم حتى كان ينافح عن دين الله، وله ردود على أهل الضلال الذين نابذوا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وضادوها حتى هتك أستارهم، غير أنه كان معجبًا بنفسه؛ فعنّ له بعد ذلك أن يتوسع في العقيدة ويأتي بأمور يظهر منها علامات النفاق والخبث، ولو ثبت على ما كان عليه في أول أمره في كتبه التي ألفها في نصرة الدين - كالفصل الحاسم والبروق النجدية والصراع بين الإسلام والوثنية- لكان خيرًا له، وقد يُستنشق من مؤلفاته الأخيرة رائحة النفاق، فلما كان في هذه السنة أظهر كتابه الأغلال الذي تعرى به من دين الإسلام وخلع ربقته من عنقه وسمى شرائع الإسلام أغلالاً، غلَّت المسلمين عن التقدم، وحسَّن طريقة الكفر، وزاغ عن الهدى، ورمى الإسلام بالقصور والتأخر، وشن عليهم الغارة وفضل طريقة الكفر والشرك على طريقة المسلمين»[3].

والغرور والغطرسة والإعجاب بالنفس عند القصيمي ظاهرة ولا تحتاج إلى جدال، وما خطه يراعه في مقدمات كتبه خير شاهد وبرهان، وقد شهدت

(1) انظر الرد القويم ص11، 12.
(2)الخب: هجرة زراعية صغيرة.
(3) انظر تذكرة أولي النهى والعرفان 4/242-243.

لهذه الآفات أشعاره التي يبدأ بها في كتبه ومن ذلك قوله:

لو أنصفوا كنتُ المقدم في الأمرِ ... ولم يطلبوا غيري لدى الحادث النكر

ولم يرغبوا إلا إليّ إذا ابتغوْا ... رشادًا وحزمًا يعزبان[1] عن الفكرِ

ولم يذكروا غيري متى ذكر ... ولم يبصروا غيري لدى غيبة البدر

فما أنا إلا الشمس في غير برجها ... وما أنا إلا الدرُّ في لجج البحرِ الذُّكاء[2]

بلغتُ بقولي ما يُرام من العُلا ... فما ضرَّني نقد الصوارم والسمرِ

أسِفْتُ على علمي المضاع ومنطقي ... وقد أدركَا لو أدركا غاية الفخرِ

أرى كل قوم يحفظون أديبهم ... ويجزونَه بالعزِّ والمـال والشـكرِ

خلا معشـري مـا عندهم لأديبهم ... سـوى الحسد الممقوت والبغض

إذا قام فيهم ناشئٌ ذو مخايل ... تدل على العلياء والحـسب الحرّ المحض

أطاحوه غضًا قبل أن يبلغ المدى ... وقاموا على أعـواده الخضْر بالكسرِ

ومما شجاني أن أراهم إذا رأوا ... غبيًّا دَعِيَّ العلم والدين والشعرِ

تولّوْه بالألطـاف والعـطف ... وذلوا له ذل الحوادثِ للـدهرِ

فكم عَزَّ فيهم من جهولٍ مبـلد ... وكم ذَل منـهم من عَليم ومن حبر

لـقد ضقتُ ذرعًا بالبيان فإنني ... رأيتُ بياني ناقصًا عندهم قدري

ورغبني في الجهلِ أنـي رأيتنـا ... يسـود لـدينا كـل من لم يكن يدري

نوائـب دهرٍ تترك الحرَّ حائرًا ... وَلَيس بمظلوم لديه سوى الحـرِّ[3]

وقال أيضًا:

---

(1) يعزب: يغيب.
(2) الذُّكاء: بضم الذال المعجمة: الشمس.
(3) انظر مقدمة كتابه الفصل الحاسم.

حـاشا لهـم أن يعـدلوا بي واحدًا ... مـن بعـد ما وضحت لهم أنبائي
وأعيذهـم من أن يعيـل أديبهم ... وأديب كـل النـاس في النعـماء
عـابوا علـيَّ تحدُّثي وتمدُّحي ... بأصـــالتي وشجـاعتي وذكـائي
إن لم يُبـح مـدح الفتى أخـلاقه ... بيـضًا فأي تمـدح وثنـاءِ [1]

فانظر - رعاك الله- إلى هذا البائس كيف ارتد بعد إسلامه، وكيف أصبح من جلسائه أصحاب الكفر والغانية والكأس، بل وألف كتابًا يستهزئ فيه بالتوحيد وأهله فتصدى له بعض أهل العلم والفضل وكشف زيغه ورد ضلالته، فلله الحمد والمنة.

فالحذر الحذر من الوقوع في هذه المهلكة التي وقع فيها، وهذه داء الغرور والإصرار عليه.

ملاحظـــــــة:

وقد يقول قائل: إن المعتاد من الشعراء هو الثناء على أنفسهم من خلال أشعارهم، فالرد عليه من وجوه:

1- العبرة بالشرع لا بفعل العرب +فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ".
2- قد تقبل التزكية في أمور دنيوية، مثلما حدث في خبر كعب بن مالك، ولكن التزكية في أمور شرعية غير مقبولة شرعًا.
3- اشتهر عند العرب أن يثني الشاعر على قصيدته لتحظى بالقبول، لا على نفسه، ولو أثنى على نفسه فهو بحدود المعقول وإن كان ممقوتًا.
4- عدم الاستهزاء بالآخرين وتحقيرهم كما فعل هذا البائس.

3- الاتهام بالعمالة:

حيث أشار إلى هذا السبب عدد من الباحثين، قال علامة القصيم الإمام السعدي - رحمه الله -: «وكثير من الناس يظنون به الظنون التي تدل عليها القرائن، وليست بعيدة من الصواب، لظن بعضهم أنه ارتشى من بعض جهات الدعاية الأجنبية اللادينية» [2].

(1) انظر مقدمة كتابه الفاصل الحاسم.
(2) انظر تنزيه الدين وحملته ص425.

ويقول الشيخ عبد الله بن يابس: «هذا المخلوق أغراه المستعمر واشتراه ثم أثراه، فذهب يطعن في هذا الدين وحملته وأحكامه في كتابه «هذي هي الأغلال»، فإن قال قائل: كيف قلتم إنهم أغروه واشتروه، ولم تسمعوا الإغراء ولم تحضروا الشراء؟ قلنا: نعم وبالله التوفيق.

إننا ممن يعرفون الله بآياته، ويعرفون صفاته من أفعاله في مخلوقاته، ويؤمنون بأنه تعالى وهب هذا البشر مرآة صافية هي العقل، يعرفون بها الحق من الباطل والحالي من العاطل، وقد أدركنا بهذا العقل كما أدرك غيرنا أن أحدًا لن يجترئ على أن يطعن في دينه ووطنه وجنسه، ويمدح أعداء الدين من غير عوض ولا مقابل، فأدركنا أن هناك بيعًا وشراءً. وإلا فماذا؟!!» [1].

4- العقد النفسية:

لقد عاش القصيمي معقدًا، وأثرت العقد النفسية عليه حتى إنه كان لا ينام الليالي بسبب شكوكه وأوهامه، كما كان لحياة التشتت أثرها في حياة القصيمي وطرده من جامعة الأزهر أحدث عنده كراهية للتدين، وكانت معاملة والده القاسية سببًا من أسباب انحرافه، حيث قال عن والده الذي التقى به بعد طول فراق: «ومنذ بداية تلاقينا راح يقسو علي قسوة يصعب وصفها، بل بهاب ويرهب وصفها، يزعم أنه يريد أن يجمع كل العلوم التي يعرفها أو يتصورها أو يسمع بها، وكل أخلاق السلوك المهذب الذي يراه هو كل الكمال، يجمع كل ذلك في لقمة واحدة لابتلاعها مرة واحدة بلا تذوق أو مضغ، ولقد كان يرى قسوته على هذا التفسير ثناء عليه في المجتمع.

لقد بدا وكأنه يرى العذاب والألم اللذين قاسيتُهما قبل لقائه أقل وأرحم مما يجب أن أقاسي، لهذا فهو يريد أن يوقع بي كل ما يجب لي من العذاب والألم؛ لأنه يؤمن جدًّا بالواجب ويحترمه، ويلتزم به بكل فئات القسوة وأساليبها» [2]. اهـ.

كما كان لتعامل بعض مشايخه معه دور فيما أصابه من عُقَد نفسية؛ حيث كان يُحطّم عندما يوجه أسئلة ولا يجاب عليها، ويطلب منه الصمت وهذه قالها لي أحد العلماء الكبار، والله أعلم.

---

(1) الرد القويم ص 9، 10 وانظر دراسة عن القصيمي ص20.
(2)من أصولي إلى ملحد ص27، وانظر دراسة عن القصيمي ص20.

مواقف في حياة القصيمي

لقد مرت بالقصيمي مواقف عديدة، إليك بعضها:

الأول: قال الشيخ ابن يابس عن أحد الثقات أنه لقي القصيمي فقال له: من أين أقبلت؟ فقال: من عند هدى شعراوي، فقال له الراوي مستغربًا: هدى شعراوي؟ قال: نعم، قال: وما تصنع عندها؟ قال: تعلمت منها علمًا لا يعرفه علماء الأزهر، قال: ماذا تعلمت منها؟ قال: تعلمت منها كيف أحطم هذه الأغلال. فقال له الثقة: أي أغلال تعني؟ قال: أعني الحجاب.

فالقصيمي يخبر أنه استقى معلوماته من شمطاء كريهة [1].

الثاني: ذكر الشيخ ابن يابس: «أن عسكريًّا جاءه وكان يجالس القصيمي فقال بعدما أوغر القصيمي صدره:

أليس كل رجل يود لأبيه الخير، فقلنا: بلى. فقال: إذًا فكيف يكون لأهل الجنة ما يشاءون والصحابة يعرفون أن آباءهم في النار؟!

فما هذا التناقض؟ فقلنا له أأنت مؤمن؟ قال: نعم، قلنا: أتحب الله أكثر من أبيك؟ قال: نعم. قلنا له: فإذا كان الله يبغض أباك لجحوده وكفره أتحب ما أحب ربك أم تحب أباك؟ وهنا أدرك أنه مخدوع، فقلنا له: ألم تقرأ القرآن + قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ....." الآية [2]. وما حكى الله عن إبراهيم، فبهت وسكت، ثم أورد لنا شبهًا كثيرة كشفنا له حجابها في ذلك المجلس. وقد ذكر لنا أن الذي ألقاها عليه هو شيخه القصيمي.

ثم ذهب هذا المسكين وتزوج بنت رجل من الإخوان وأراد أن يخرج بها عارية إلى الشارع، فثار والدها عليه، فقال له العسكري: إن الشيخ القصيمي يقول: إن الإسلام يأمر بذلك ولا يكرهه، فلعنه والدها ولعن القصيمي وفرق بينها وبينه » [3].

الثالث: (ذهب القصيمي مع صديق له لمجلس فيه مجموعة من صغار طلبة العلم، فبدأ القصيمي يثير شبهه فقال: ما يصح أن نقول أن القرآن حق لأنه متواتر فالتوراة والإنجيل متواتران، ومع ذلك فإننا نقول إنهما باطلتان:

---

(1) الرد القويم ص19.
(2) سورة التوبة، آية: 24.
(3) الرد القويم ص 20-21.

فراجت الشبهة على هؤلاء المتعالمين، فما كان من صديقه إلا أن انبرى له وقال: إن الواقع يشهد أن التوراة أحرقت وأعدمت مرتين، والأناجيل ألفت بعد المسيح بزمن، فليستا متواترتين، وعقلاء اليهود والنصارى يشهدون بذلك.

والقرآن يعرف الإنس والجن تواتره، فصفق الحضور لهذا الرد المفحم، ولكن ملحد القصيم أبى عليه خبثه وحقده إلا معاودة الاعتراض وزرع الشكوك التي ليس لها مكان إلا في عقله إن كان له عقل؛ فقال:

إن القرآن مطعون بتواتره وكتب الشيعة ناطقة بذلك، فقال له صديقه إن مقولة الشيعة هذه ما قيلت إلا بعد اندثار الصحابة، وقد خرقوا الإجماع ولا اعتداد بمن خالف الإجماع)[1] فأسكت الملحد ولم ينطق ببنت شفه.

الرابع: حصلت بينه وبين الشيخ محمد متولي الشعراوي مناقشة بحضور رئيس الوزراء المصري وعدد من المثقفين، وتبجح القصيمي وطرح عددًا من الأسئلة الاستفزازية عن وجود الله - جل وعلا - ثم تساءل عما يحصل في الجنة مع زوجات المسلمين طالما أن للرجال الحق في أن يمارسوا الجنس مع عدد غير محدد من النساء، فما كان من الشعراوي إلا أن غادر المجلس بعد ما رأى أن آيات الله يستهزأ بها، وأن خصمه ملحد لا يؤمن بالله ولا بالجنة ولا بالنار فلا طائل من نقاشه ولا فائدة من حواره.

الخامس: موقف ذكره السويح -رحمه الله- حيث قال في كتابه الرد القويم:

«أهدى إلي الرجل كتابه «هذي هي الأغلال»، ولم أتمكن من قراءته، حتى قام بزيارتي مع صديق عزيز، وقال لي صديقي: إن حرية الفكر في خطر، وإن مؤلف الأغلال الذي أمامك عندما ألف كتابه بكل جراءة لقي خصومة ومعارضة شديدة من الرجعيين!! وإنه على وشك المحاكمة التي نهايتها شنقه!

فتحمست عندما قال لي صديقي ما قاله، وتهيأت للذود عنه، ولكن عندما أخذنا بأطراف الحديث بدأت أشم رائحة في حديث القصيمي غير نظيفة، رائحة توحي أن هناك شيئًا ما؛ لأنه يسعى لإقناعي بأن الإنجليز قوم مصلحون، لا مستعمرون، وأن وسائلهم في الشرق أرقى وأكرم من وسائل المسلمين عندما استعمروا الشعوب، وكان يقصد بأنهم أرقى من المسلمين،

(1) المرجع السابق ص 25-26.

يقصد النبي × وأصحابه، بل تمادى في غيه وأطنب في ضلاله عندما ألمح أن القرآن أباح التخريب والتمثيل، وبعد انصرافه هرعت إلى كتابه وهالني ما قرأته؛ لقد تحول شعوري إلى اشمئزاز عميق، لقد بان لي أن الرجل ينافق، يطعن الدين طعنة في صميمه، ثم يتوارى ويتحصن في الدين، لقد بان لي أن هذا الرجل يحمل دعوة خبيثة ملتوية ضد التدين، وأظهر عداءه للإسلام، ثم قال كلامًا طويلاً[1]. واكتفيت بجزء مما قاله مع الاختصار والتصرف.

مقتطفات من أقواله

كان بودي أن أُنزّه قارئي الكريم من أن يؤذى سمعه وبصره بمقالات هذا الملحد، ولكن لا بد أن يطلع القارئ على بعضها حتى لا يُظن أن القوم ساقتهم عاطفة لتكفيره أو أنهم يرددون ويتأثرون بدون ما يقرؤون، لذا اخترت لك بعضًا من أقواله من بطون كتبه مع العزو للكتاب.

حيث قال: «من المعلوم أن أوروبا يوم أن كانت مؤمنة بالكنيسة متدينة كانت في ذلك الهوان والضعف والعجز الذي نعرفه ونقرأه، فلما أن فرت من إيمانها وتنازلت عن ذلك الأمل الأخروي! وجعلت الصناعة والتجارة والحياة الكبيرة القوية هي آلهتها التي وحدتها، وأبت الإشراك بها، صعدت بالحياة» [2].

«إن الآلهة والعقائد والمذاهب تصاب بالخمول والفساد والتعفن، ويتراكم التراب والحشرات إذا تقادمت دون تغيير أو تحريك أو تنظيف» [3].

«إن المتدينين عجزوا أن يتصورا إلههم تصورًا يسمو كثيرًا على ما يعرفون ويشاهدون من القادرين الآخرين، فالله في تقديرهم وتصويرهم - وإن اختلفوا في هذا وتحالفوا كثيرًا - لا يعدو أن يكون في أفعاله وقضائه وقضاياه وحكمه على الأشياء والآخرين، وعلى سائر عبيده ورعاياه بشرًا مقتدرًا؟!، كالذين يعرفونهم ويفكرون تفكيرهم، ولهذا فإنه - أي الإله - يغضب عندهم ويرضى وينتقم ويثيب ويجازي ويعامل على مقتضى

(1) انظر الرد القويم ص15-18 وما بعدها باختصار.
(2) الأغلال ص319.
(3) المرجع السابق 301.

انفعالاته وعواطفه، ويلجأ إلى المحسوبية وإلى الإعطاء والمنع بناء على الشفاعة، ويتحكم في هذا العالم كله، على ما تشير به هذه الانفعالات والتطورات عنده، ثم قال: فإذا بلغوا مكانة من الإيمان هبوا يلتمسون رضا هذا الإله على ما تصوروا، وهبوا يتملقونه وينافقونه ويصنعون ما يحبون أنه ينيلهم رضاه وعطفه، وأرصدوا جل قواهم وأوقاتهم وأعمالهم لهذا السبيل، ليدركوا لديه ما يشتهون ويبتغون، فشغلوا بذلك عن سلوك السبيل، وعن محاولة القيام بالأعمال النافعة المجدية؛ لأن تصورهم للأشياء قد أصيب بالفساد، وإذا فسد التصور فسدت الأعمال لا محالة، وأصبح فشل هؤلاء - يعني المتدينين - كمثل أولئك الزعانف المتملقين المنافقين الكذابين، الذين يحدثنا التاريخ كيف كانوا ينالون رضا ملوكهم وخلفائهم وأمرائهم وكيف كانوا ينالون ذهبهم وفضتهم وضياعهم وجواريهم وكل ما يحبون بالتملق والكذب والنفاق والعبودية والامتداح، وكل تلك المخازي الخلقية التي أثبتتها لنا كتب الأدب والتاريخ»[1].

فانظر - يارعاك الله- كيف سمى الصلاة والطاعة وكافه أنواع العبادة نفاقًا وتصنعًا، بل شبه الله بالملوك - تعالى الله عما يقول علوًّا كبيرًا -، وشبه الأدعية والأذكار بالمدائح والأشعار التي تقال عند الملوك.

وقال: «العقائد والآلهة والمذاهب هي أحق الأشياء بالتغيير» [2].

وقال: «من الهزل أن الكون أو الإنسان مخلوق بمشيئة إله أو بعدله أو برحمته أو بقدرته أو بذكائه» [3].

تعالى الله عما يقول الزنديق علوًّا كبيرًا.

وقال: «فكيف يكون وجود الإله أفضل لنا؟ إن وجوده يعني محاسبتنا، ومراقبتنا، ويعني الثواب والعقاب، ويعني الجنة والنار» [4].

وقال: «إن الأفضل لنا ألا تكون فوقنا قوة هائلة مطلقة مثل قوة الإله تسلبنا الحرية وتحاسبنا أقصى محاسبة، وتضعنا تحت أقوى رقابة وتخيفنا بمشيئتها، ثم تحكم علينا بالخلود في الجنة.... أو في الجحيم.... إن وجود

(1) الأغلال 338.
(2) المصدر نفسه 282.
(3) الأغلال ص90.
(4) هذا العالم ما ضميره ص 93.

الإله يجعلنا محكومًا علينا أن نعيش عراة ونشعر بأننا عراة....» [1].

وقال: «فهل من الأفضل حقًّا للإنسان أن يكون فوقه إله.... كيف يكون الأفضل للبشر أن يكون فوقهم طاغية - تعالى الله عما يقول علوًّا كبيرًا - لأحد لقدراته ولغيرته ولغضبه ولحبه لذاته ولبحثه عن المجد الذاتي....» [2].

وقال: «إني أتشاءم بحرارة ومعاناة وإيمان... تشاؤمي نوع من الاحتجاج ضد الكون، وضد الآلهة وضد نفسي... إني أتشاءم لأني لا أستطيع أن أكون إلهًا....» [3].

وقال أيضًا: «إن الدعاء والصلاة اتهام لله بليد! إنك إذا دعوت الله، فقد طلبت منه أن يكون أو لا يكون... إنك تطلب منه حينئذ أن يغير سلوكه، ومنطقه وانفعالاته... إنك إذا صليت لله فقد رشوته لتؤثر في أخلاقه، ليفعل لك طبق هواك، فالمؤمنون العابدون قوم يريدون أن يؤثروا في ذات الله، أو يصوغوا سلوكه.

لأن الصلاة والدعاء ليستا إهانة لله فقط؛ إنهما أيضًا إفساد للداعي والمصلي، وإنهما تقوية له على الرشوة وعلى نفي القانون والعدالة، والذي يتعلم رشوة الله، وينكر قوانين الأشياء، هل يمكن أن يكون في سلوكه أو تفكيره فاضلاً أو ذكيًّا؟.... إن الذي يصلي لله لا يريد أن يتصدق على الله بصلاته... إذن هو يرشوه، إنه يريد منه أن يغير سلوكه، وإرادته وأن يفعل ما ليس فاعلاً.... أن يفعل إرادة المصلي ثمنًا لصلاته» [4].

وللقصيمي أقوال وأراء أفظع وأقبح مع ما في هذه من فظاعة وقباحة وجراءة وإلحاد وزندقة وجميع صور الكفر والإلحاد، وقانا الله شره، وثبتنا على دينه.

* * *

(1) المرجع نفسه ص94.
(2) المرجع نفسه ص99.
(3) المرجع نفسه ص528، 544، 545.
(4) أيها العقل ص33.

المبحث الرابع
عيســـى الـــــداوي[1]

أصيب عيسى الداوي بمرض خطير في عام 1925م، و قد أهملت عائلته علاجه ولم تعبأ به، فالتجأ إلى المستشفى الأمريكي في الكويت إبان الحملات التبشيرية فاستقبله الأطباء هناك استقبالاً طيبًا ووجد عناية ورعاية حتى شفي من مرضه.

فأدى هذا إلى إعجابه بالدين النصراني، ثم أعلن بدون تردد خلع ربقة الإسلام والتخلي عن دين خير الأنام، واعتنق النصرانية كردة فعل وانتصار للنفس وعدم تحمل للفتن وعدم الصبر على الابتلاء، فباع دينه بثمن قليل بسبب عاطفته وانتصارًا لنفسه، واستمر على هذا الدين حتى هلك غير مأسوف عليه عام 1950م، ودفن خلف الكنيسة البروتستانتية في الكويت.

* * *

(1) أصـــل هذه القصـــة موجود في (التبشـــير في منطقة الخليج العربي) د. عبد المالك التميمي، ص232.

المبحث الخامس

خيــريــة حيـــــــــدر [1]

قدمت إلى البحرين من بلاد فارس بعد نهاية الحرب العالمية الأولى مع زوجها بحثًا عن عمل، ووجد زوجها عمل الغوص في أعماق البحار بحثًا عن اللؤلؤ، وكان هذا العمل يتطلب منها الصبر عن ابتعاده بالشهرين والثلاثة مما أدى إلى أن تعيش ظروفًا مادية سيئة، أوقعتها في شدة الجوع، وكانت تمر عليها الأيام وهي لا تكاد أن تحصل على وجبة واحدة، وزاد من ضيقها عدم اهتمام المجتمع بها، أو اكتراث الجيران لحالها ووضعها، وزاد من مأساتها أن أصيب أطفالها الثلاثة بمرض الجدري الخطير، مما ألجأها إلى مراجعة مستشفى الإرسالية في البحرين بحثًا عن علاج أطفالها، فعاملها القائمون على الإرسالية معاملة رائعة وقاموا بمساعدتها، فشعرت أن (النصارى) أفضل من المسلمين، وعندما لاحظ المفسدون المدشرون «المبشرون» ميلاً منها نحوهم بدؤوا يستثيرون عواطفها ويحدثونها عن دينهم المُحرَّف، وأنه الدافع لهم لمساعدتها، ثم فوجئت وصُدمت بوفاة زوجها وعائلها، فما كان منها إلا أن ذهبت إلى المستشفى وقابلت القائمين عليه وأخبرتهم بردتها وتنصرها، ففرح أعداء الله بذلك فرحًا شديدًا واستغلوا الفرصة، وقاموا بتعيينها فورًا رئيسة لدار الأيتام التابعة للإرسالية، وكان هؤلاء الأيتام من الأطفال غير الشرعيين فعاش أطفالها مع هؤلاء الأيتام في جو نصراني وتربوا على أنهم نصارى.

وقد اعترفت بأن ظروفها الاجتماعية وخاصة ضروريات المعاش هي السبب الرئيس في تحولها عن دين الإسلام.

ولو كانت هذه المرأة موقنة بأن هذا الدين يُفتن أصحابه كما قال تعالى: +وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً"[2] لما فكرت لحظة بتركه واستبداله بما هو أدنى منه ولا خير فيه، كما أن المجتمع مسؤول مسؤولية مباشرة لعدم أداء حق الله في الزكاة والتي من حكمها إغاثة الملهوف وإطعام المسكين، وهذا يدفعنا إلى الاهتمام بالفقراء أكثر حتى لا نحوجهم إلى أعداء الله ليتلاعبوا بدينهم،

(1) أصل هذه القصة في التبشير في منطقة الخليج العربي للتميمي ص233.
(2) سورة الأنبياء آية: 35.

ويدعونا إلى دعم المؤسسات الخيرية التي تجوب العالم شرقًا وغربًا لإنقاذ المسلمين من براثن المفسدين المخربين.

* * *

المبحث السادس

ربيعـــــــــة بن أميـــة

ربيعة بن أمية بن خلف، أسلم عام الفتح وشهد حجة الوداع، رأى رؤيا وهو أنه خرج من أرض خصبة إلى أرض مجدبة فقال له أبو بكر - رضي الله عنه-: «إن صدقت رؤياك فستخرج من الإيمان إلى الكفر»، ومضت عليه مدة حتى جاء عهد عمر فشرب الخمر، فطلبه عمر فهرب إلى الروم ولجأ إليهم، ثم تنصر ومكث عند ملك الروم حتى هلك.

وفي رواية عند عبد الرزاق أن عمر غرب ربيعة في الخمر إلى خيبر، فغضب فلحق بقيصر فتنصر[1].

وهذا الرجل كان من المفترض أنه يتحتمل مسؤولية خطئه ويتلقى العقوبة المناسبة لفعلته بدلاً من أن يعرض دينه للخطر؛ فيهرب بذنبه لبلاد الكفر خشية العقوبة فينال عقوبة أكبر وفتنة أعظم وهي ركونه إلى الذين ظلموا، ومن هذه القصة نستخلص درسًا عظيمًا، وهو عدم التساهل بمجاورة الذين ظلموا وعدم الاقتداء بالأحياء فإنهم لا تؤمن عليهم الفتنة.

اللهم اختم لنا بالموت على الاستقامة.

* * *

(1) انظر القصة في (المصنف) لعبد الرزاق 230/9 و (سنن النسائي)، وقد ضعف الألباني سند النسائي في ضعيف سنن النسائي (5692)، وأوردها ابن حجر في (تعجيل المنفعة) وقال محققها: ورجال عبد الرزاق رجال الصحيح (526/1)، ترجمة ربيعة بن أمية.

المبحث السابع

قـــــــــــــارون

قال الله تعالى: +﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ "[1].

قال الأعمش: عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان قارون ابن عم موسى، وكذا قال إبراهيم النخعي، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وسماك بن حرب، وقتادة، ومالك بن دينار، وابن جريج وزاد فقال: هو قارون بن بصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث، قال ابن جرير: وهذا قول أكثر أهل العلم: أنه كان ابن عم موسى، ورد قول ابن إسحاق أنه كان عم موسى، قال قتادة: وكان يسمى المنور لحسن صوته

(1) سورة القصص، الآيات: 76-83.

بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي، بكثرة ماله، وقال شهر بن حوشب: زاد في ثيابه شبرًا طولاً ترفعًا على قومه.

وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه، حتى إن مفاتحه كان يثقل حملها على الفئام (أي الجماعة من الناس) من الرجال الشداد، وقد قيل إنها كانت من الجلود وإنها كانت تحمل على ستين بغلاً، والله أعلم[1].

* * *

(1) تفسير ابن كثير 6/2675-2679.

المبحث الثامن

برصيصـــــا الراهـــب

ذكر أهل التفسير أن عابدًا من بني إسرائيل كان يقال له: (برصيصا) تعبد في صومعة له أربعين سنة لا يقدر عليه الشيطان، فجمع إبليس يومًا مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني برصيصا؟ فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا أكفيكه، فانطلق على صفة الرهبان، وأتى صومعته فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا، اطلع فرآه منتصبًا يصلي على هيئة حسنة، فناداه: ما حاجتك؟ فقال: إني أحببت أن أكون معك، أقتبس من علمك، وأتأدب بأدبك، ونجتمع على العبادة، فقال برصيصا: إني لفي شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يُقبل إليه برصيصا أربعين يومًا، ثم انفتل، فرآه يصلي، فلما رأى شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له، فصعد إليه، فأقام معه حولاً لا يفطر إلا كل أربعين يومًا، ولا ينفتل من صلاته إلا في كل أربعين يومًا، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصا اجتهاده، أعجبه شأنه وتقاصرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق عنك، فإن لي صاحبًا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادًا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى، فاشتد ذلك على برصيصا، وكره مفارقته، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلى، فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة؛ لأن لي في نفسي شغلاً، فأخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة، فلم يزل به حتى علمه إياها، ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلكتُ الرجل، فانطلق الأبيض، فتعرَّض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنونًا فأعالجه؟ قالوا: نعم، قال لهم: إني لا أقوى على جنّيّه، ولكن سأرشدكم إلى من يدعو له فيعافى، فقالوا له، دُلَّنا، قال: انطلقوا إلى برصيصا العابد، فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه، فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنه الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصا، فيعافون، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك بني إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فخنقها، ثم جاء إليهم في صورة

متطبب فقال: أعالجها، قالوا: نعم. فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: فكيف لنا أن يقبلها منا، وهو أعظم شأنًا من ذلك؟ قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه، فأبى عليهم، فوضعوها عنده، وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها، فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافَ، وتنصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسنًا وجمالاً فلم يتمالك أن وقع عليها، ثم جعل يختلف إليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افْتُضِحْتَ، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟ فإن سألوك عنها: فقل: جاء شيطانها فذهب بها، فلم يزل به حتى قتلها ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فلما أقبل على صلاته جاء إخوتها، يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا ما فعلت أختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصدقوه وانصرفوا، وفي بعض الروايات أنه قال دعوت لها فعافاها الله فرجعت إليكم، فتفرقوا ينظرون لها أثرًا، فلما سئموا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه فقال: ويحك، إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، ولا يكترث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر مثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا فقال الأوسط: وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصا، فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكأنكم اتهمتموني، قالوا: لا والله، واستحيوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا. فحفروا عنها، فرأوها، فقالوا: يا عدو الله لم قتلتها؟ اهبط فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلاً ثم قادوه إلى الملك فأقر على نفسه؛ وذلك أن الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر؟ فاعترف، فأمر الملك بقتله وصلبه، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات، ويحك ما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحييت من الله؟! ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباهك من الناس؟! فإن مت على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحد من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال:

تطيعني في خصلة حتى أنجيك وآخذ بأعينهم، وأُخرجك من مكانك، قال: ما هي؟ قال: تسجد لي، فسجد له، فقال: هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك أن كفرت +إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ"[1] ثم قتل. فضرب الله هذا المثل لليهود حين غرّر بهم المنافقون ثم أسلموهم.

* * *

(1) سورة الحشر، آية: 16، و انظر تفسير القرطبي 25/18.

المبحث التاسع

عقبـــة بن أبي معيـط

روى عبد الرزاق في مصنفه: إن ابن أبي معيط وأُبي بن خلف الجمحي التقيا؛ فقال عقبة بن أبي معيط لأبي بن خلف - وكانا خليلين في الجاهلية- وكان أُبي بن خلف أتى النبي فعرض عليه الإسلام فلما سمع ذلك عقبة قال: لا أرضى عنك حتى تأتي محمدًا فتتفل في وجهه وتشتمه وتكذبه، قال: فلم يسلطه الله على ذلك، فلما كان يوم بدر أُسِر عقبة بن أبي معيط في الأسارى فأمر النبي × علي بن أبي طالب أن يقتله، فقال عقبة: يا محمد، من بين هؤلاء أُقتل؟ قال: نعم. قال لِمَ؟ قال: بكفرك وفجورك وعتوّك على الله ورسوله، قال معمر وقال مقسم: فبلغنا أنه قال: فمن للصبية؟ قال: النار. قال: فقام إليه علي بن أبي طالب فضرب عنقه.

وأما أبي بن خلف فقال: والله لأقتلن محمدًا، فبلغ ذلك رسول الله × فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله، قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي × إلى أُبي بن خلف، فقيل [1]: إنه لما قيل لمحمد ما قلتَ؛ قال: بل أنا أقتله إن شاء الله؛ فأفزعه ذلك وقال: أنشدك بالله! أسمعته يقول ذلك؟ قال: نعم فوقعت في نفسه؛ لأنهم لم يسمعوا رسول الله يقول قولاً إلا كان حقًّا. فلما كان يوم أُحُد خرج أُبي بن خلف مع المشركين فجعل يلتمس غفلة النبي × ليحمل عليه فيحول رجل من المسلمين بينه وبين النبي ×؛ فلما رأى ذلك رسول الله × قال لأصحابه: خلُّوا عنه، فأخذ الحربة فجزله بها - يقول: رماه بها- فوقعت في ترقوته تحت تسبغة البيضة وفوق الدرع، فلم يخرج منه كبير دم واحتقن الدم في جوفه فجعل يخور كما يخور الثور، فأقبل أصحابه حتى احتملوه وهو يخور وقالوا: ما هذا؟ فوالله ما بك إلا خدش فقال: والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني، أليس قد قال: أنا أقتله إن شاء الله. والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم. قال: فما لبث إلا يومًا أو نحو ذلك حتى مات إلى النار، فأنزل الله فيه: +وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـٰلِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَـقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ

(1) هكذا في الأصل: ولعل الصواب والله أعلم هو (فقال له).

ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا" إلى قوله: +وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا "(1)، (2).

أورد ابن الجوزي(3) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: « أن عقبة بن أبي معيط كان يجلس مع النبي × لا يؤذيه وكان رجلاً حليمًا».

وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه. وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقال: أشد مما كان أمرًا، قال: ما فعل خليلي أبو معيط، فقالت: صبأ، فبات بليلة سوء! فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية، فقال: مالك لا ترد علي تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبأت؟ قال: أوَ قد فعلتها قريش؟! قال: نعم؟ قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل فلم يزد النبي أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه، فقال: «إن وجدتك خارجًا من جبال مكة أضرب عنقك صبرًا»، فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا، قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرًا، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدركه أحد فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم فلما هزم الله المشركين، وحل(4) به جمله في جدد (5)من الأرض، فأخذه رسول الله × أسيرًا في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: نعم، بما بزقت في وجهي، فأنزل الله في أبي معيط + وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ" إلى قوله: +وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا "(6)، (7).

---

(1) سورة الفرقان آية: 27.
(2) مصنف عبد الرزاق (357/5) وقعة بني النضير.
(3) الدر المنثور (68/5) من طريق ابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل، وقال السيوطي: سنده صحيح.
(4) علقت قوائمه بالوحل.
(5) الجدد: بطرق.
(6) سورة الفرقان، آية: 27.
(7) وقال مقبل الوادعي في كتابه (الصحيح المسند من أسباب النزول): الحديث لم يتيسر لي الوقوف على سنده، لكن في مصنف عبد الرزاق ج5 ص355، 356، وتفسير ابن جرير الطبري قصة تشبهها وهي مرسلة، لكن بدل عقبة بن أبي معيط أُبي بن خلف، ونحن الآن متوقفون عن الحكم؛ لأن السيوطي - رحمه الله - متساهل. انظر ص175.

* * *

المبحث العاشر

النعمان بن محمد بن منصور

العلامة المارق قاضي الدولة العبيدية أبو حنيفة النعمان[1] بن محمد بن منصور المغربي، كان مالكيًّا فارتد إلى مذهب الباطنية، ونبذ الدين وراء ظهره، ورد على أئمة الدين وانسلخ من الإسلام فسحقًا له وبعدًا.

ونافق الدولة لا، بل وافقهم وكان ملازمًا للمعز أبي تميم منشىء القاهرة، وله يد طولى في فنون اللغة والعلوم والفقه والاختلاف، ونفس طويل في البحث فكان علمه وبالاً عليه.

صنف كتابًا في الرد على أبي حنيفة في الفقه وعلى مالك والشافعي، وانتصر لفقه أهل البيت وله كتاب في اختلاف العلماء، وكتبه كبار مطولة، وكان وافر الحشمة عظيم الحرمة، في أولاده قضاة وكبراء، وانتقل إلى غير رضوان الله بالقاهرة في رجب سنة ثلاث وستين وثلاث مائة[2].

* * *

(1) وهو غير الإمام المبجل أبو حنيفة -رحمه الله- بل وقد بينت موقف هذا المارق من الإمام أبي حنيفة.

(2) سير أعلام النبلاء للذهبي 150/16.

المبحث الحادي عشر
ارتداد من افتتن فـــي الجهـــــاد

كان شابًّا من أحرص الشباب على حفظ كتاب الله حتى حفظه وأتقنه، وسمع عن الجهاد وما أعده الله للشهداء فتاقت نفسه إلى هذه الفضيلة العظيمة والمنزلة الكريمة للشهداء، فقرر أن يظفر بهذه المزية وسافر إلى البوسنة، وكان على موعد مع أصحابه أن يتصل بهم حين وصوله؛ فتأخر في الاتصال بهم فخافوا عليه لانقطاع أخباره، فذهبوا للبحث عنه ففوجِئُوا بوجوده في حانوت لبيع الخمور.

وفي هذا الصدد أيضًا ذكر أحد المجاهدين أن رفيقًا لهم أغرته فتاة بمنظرها فجلبته إليها بعطرها، وكانوا في حافلة؛ فلما وصلوا إلى إحدى المناطق؛ فوجئوا باختفاء صاحبهم وهذه الفتاة، و بالمناسبة أنصح الشباب أن يعلموا واقع الجهاد قبل أن يتجهوا إليه، وأن يتعرفوا على ما فيه من فتن حتى لا يقعوا فريسة للشيطان، فيسهل اصطيادهم، وهذا يتلخص في أمور:

أ- ألاَّ يسافروا للجهاد إلا برفقة صالحة؛ لأن المنفرد يسهل اصطياده.

ب- أن يتسلحوا بالعلم الشرعي.

جـ- أن يحرصوا على الابتعاد عن مواطن الفتن ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

د- أن يخلصوا في نياتهم، ويصدقوا مع ربهم وألا يغيروها.

المبحث الثاني عشر
جبلـــه بن الأيهـــــــم[1]

قال ابن كثير في البداية والنهاية في وفيات عام 53هـ[2]:

(قال الواقدي: جبلة بن الأيهم شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب، ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمر، فاتفق أنه وطئ رداء رجل من مُزينة بدمشق فلطمه ذلك المزني، فدفعه أصحاب جبلة إلى أبي عبيدة، فقالوا: هذا لطم جبلة، قال أبو عبيدة: فليلطمه جبلة، فقالوا: أوَ ما يُقتل؟ قال: لا، قالوا: فما تقطع يده؟ قال: لا، إنما أمر الله بالقَوَد[3]، فقال جبلة: أترون أني جاعل وجهي بدلاً لوجه مازني جاء من ناحية المدينة؟ بئس الدين هذا، ثم ارتد نصرانيًّا، وترحل بأهله حتى دخل أرض الروم، فبلغ ذلك عمر فشق عليه، وقال لحسان: إن صديقك جبلة ارتد عن الإسلام، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: ولم؟ قال: لطمه رجل من مزينة، فقال: وحُقَّ له، فقام إليه عمر بالدرة؛ فضربه.

رواه الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، وساق ذلك بأسانيده إلى جماعة من الصحابة، وهذا القول هو أشهر الأقوال.

وقد روى ابن الكلبي وغيره أن عمر لما بلغه إسلام جبلة فرح بإسلامه، ثم بعث يستدعيه ليراه بالمدينة، وقيل بل استأذنه جبلة في القدوم عليه فأذن له، فركب في خلق كثير من قومه، قيل مائة وخمسون راكبًا، وقيل خمسمائة، وتلقته هدايا عمر نزله[4] قبل أن يصل إلى المدينة بمراحل، وكان يوم دخوله يومًا مشهودًا، دخلها وقد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة، ولبس تاجًا على رأسه مرصعًا باللآلئ والجواهر وفيه قرط مارية جدته، وخرج أهل المدينة رجالهم ونساؤهم ينظرون إليه، فلما سلم على عمر رحب به عمر وأدنى مجلسه، وشهد الحج مع عمر في هذه السنة، فبينما هو يطوف بالكعبة؛ إذ

(1) الغساني وهو ملك نصارى العرب.
(2) البداية والنهاية 259/11 لابن كثير.
(3) القود: قتل القاتل، وهو القصاص.
(4) النُزل: ما يقدم للضيف.

وطئ إزاره رجل من بني فزارة؛ فانحل، فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل، ومن الناس من يقول: إنه قلع عينه فاستعدى عليه الفزاري عمر ومعه خلق كثير من بني فزارة. فاستحضره عمر، فاعترف جبلة، فقال له عمر: أقد الرجل منك، فقال: كيف وأنا ملك وهو سوقة [1]؟ قال: إن الإسلام جمعك وإياه، فلست تفضله إلا بالتقوى، فقال جبلة: قد كنت أظن أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية، فقال عمر: دع ذا عنك، فإنك إن لم ترض الرجل أقدته منك، فقال: إذن أتنصر، فقال: إذا تنصرت ضُربت عنقك، فلما رأى الجد، قال: سأنظر في أمري هذه الليلة، فانصرف من عند عمر، فلما ادلهم الليل ركب في قومه ومن أطاعه، فسار إلى الشام ثم دخل بلاد الروم ودخل على هرقل في مدينة القسطنطينية فرحب به هرقل وأقطعه بلادًا كثيرة، وأجرى عليه أرزاقًا جزيلة، وأهدى إليه هدايا جميلة، وجعله من سماره، فمكث عنده دهرًا. ثم إن عمر كتب كتابًا إلى هرقل مع رجل يقال له جثامة بن مساحق الكناني، فلما بلغ هرقلَ كتابُ عمر بن الخطاب قال له[2] هرقل: هل لقيت ابن عمك جبلة؟ قال: لا قال: فالقه، فذكر[3] اجتماعه به، وما هو فيه من النعمة والسرور والحبور الدنيوي، في لباسه، وفي مجلسه، وطيبه وجواريه، وحواليه الحسان، من الخدم والقيان، ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوض بها عن دار الإسلام، وذكر أنه دعاه إلى الإسلام والعود إلى الشام، فقال له: أبعْدَ ما كان مني من الارتداد؟ فقال:نعم إن الأشعث بن قيس ارتد وقاتلهم بالسيوف، فلما رجع للحق قبله منه وزوجه الصديق بأخته أم فروة، قال: فالتهى عنه بالطعام والشراب، وعرض عليه الخمر، فأبى عليه. وشرب جبلة من الخمر شيئًا كثيرًا حتى سكر، ثم أمر جواريه المغنيات فغنينه بأبيات عديدة حتى قلن:

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني فيها اللجاج ونخوة ... فبعت بها العين الصحيحة بالعور

فياليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قاله عمر

(1) السوقة: عوام الناس.
(2) أي قال هرقل لرسول عمر - رضي الله عنه -.
(3) أي رسول عمر رضي الله عنه.

وياليتني أرعى المخاض بقفرة	وكنت أسيرًا في ربيعة أو مضر
وياليت لي بالشام أدنى معيشة	أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة	وقد يصبر العود الكبير على الدبر

قال: فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحيته بدموعه، وبكيت معه، ثم استدعى بخمسمائة دينار هرقلية، فقال: خذ هذه فأوصلها إلى حسان بن ثابت، وجاء بأخرى فقال: خذ هذه لك، فقلت: لا حاجة لي فيها ولا أقبل منك شيئًا وقد ارتددت عن الإسلام، فيقال: إنه أضافها إلى التي لحسان، فبعث بألف دينار هرقلية، ثم قال له: أبلغ عمر بن الخطاب مني السلام وسائر المسلمين، فلما قدمت على عمر أخبرته خبره، فقال: ورأيته يشرب الخمر؟ قلت: نعم، قال: أبعده الله، تعجل فانية بباقية فما ربحت تجارته، ثم قال: وما الذي وجه به لحسان؟ قلت: خمسمائة دينار هرقلية فدعا حسانًا فدفعها إليه فأخذها وهو يقول:

إن ابن جفنة من بقية معشر	لم يغرهم آباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام إذ هو ربها	كلا ولا متنصرًا بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده	إلا كبعض عطية المحروم
وأتيته يومًا فقرب مجلسي	سقى فروّاني من المذموم

ثم لما كان في هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري رسولاً إلى ملك الروم، فاجتمع بجبلة بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول، فقال له جبلة: لو أعلم أن معاوية يقطعني أرض البثينة فإنها منازلنا، وعشرين قرية من غوطة دمشق، ويفرض لجماعتنا، ويحسن جوائزنا لرجعت إلى الشام، فأخبر عبد الله بن مسعدة معاوية بقوله، فقال معاوية: أنا أعطيه ذلك وكتب إليه كتابًا مع البريد بذلك، فما أدركه البريد إلا وقد مات في هذه السنة، قبحه الله!

وذكر أكثر هذه الأخبار الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في (المنتظم)[1]، وأرَّخ وفاته هذه السنة أعني سنة ثلاث وخمسين، وقد ترجم له الحافظ ابن

(1) المنتظم 256/5.

عساكر في تاريخه فأطال الترجمة وأفاد، ثم قال في آخرها: «بلغني أن جبلة توفي في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة».

«جبلة بن الأيهم الغساني: لما افتتحت الشام ونظر جبلة إلى هدي المسلمين ووقارهم أحب دخول الإسلام، فسار نحو المدينة إلى عمر بن الخطاب فلما بلغ عمر قدومه قال للمهاجرين: استقبلوه وأظهروا تعظيمه وتبجيله فإنه قريب عهد بالملك، فاستقبله الناس وأظهروا بره، وأقبل جبلة حتى دخل على عمر - رضي الله عنه - فقرَّب مجلسه وأدناه ووعده من نفسه خيرًا، فأسلم وأقام بالمدينة، حتى إذا حضر أوان الموسم؛ حج عمر وخرج معه جبلة، فبينما هو يطوف بالبيت محرمًا وعليه إزاران قد تردى بواحد واتزر بالآخر؛ إذ وطئ رجل طَرَف إزاره فانحل عنه حتى بدت عورته، فغضب ووثب على الرجل فلطمه، فتعلق به الرجل وجماعة وانطلقوا به إلى عمر، وشهدوا عليه فقال عمر: أقِدِ الرجل أو استوهبه منه، فقال جبلة: وكذلك هذا الدين لا يفضل فيه شريف على وضيع ولا ملك على سوقه؟ قال عمر: قال تعالى وقوله الحق: + إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ "[1]؛ إن الناس شريفهم ووضيعهم في الحق سواء، فانصرف جبلة فلما جن عليه الليل خرج في حشمه وعياله حتى لحق بأرض الشام مرتدًّا عن الإسلام، فكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح فأمره أن يستتاب جبلة فإن تاب وإلا ضرب عنقه، وبلغ ذلك جبلة فخرج من أرض الشام حتى دخل أرض الروم، وأتى الملك فأخبره بأمره ورجوعه إلى النصرانية، فسُر الملك بقدومه واستخلفه على ملكه وجعله جائز الأمر في سلطانه فأقام عنده، فلما ولي معاوية بن أبي سفيان بعث رجلاً من الأنصار يقال له تميم بن بشر إلى قيصر ملك الروم في بعض أمور، قال تميم: فلما دخلت على قيصر وأبلغته الرسالة وجلست عنده فحدثني مليًّا ثم قال: هل لك في لقاء رجل من العرب من أهل بيت الملك، فقلت: ومن هو؟ قال: جبلة بن الأيهم، قلت: إن بي في ذلك أملاً، وإني لرجل من قومه، فبعث معي رجلاً حتى أدخلني عليه وهو في مجلس له يغشى العيون حسنه وكثرة تصاويره مطلية حيطانه بماء الذهب، والفضة تتلألأ، وحوله نفر من بطارقة الروم، فسألني من أنا فانتسبت له، فقال: حياك الله، فإننا بنو عم، ثم أمر جلساءه فخرجوا من عنده، وخلا

(1) سورة الحجرات، آية: 13.

بي يسألني عن العرب وأماكنها، فخبرته بجميع ما سألني عنه فبكى حتى أخضبت لحيته الدموع ثم أنشأ يقول:

تنصرت بعد الدين من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها اللجاج ونخوة فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني ثويت أسيرًا في ربيعة أو مضر
وياليتني أرعى المخاض بقفرة ولم أنكر القول الذي قاله عمر
وياليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي في العشيات والبكر
أدين بما دانوا به من شريعة وقد يجلس العير الضجور على الدبر[1]

* * *

(1) البداية والنهاية 259/11 وما بعدها.

المبحث الثالث عشر

أبـــــو شجـــــــــــــرة

(وكان من الذين ارتدوا أبو شجرة بن عبد العزى؛ فقال:

فـلو ســألت عنا غـداة مُرامر كما كنتُ عنهـا سائلاً لو نأيْتُها

لقـــاء بني فِهْـرٍ وكـــان لقاؤهم غداة الجـــواءِ حـاجةً فقضـيتُها

صَبَرْتُ لهم نفسـي وعرَّجْتُ عـلى الطّعـن حتَّى صـار وردًا

إذا هي صـدَّت عن كَمِّي أريدهُ عدلْتُ إلـيه صـــدرها فهديتُها

فقال أبو شجرة حين ارتد عن الإسلام:

صحا القَلـبُ عن مي هـواه وطـاوع فيها العـاذلين

وأقصرا فأقصرا

وأصبح أدنـى رائـد الوصـل كمـا ودهـا عنا كـذاك تغيّرا

وأصبحا

وأصبح أدنى رائد الوصل منهُمُ كمـا حَبْلُها مِنْ حَبْلِنا قـد تبـتّرا

ألا أيُّـها المُدلي بكثرة قَـومه وحظك منهم أن تضـام وتُقهرا

وعاضـرةُ شهبـاء تخطِـر ترى البُلْـقَ من حـافاتها

والقنا

فـرويت رمحي مـن كتيبـة وإنـي لأرجـو بعـدها أن أَعَمَّرَا

والسنا

خ الأ

ثم إن أبا شجرة أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس، فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم المدينة. فحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن أنس عن رجال من قومه، قالوا: فأناخ ناقته بصعيد بني قريظـة، قال: ثم أتى عمر وهو يعطي المساكين من الصدقة فقال: يا أمير المؤمنين أعطني فإني ذو حاجة، قال: فمن أنت؟ قال: أبو شجرة، قال: أي عدو الله ألست الذي تقول:

فـرويت رمحي مـن كتيبة وإني لأرجـو بعدهـا أن أعمرا

خ الأ

قال: ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدوًا فرجع إلى ناقته

فارتحلها ثم أسندها في حرة شوران راجعًا إلى أرض بني سليم.
فقال:

ضــن علينا أبــو حفص بنائله وكـل مُختبطٍ يومًا لــه وَرَقُ
ما زال يُرهقني حتى خَذِيت لهُ وحال من دون بعض الرَّغَبِة الشَّفَقُ
لمَّا رهبتُ أبــا حفـصٍ وشُرْطتَهُ والشَّيْخ يفزع أحيـانًا فينحمـقُ
ثم ارعويتُ إليهــا وهي جــانحةٌ مثل الطرَّيدة لم ينــبت لها ورقُ
أوردتها الخلَّ من شُورَان صــادِرة إني لأزري عليها وهــي تنطلقُ
تطير مرو أبان عن مناسمها كما تتوقد عند الجهبذ الورقُ
إذا يعارضهــا خرقٌ تعارضــه ورهاء فيها إذا استعجلتها خُرُقُ
ينوء آخرهــا منهــا بأولها سُرْحُ اليدين بها نَهَّاضَة العُنُقُ[1]

* * *

(1) انظر تاريخ الطبري 267/2.

المبحث الرابع عشر
ابـــــن خطـــــــــــل [1]

أسلم في مكة وهاجر مع الرسول × إلى المدينة؛ فبعثه الرسول وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى يخدمه وكان مسلمًا، فنزل منزلاً، فأمر المولى أن يذبح تيسًا ويصنع له طعامًا، فنام واستيقظ ولم يصنع له شيئًا، فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركًا، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء الرسول ×، فلما دخل الرسول × مكة أهدر دمه فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «اقتلوه»[2].

* * *

(1) فتح الباري(72/4)، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (651/6).
(2) أخرجه البخاري (1846) في كتاب الحج ومسلم (1357).

المبحث الخامس عشر
عبيـد الله بـن جحـــــش[1]

أورد ابن سعد في كتابه الطبقات خبر عبيد الله بن جحش وقال: «قالت أم حبيبة: رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة أشوهه ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر دينًا خيرًا من النصرانية، وكنت قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم قد رجعت إلى النصرانية، فقلت: والله ما خير لك، وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات»[2] وزاد ابن كثير «أنه كان يعير المسلمين فيقول لهم أبصرنا وصأصأتم»[3].

فوالله إن المرء ليحزن من هذه القصة، فلم يتوقع إنسان أن مثل هذا يرتد وينتكس، ومثار الغرابة أن هذا الرجل تحمل في سبيل الله ما تحمل، فلقد آمن في وقت عز فيه أهل الإيمان، وصبر على الأذى من قريش، وهاجر إلى الحبشة فارًّا بدينه تاركًا أهله وماله بل ومات في أرض المهجر، إن الإنسان لا يضمن لنفسه الثبات والبقاء على الدين بعد خبر مثل هذا، إن على المسلم أن يحتاط لدينه وأن يحافظ عليه ويعض عليه بالنواجذ؛ لئلا يقع فيما وقع فيه هذا الرجل، وإنني على يقين جازم أن المسلم الحقيقي بعد سماعه لهذا الخبر سوف يصاب بالذهول، ويضع يده على قلبه خشية السقوط.

وقد يقول قائل: لماذا لا يكون هذا الرجل منافقًا؟ فالجواب: النفاق لم يظهر إلا في المدينة حيث أصبح الإسلام هو الظاهر، أما في مكة فالعكس حيث أخفى كثير من المسلمين إسلامهم وإيمانهم خشية الفتنة.

فيا رب رحماك بعبادك البؤساء.

+يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ"[4].

* * *

(1) وهو غير الصحابي الجليل عبد الله بن جحش ـ رضي الله عنه ـ، الذي استشهد في معركة أحد.
(2) الطبقات الكبرى 77/8. وإن كان البعض يضعف خبر ردته.
(3) البداية والنهاية 143/4. صأصأ: كاد يفتح عينيه.
(4) سورة آل عمران، آية: 102.

المبحث السادس عشر
التجـــــارة هــي السبب

كان من أهل التدين والالتزام، محافظًا على الجمعة والجماعات، جاهد والده المقصر وإخوته المهملين، ومارس معهم جميع أساليب الدعوة، فلما لم يُجدِ نصحه سكن في منزل، وتحمل أعباءه المالية فارًّا بدينه ناجيًا بنفسه.

عرض عليه قريب له أن يشاركه في افتتاح مؤسسة فوافق، واستمر في وضعه حتى تطور أمره، ثم بدأ يتعرف على بعض الكفرة الذين له معهم مصالح، فكان يتغاضى عن بعض الأمور الشرعية وبدأ بمداهنتهم وتقديم التنازلات لهم، وحاول أن يظهر معهم بصورة الشخص المتطور الذي لا يربط قضايا الدين بالعمل، حتى اضمحل إيمانه وضعف يقينه وأزال الكثير من لحيته وأطال ثيابه، وأصبح يقوم برحلات مكوكية حتى أصبح لا يحمل من الإسلام إلا اسمه وركعات يركعها متى ما سنحت له الفرصة.

* * *

المبحث السابع عشر

قصة شاب انتكس بسبب مشاحنه

كان مقصرًا في جانب الطاعات، مهملاً في أداء عمله، مقصرًا في حق زوجته، وعاش حياة البائسين فلا يمر يوم إلا وقد أنذره المدير، ثم راجع أفكاره، ودرس وضعه في جد، فوجد الخلل يكمن في أمور:

أ- شرب الدخان.

ب-ولعه بالكرة، ومشاهدة المباريات.

جـ- السهر في غير فائدة.

فقرر أن يتخلص من هذه الأمور جميعًا، فأقسم بالله ألا يدخل إلى جوفه سيجارة واحدة، وكم كانت سعادة زوجته عندما زف إليها الخبر، وجاءني ووجهه يتهلل، وقال لي: إن زوجتي نذرت لله أن تنحر عشرًا من الإبل إذا كنت جادًّا في ترك الدخان، فأخبرها بجديته، فأرخى لحيته، وقصر إزاره، وبدأت مظاهر الإيمان تظهر على محياه، وأصبح مثالاً رائعًا للمدرس المتمكن، وأصبح يتلقى الشكر من مديره، وبدأت بيني وبينه زيارات، ووضعنا له دروسًا أسبوعية نحفظ فيها كتاب الله، ونقرأ فيها تفسيره، وفي يوم من الأيام كان صاحبنا يمارس كرة القدم مع زملائه الطيبين، وحدث بينه وبين أحد الصالحين احتكاك تطور إلى شجار، و انتهى بالسب والشتم، وغادر الملعب، فاستغل الموقف أحد رفاقه السيئين، فبدأ يثيره ويشعل بينه وبين صاحبه الملتزم الشحناء، حتى هجر صاحبه فاستغل أصحابه القدامى الفرصة وأعادوه إلى مجتمعهم، كل ذلك بسبب أمور تافهة، كان عليه، أن يبادر بمعالجتها وألا يجعلها تؤثر عليه، وقد صدق الرسول × عندما قال: «إن الشيطان أيس أن يُعبد في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينكم»[1].

وهذا الشاب من أطيب الناس قلبًا وأحسنهم خلقًا، وقد أُخبرت والكتاب في مراحله الأخيرة أن هذا الشاب عاد إلى الحق، وإنه الآن ممن يحملون هم الدعوة، وقد ذكرت قصته لما فيها من موعظة. والله الموفق.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه كتاب (صفات المنافقين وأحكامهم) باب (تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس).

* * *

المبحث الثامن عشر
أقاربـــه أغروه بالكـــرة

كان شابًّا من خيرة الشباب، التزم في وقت عز فيه الملتزمون، وندر فيه أهل الخير والدين، تلقى الأذى، ولكنه حافظ على دينه وصبر على ما لقيه في سبيله، حاول أصحابه وأقاربه رده عن الحق فما أفلحوا حتى عرفوا نقطة ضعفه وهي ولعه بالكرة، فعرض عليه أبناء عمه الانضمام إلى فريقهم، فرفض بحجة أنه مرتبط مع أخيار فعرضوا عليه يومًا واحدًا في الأسبوع فاحتج بأن فيها صلة رحم، ثم وافق على مضض وبدأ يلعب معهم، ويحثهم على أداء الصلاة في وقتها وإنهاء اللعب، فكانوا يستجيبون له وأعجب بالوضع ثم زاد يومًا فأصبح يلعب معهم يومين في الأسبوع.

ثم بدأ بالتغاضي عما يصدر منهم من ألفاظ، ثم بدأ يدخل معهم في مناقشتهم قبل اللعب عن أحوال الكرة ونتائجها، وترك أصحابه القدماء، وبدأ يتنازل عن مسألة إنهاء اللعب قبل الأذان فأصبح إنهاؤه مع الأذان مما جعله لا يؤدي الصلاة في المسجد بل يؤديها في الملعب، وهكذا حتى هجر الصلاة بالكلية، وترك الالتزام وعرض أشرطته الطيبة للبيع، ونسخ على بعضها أغاني، وما زال يعيش وضعًا مأساويًّا. أسأل الله أن يهديه، فلو مارس الرياضة باعتدال بما ينفع صحته وبدنه فلا إفراط ولاتفريط.

* * *

المبحث التاسع عشر

قصة شاب انتكس بسبب قراءة رواية غربية

إن من المسلَّم به أن المسلم يجب عليه أن يبتعد عن الأمور التي قد تؤثر عليه وقد تجلب له الشبه أو تثير غريزته وشهوته، أو تجعله يفتتن بالغرب والشرق، وذكر لي أحد الأحبة أن شابًّا مارس الدعوة واجتهد فيها، بل وأصبح من البارزين في هذا المجال، لكنه بدأ يقرأ الروايات والقصص الغربية، ولعل ذلك من باب الثقافة: ثم فوجئت في يوم من الأيام بهذا الشاب وقد نزع الزينة عن وجهه وتغير وجهه وشكله، بل وأصبح يسخر من أصدقائه القدامى ويقول لهم: أما زلتم على هذا الوضع؟

فكان الأجدر بهذا أن يبتعد عن هذا المجال الذي يجلب له الشبه؛ ولذا حذر أهل العلم من مجالسة المبتدعة خشية الوقوع فيما وقع فيه. فانظر كيف باع الدين برواية غربية.

* * *

المبحث العشرون

قصة رجل ألحد بسبب قراءة البداية والنهاية

هناك أمور شرعية لا يستطيع العقل أن يتحملها أو يؤمن بها، فهناك من ارتد عندما سمع بخبر الإسراء والمعراج؛ لأن عقله أضعف من أن يستوعب مثل هذه القصة؟!

وحدثني أخ من السودان أن قريبًا له قرأ الجزء الأول من كتاب البداية والنهاية لابن كثير - ولما في هذا الجزء من غرائب وعجائب عن الخلق وبدايته- فلم يستطع أن يتحمل هذه الأمور أو يصدقها فارتد على أدباره خاسرًا!!.

* * *

المبحث الحادي والعشرون
قصة شاب انتكس بسبب الدش

أعرف شابًا من بيئة صالحة كان يعيش حياة الغواية، ولكنه فتش في نفسه فوجد الذنوب والمعاصي قد أعيته، فبحث عن رفقة صالحة فوجد مجموعة من الشباب الأخيار؛ فانضم إليهم ووجد منهم اهتمامًا خاصًا، فصاحب القرآن وبدأ بحفظه، واقتنى أشرطته، ورفض أن يستمع لغيرها بحجة أنها تشغله عن حفظ القرآن، وسافر إلى مكة واعتكف بها العشر الأواخر، وقضى فيها ستًّا من شوال، ثم عاد إلى الرياض وأنوار الإيمان تشع من وجهه، وقال لي: لقد كنت محرومًا فيما مضى من لذة العبادة والاعتكاف، إنني أتمنى أن أظل طول العام معتكفًا، وبدأ ينشط في دعوة أهله، وأصبح بارًّا بوالدته، ثم فوجئت يومًا بصاحبي ورفيق له يعرضان عليّ فكرة الذهاب إلى البوسنة والهرسك لنصرة إخواننا المسلمين هناك، وقالا لي: إنهما استمعا لخطبة إمام الجامع وتأثرا بما قال، فأيدتهما على الفكرة، ولكني سافرت قبل أن أكمل معهما المشروع، ومضت الأيام وإذا بصاحبي يشتكي لي مما يعانيه في بيته من مشكلات من أخيه الأكبر الذي أدخل الدش، وأنه لا يستطيع إخراجه إلا بمشكلات لا تحمد عقباها، وأنه ذاق الأمرّين من موقف والدته المتخاذل، فأمرته بالصبر والاحتساب وأن يعالج الموضوع بحكمة وأن يهدي لأخيه وزوجته أشرطة وكتيبات لعل الله أن يهديهما، وزاد من إعجابي بهذا الشاب بره بوالده وحبه للعبادة؛ فكان من أهل الورع والتقوى، وكان يسابق المؤذن في الدخول إلى المسجد، ولكنني فوجئت بصاحبي وقد تغيرت ألفاظه فلم يعد صاحبي الذي أعرفه، فمزاحه قد كثر وتعبده قد خف، فسألته عن رفاقه، فقال: إنه انقطع عنهم من أجل متابعة والده المريض فأثنيت عليه خيرًا، فقلت له: ملازمة والدك يجب ألا تعيقك عن حفظ القرآن، وعليك ألا تقاطع أصحابك، فوعدني خيرًا ثم جاءتني الأخبار بأن صاحبي قد سافر إلى الخارج لإحضار من يقوم بالاعتناء بوالده ومرت الأيام، وإذا به قد أخذ الكثير من لحيته وضعف في جانب الصلاة وترك حفظ القرآن، فسألت أصحابه: لماذا أهملتموه؟ فأخبروني بأنهم قد بذلوا معه جهودًا وأنها لم تنجح، فسألتهم عن الأسباب التي أدت إلى تغيره، فقال لي بعضهم: إن وجود الدش في بيته قد أثر عليه، وإنه قد أدمن مشاهدته

ولم يعد يطيق مفارقته، وإذا نوقش تعلل بأنه جهاز لا يُستغنى عنه، وأنه يتابعه من أجل الأخبار، وهي حجة كل من ابتلي بهذا الداء، وما زال وضع صاحبي سيئًا، فأسأل الله أن يلطف بي وبه، وأن يعيدني وإياه إلى الجادة، وأن ينير له طريقه.

* * *

المبحث الثاني والعشرون
الشاب الذين تنصر وهو في الجهاد

قال ابن كثير: «ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين في بلاد الروم فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرون بلدة من بلاد الروم؛ إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها ما السبيل للوصول إليك؟ فقالت: أن تتنصر وتصعد إلي، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتمَّ المسلمون بسبب ذلك غمًّا شديدًا وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا به وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان ما فعل القرآن معك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أنني أنسيت القرآن كله إلا قوله تعالى: +رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ" وقد صار لي فيهم مال وولد، توفي سنة 278هـ[1].

وأورده البيهقي في الشعب وقال: خرجنا في سرية إلى أرض الروم، فصحبنا شاب لم يكن فينا أقرأ للقرآن منه، ولا أفقه منه، ولا أفرض. صائم النهار، قائم الليل، فمررنا بحصن لم نؤمر أن نقف على ذلك الحصن، فمال الرجل منا عن العسكر، ونزل بقرب الحصن فظننا أنه يبول، فنظر إلى امرأة من النصارى تنظر من وراء الحصن، فعشقها.

فقال لها بالرومية: كيف السبيل إليك؟ قالت: حين تنتصر، ونفتح لك الباب.

قال: ففعل، فأدخل الحصن، وأنا لك، فقضينا غزاتنا في أشد ما يكون من الغم. كان كل رجل: قال منا يرى ذلك بولده من صلبه، ثم عدنا في سرية أخرى فمررنا: به ينظر من فوق الحصن مع النصارى، فقلنا: يا فلان ما فعل قرآنك؟

---

(1) انظر البداية والنهاية لابن كثير 74/11، وانظر: المنتظم 130/5، ولعل ابن الجوزي وهم رحمه الله فذكر بأن المرتد هو عبده ابن عبد الرحيم والصحيح أن عبده ابن عبد الرحيم رحمه الله هو راوي الخبر، ومما يؤكد ذلك أيضاً أن البيهقي ذكره بسنده إلى عبده ابن عبد الرحيم، وقد ترجم ابن حجر رحمه الله لعبده ابن عبد الرحيم. وخلاصته أنه صدوق وقد اضطربت الأقوال حوله، والله أعلم.

ما فعل عمليك؟ ما فعل صلاتك وصيامك؟

قال: اعلموا أني نسيت القرآن كله، ما أذكر منه إلا هذه الآية [رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ٣]

ثم هكذا يكون حال من تدركه الشقاوة والعياذ بالله[1].

* * *

(1) انظر: الجامع لشعب الإيمان 165/6، الأثر 4010، وانظر: تاريخ الإسلام للذهبي 342/18.

المبحث الثالث والعشرون

ردة كاتـــــــب الوحـــــــي

عن أنس بن مالك قال: كان منَّا رجلٌ من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب لرسول الله ×، فانطلق هارباً حتى لَحِقَ بأهل الكتاب، قال: فرفعوه وقالوا: هذا قد كان يكتب لمحمدٍ، فأعجبوا به، فما لبث أن قصم[1] الله عُنقه فيهم، فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته[2] على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذاً[3].

* * *

(1) قصم عنقه: أي أهلكه.
(2) أي طرحته على وجهها عبرةً للناظرين.
(3) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين حديث رقم (2781)، وأحمد في المسند حديث رقم (13324).

الفصل الثاني عشر
المنهج في التعامل مع المنتكس

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهج في التعامل مع المنتكس

من الصعوبة أن يُحكم على إنسان بأنه منتكس بدون استقصاء وتثبت في الأمر مع نية سليمة وصادقة بحيث لا يكون الهدف هو تتبع العورة، إن الحكم على إنسان أنه منتكس بدون توفر شروط الانتكاس عليه أمر في غاية الخطورة؛ لأن من الناس من يتساهل في هذه المسألة ولا يتردد بالحكم على أخ له في الدين بأنه منتكس. وقد لاحظت مع الأسف الشديد أن مفهوم الانتكاس عند بعض الشباب خاطئ لأنه بمجرد تغير عند أخ له حتى ولو كان التغير في حدود تعاطي المكروهات، والمباحات والمستحبات يستحق فاعل هذا عنده هذا الوصف بلا تردد، وأعطي مثالاً على ذلك عندما يقوم أحد المستقيمين بلبس الكبك أو العقال يصفه البعض بأنه منتكس، وهذه طامة كبرى ومصيبة عظمى؛ لأن اللباس الأصل فيه الحل والإباحة، وما اعتاده الناس لا يرتقي لمرتبة السنة فضلاً على الوجوب بأي حال من الأحوال ما لم يرد نص بذلك.

الانتكاس الحقيقي: هو ترك الواجبات والإصرار على إتيان المحرمات واستمرائها بحيث تكون ظاهرة جلية يجاهر بها أمام الناس.

أما الوقوع في الذنوب والمعاصي، سواء أكانت كبائر أم صغائر، فإنها لا تعد من الانتكاس طالما تاب عنها صاحبها دون عناد ومكابرة، فليس يسلم من الذنوب والمعاصي أحد، والعصمة لرسول الله × ولو وصف كلُّ مذنب بالانتكاس؛ لما بقي على وجه الأرض ملتزم.

والخلاصة: الوقوع في صغائر الذنوب، أو ترك المستحبات مع إتيان المباحات والمكروهات لا يعد متعاطيها منتكسًا، فالأحكام الشرعية مصدرها: الشرع المطهر، وليس الأهواء والأمزجة.

فهناك علامات وآثار تظهر على الشخص تدل على وجود التغير عنده ومنها:

1- مجاهرته بالمعاصي دون خوف أو حياء.
2- تركه بالكلية للمجتمع الطيب الطاهر والتحاقه برفقة سيئة.
3- تغير نظرته من الدين وأهله.

كما أن من الأمور التي أحب أن أنبه عليها هو تسرع بعض الشباب بهجران زميلهم المنتكس دونما معرفة بأحكام الهجر؛ ولذا أحببت أن أبدأ بهذا

الموضوع بذكر أحكام الهجر باختصار بسيط يناسب الباب؛ لأن الهجر ليس محبوبًا في غالب أحواله مع أبناء زماننا، إلا إذا كان المنتكس قد انتكس بسبب شُبه، فإن هجره قد يكون لازمًا حتى لا يؤثر على بقية زملائه، فما أخطر وقوع الشبه على العقول التي قد يلتبس أمرها ولا تتحملها العقول، وخاصة عقول الشباب الصغار؛ كشبه العقلانيين والخوارج.

ولذا أنصح بهجر من كانت انتكاستُه انتكاساتِ شُبه، وهذا كان منهج السلف الصالح كما فعل عمر - رضي الله عنه - مع صبيغ بن عسل الحنظلي الذي كان يتكلم بمتشابه القرآن، وبدأ يشكك الناس به، فأبعده إلى البصرة ونهى الناس عن مجالسته ومكالمته حتى تاب[1].

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة، بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته؛ لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس انفع من التأليف، ولهذا كان النبي × يتألف قومًا ويهجر آخرين[2].

مع وجوب الحرص على عدم تطبيقه إلا في أضيق نطاق مع التأكيد على أن يكون دافع الهجر هو حب الله - عز وجل - وطلب رضاه والإخلاص له، والتأكيد على ألا يكون للمصالح الشخصية أو الحسد والانتقام والنيل من الخصوم دور في ذلك، حتى يؤتي الهجر ثماره.

إذن علينا ألا نتعجل بهجره، والتفكير ألف مرة قبل الإقدام، وإذا عزمت على الهجر فاستشر جمعاً من أهل العلم الكبار الثقات حتى تبرأ الذمة أمام الله.

من المخاطب بموضوعي هذا هو:

1- من يهمه أمر المنتكس كقريبه وجاره وصديقه وزميله في العمل.
2- شيخ المنتكس ومدرسه وزميله إذا كان ضمن مجموعة دعوية كحلقات التحفيظ والمراكز الإسلامية.

---

(1) الاعتصام (130/1) وهامشها رقم (4).
2() انظر مجموع الفتاوى 206/28، 207.

3- الملتزم عندما يجد التغير قد بدأ يظهر عليه.

اتبع الخطوات التالية عند دعوة المنتكس ومناصحته وذلك عبر ما يلي:

أولاً: التثبت والتبيُّن:

إذ الواجب عليك أولاً أن تتأكد أن صاحبك أو قريبك قد انتكس.

لأنَّ كثيرًا من الناس يصدقون الخبر بمجرد وروده دون أن يتأكدوا من مصدره وصحته، ودون أن يبذلوا أي جهد لمعرفة حقيقة الأمر هذا إن كان يهمهم، أما إن كان لا يهمهم فعليهم أن يسمعوا لنصحه × حينما قال: « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1].

وكم سمع الناس أن فلانًا قد ضل أو انتكس أو فسق أو فجر، وغالب هذه الأخبار شائعات لا أساس لها من الصحة، ويبدأ بعضهم بتناقلها والترويج لها دون التثبت من صحتها، وهذا مصداق قوله تعالى: +إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ" [2].

لسان يتلقى عن لسان، بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إنعام نظر. حتى لكأن القول لا يمر على الآذان، ولا تتملاه الرؤوس، ولا تتدبره القلوب! +وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ" بأفواهكم لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم.

إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه، قبل أن تستقر في المدارك، وقبل أن تتلقاها العقول....

+وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا" أن تقذفوا عرض أخيكم، وأن تدعوا الألم يعصر قلبه وقلب زوجه وأهله ومحبيه.

+وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ" وما يعظم عند الله إلا الجليل الضخم الذي تُزَلْزَلُ له الرواسي، وتضج منه الأرض والسماء.

ولقد كان ينبغي أن تجفل القلوب بمجرد سماعه، وأن تحرج بمجرد النطق به، وأن تنكر أن يكون هذا موضوعاً للحديث.

---

(1) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (1737)، والترمذي في السنن(2318)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (531/2)، وحسنه شعيب لشواهده. انظر الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد (258/3).

(2) سورة النور، آية: 15.

+وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ".

وعندما تصل هذه اللمسة إلى أعماق القلوب فتهزها هزاً، وهي تطلعها على ضخامة ما جنت وبشاعة ما عملت.. وعندئذ يجيئ التحذير من العودة إلى مثل هذا الأمر العظيم.

+يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"[1].

+ يَعِظُكُمُ" في أسلوب التربية المؤثر في أنسب الظروف للسمع والطاعة والاعتبار. مع تضمين اللفظ معنى التحذير من العودة إلى مثل ما كان: + يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا". ومع تعليق إيمانهم على الانتفاع بتلك العظة:

+إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" فالمؤمنين لا يمكن أن يكشف لهم عن بشاعة عمل كهذا الكشف، وأن يحذروا منه مثل هذا التحذير، ثم يعودوا إليه وهم مؤمنون.

وإنك لتعجب من هذه السرعة في النقل مع هذا التحذير الواضح والتهديد الصريح للمتعجل، بل أمر الله بطلب بيان الحقيقة ومعرفة صدق الخبر عند نقله فقال: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ "[2].

وهذه الآية قاعدة أساسية للأمة أفرادًا وجماعات؛ بألا يقبلوا من الأخبار التي تنقل إليهم ولا يعملوا بمقتضاها إلا بعد التثبت والتبين حتى لا يصيبوا الأفراد والجماعات بسوء، فالعقيدة الإسلامية - ولله الحمد- عقيدة واضحة المعالم، لا تقوم على ظن أو شبهة، لذا قال تعالى: +وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا"[3].

فهذه الآية تضع منهجًا للمسلم إذا أراد السلامة يوم يلقى الله، بل وإذا أراد أن يمد الله عليه ستره في الدنيا ولا يفضحه في جوف بيته. أوَما يرد

(1) سورة النور، آية: 5.
(2) سورة الحجرات، آية: 6.
(3) سورة الإسراء، آية: 36.

العاقل من أهل الإسلام قوله ×: «بئس مطية الرجل زعموا» [1].

فعندما تصف أخًا لك بأنه قد ضل وهو ما زال على الهدى مستقيمًا وسالكًا طريق الحق فقد آذيته، والرسول × قال لما سئل: أي الإسلام أفضل؟: « من سلم المسلمون من لسانه ويده» [2].

فهل هذا المسلم قد سلم من لسانك وإيذائك؟ بل عليك أن تحذر من إطلاق هذه الكلمة التي ستقود إلى النار، إلا إذا رحمه الله، كما جاء في الصحيحين أنه × قال: « إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها؛ يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» [3].

قال ابن حجر في بيان معنى الحديث: « لا يتطلب معناها، أي لا يثبتها بفكره، ولا يتأملها حتى يتثبت فيها فلا يقولها إلا إن ظهرت المصلحة في القول» [4].

الشاهد في كل هذا الكلام أن عليك التقصي والبحث دون إثارة إذا وصلتك مثل هذه الأخبار، وعليك أن تغلب جانب الظن الحسن، ووالله كم من إنسان ذكر من أناس بسوء ثم ظهر لهم خلاف ذلك. وأذكر هنا قصة: جاءنى مجموعة من الشباب، ونقلوا بأن أحد العلماء قد أفتى بفتوى مخالفة لما هو عليه منهج السلف الصالح في قضية من القضايا؛ فما كان مني إلا أن اتصلت بهذا العالم أثناء وجودهم عندي وسألته عن الفتوى فتعجب واستنكر؛ فقلت: هذا أحد الذين نقلوها هو بجوارى فكلمه، فتخبط الرجل في كلامه، ثم قال لي: أحرجتنا مع العالم، فقلت له ولزملائه: ألم تنقلوا عنه هذا الكلام؟ قالوا: بلى، ولكن لم نتصور أن تتصل به، فقلت: وهل تريدوني أن أصدق دون أن أتبين، ثم بينت لهم المنهج الشرعي في مثل هذه القضية.

والخلاصـــــة:

إن على مخاطب المنتكس وغيره أن يستمع لهذه النصيحة من صاحب كتاب التثبت عندما قال: «إن على المسلم عدم التسرع في تصديق الأخبار

---

(1) أخرجه أبو داود حديث رقم (254/5) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (4972/3). وانظر الصحيحة (548/2).
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان حديث رقم (10)، ومسلم حديث رقم (40).
(3) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق باب حفظ اللسان رقم (6477)، وأخرجه مسلم (2988).
(4) فتح الباري (308/11).

والأنباء التي ترد إليه من الناس أو من وسائل الإعلام قبل التأكد من صحتها أو كذبها، وبخاصة الأخبار التي تأتي عن طريق الواشين »[1].

ثانيًا: أن لا يكون هدفك تتبع عورته:

فالواجب على المسلم الكف عن هذا الخلق السيئ، والذي لا تحمد عقباه يوم القيامة إلا إن تاب أو رحمه الله.

وقد ورد النهي عن التجسس صراحة في القرآن الكريم في قوله ـ تعالى ـ: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾"[2].

وقال تعالى: +إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ"[3].

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية: هذا تأديب لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ، فقام بذهنه شيء وتكلم به، فلا يكثر منه، ولا يشيعه ولا يذيعه، فقد قال تعالى: +إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" أي: يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح، (في الدنيا والآخرة) أي: بالحد، وفي الآخرة بالعذاب الأليم...[4].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة واستحلاء ذلك بالقلب فكيف بما هو أعظم من ذلك من إظهاره ونقله، وسواء كانت الفاحشة صادرة أو غير صادرة»[5].

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ:

«والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه أو اتهم به

(1) انظر التثبت والتبين في المنهج الإسلامي ص (102).
(2) سورة الحجرات، آية: 12.
(3) سورة النور، آية: 19.
(4) تفسير القرآن العظيم 303/3.
(5) تفسير السعدي 400/5.

وهو برئ منه»[1].

ومن هذا الباب ـ أيضاً نهي الله ـ جل وعلا ـ عن التجسس وتتبع المستور.

وقال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ:

قال الفضيل بن عياض: «المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير»[2].

وما أحسن ما قال الناظم:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

واستغن بالله عن كلٍ فإن به غنى لكل، وثق بالله يكفيكا[3]

قال الله سبحانه + يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ"[4].

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم، فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذ ستره»[5].

قال الألوسي: والنهي في هذه الآية متجه إلى آحاد المسلمين وجماعاتهم بمعنى: ولا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم، وتستكشفوا عما ستر الله تعالى. كما قرئ أيضاً بالحاء المهملة (ولا تحسسوا) من الحس الذي هو أثر الجس وغايته، والمراد كما يقول الألوسي على القراءتين: النهي عن تتبع العورات مطلقاً، وعدوه من الكبائر [6].

فالتجسس المنهي عنه في الآية الكريمة هو: تتبع عورات المسلمين وغيرهم، ومحاولة الوصول إلى معرفتها لإشباع دافع نفسي أو غرض

(1) جامع العلوم والحكم 292/2.
(2) جامع العلوم الحكم 292/2.
(3) غذاء الألباب 265/1.
(4) سورة الحجرات، آية: 12.
(5) زاد المسير 471/7.
(6) روح المعاني 236/14.

معين.

إن التجسس المؤدي إلى فضح العورات لا تسمح به الشريعة الإسلامية بحال من الأحوال.

ولذا حذر النبي × من هذا الخلق المشين.

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: خطب رسول الله × خطبة حتى أسمع العواتق في خدورهن.

فقال: « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته»[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي × قال: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»[2].

وقال ×: «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[3].

قال الإمام النووي رحمه الله: وفي هذا ستر زلة المسلم والمراد به هنا الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد انتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت أما معصية رآه عليها وهو بعدُ متلبس بها، فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة [4].

---

(1) أخرجه أبو داود حديث رقم (4880) أخرجه أبو يعلى في مسنده 237/3 رقم (1675)، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان 152/17 (9213)، واللفظ له، وقال محقق الشعب: إسناده صحيح كما صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (7861). وفي الصحيحة حديث رقم (2064).

(2) أخرجه ابن ماجه حديث رقم (2546) وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب وقال: إسناده حسن 239/3. الجزء الأول من الحديث عند أبي داود (4893) من حديث ابن عمر وبعض الحديث عن مسلم (2699) من حديث أبي هريرة رضي الله عنهم، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(3) أخرجه البخاري في كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم مسلم حديث رقم (2442) وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم حديث رقم (2580).

(4) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج «شرح النووي» 1543 في كتاب البر والصلة،

3- وفي رواية عند مسلم زاد فيها: «ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة»[1].

وقال الحافظ ابن حجر: «ومن ستر مسلماً» أي رآه على قبيح فلم يظهره (أي للناس)، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم يفت عن قبيح فعله ثم جاهر به، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيئاً، فلو توجه إلى الحاكم وأقر لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب الإنكار عليه وإلا رفعه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة، وفيه إشارة إلى ترك الغيبة لأن من أظهر مساوئ أخيه لم يستره [2].

قال ×: «من ستر على مؤمناً عورة فكأنما أحيا موؤده»[3].

وقال ×: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم»، وقال أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله نفعه الله بها[4].

بل انظر إلى موقفه × من صحابي لم يستر على أخ له حيث أخرج أحمد في المسند وغيره عن نعيم بن هزال: أن هزالاً كان قد استأجر ماعزاً بن مالك وكانت له جارية يقال لها: فاطمة، قد أملكت، وكانت ترعى غنماً لهم، وأن ماعزاً وقع عليها، فأخبر هزالاً فخدعه، فقال: انطلق إلى النبي × فأخبره، عسى أن ينزل فيك قرآن، فأمر به النبي × فرجم، فقال النبي ×: «ويلك يا هزال، لو كنت سترته بثوبك كان خيراً لك»[5]. ولم يقل خيرٌ له

باب تحريم الظلم عند شرح الحديث رقم 2580.

(1) انظر صحيح مسلم حديث رقم 2699 في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(2) انظر فتح الباري 262/6.

(3) رواه الطبراني في الأوسط (2337) وقال الألباني صحيح لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (2337).

(4) انظر سنن أبي داود في كتاب الأدب حديث رقم (4888) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 199/3.

(5) أخرجه أحمد في المسند 218/36 حديث رقم (21891) وأخرجه أبو داود حديث رقم (4377) وقال شعيب في الموسوعة: صحيح لغيره 218/36. وقوله فخدعه هزال لأن هزال كان يعلم حد الزنا ويدري أنه إذا ذهب إلى النبي × سيقيم عليه الحد.

لأن الأجر العظيم سيكون للساتر على أخيه المسلم.

وفي رواية: «يا هزال، أما لو كنت سترته بثوبك، لكان خيراً مما صنعت به»[1].

وعن ابن هزال عن أبيه، أن النبي × قال له: «ويحك يا هزال لو سترته، يعني ماعزا ـ بثوبك، كان خيراً لك»[2].

وفي رواية عند البغوي: «يا هزال لو سترته بردائك لكان خيراً لك»[3].

فانظر إلى هذا الحديث العظيم وكيف قال له الرسول ×: «لو سترته لكان خيراً لك ولم يقل له ـ فالأجر العظيم لمن ستر على مسلم فينبغي لمن عرفه أن لا يفرط به».

ولقد طبق الصحابة هذا المنهج بالبعد عن البحث عن مواطن عورات الناس طالما أنهم ليسوا أهل سلطة ورجال حسبة.

نعم هنا كان منهج صحب محمد × مراعاة أصحاب الذنوب وعدم سبهم والشماته بهم وسؤال الله السلامة والستر عليهم وانظر إلى هذا الأمر وتأمل ذلك وهو أن أبا الدرداء رضي الله عنه مر على رجل قد أصاب ذنباً فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا نبغضه؟ قال إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي»[4].

وهذا ابن مسعود يؤكد هذا المعنى العظيم فقال: «إذا رأيتم أخاكم قارف ذنباً فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه، تقولون: اللهم اخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإنا أصحاب محمد × كنا لا نقول في أحدٍ شيئاً حتى نعلم على ما يموت فإن ختم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيراً، وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله»[5].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده 220/36 حديث رقم 21893 وقال شعيب صحيح لغيره. انظر الموسوعة 220/36.

(2) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (21895) والحاكم في المستدرك 403/4 وقال شعيب في الموسوعة: حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، انظر المستدرك 403/4 وقال شعيب في الموسوعة: صحيح لغيره 221/36 وصححه الألباني في صحيح الجامع 799.

(3) أخرجه البغوي في شرح السنة 283/10.

(4) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم 20267 والبيهقي في شعب الإيمان برقم 6264 وقال محقق الشعب إسناده حسن 80/12.

(5) أخرجه البغوي في شرح السنة 137/13 برقم 3559 وعبد الرزاق في المصنف برقم 20266

قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ «لو أخذت سارقاً لأحببت أن يستره الله، ولو أخذت شارباً لأحببت أن يستره الله عز وجل»[1].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي × قال: لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة»[2].

وقال الحسن البصري: «من كان بينه وبين أخيه سترٌ فلا يكشفه»[3].

وقال العلاء: «لا يعذب الله قوماً يسترون الذنوب»[4].

قال عوف الأحمسي: «من سمع بفاحشة فأفشاها، كان فيها كمن بدأها»[5].

قيل لابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال: إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يَظهر لنا شيء نأخذ به»[6].

وانظر إلى هذا الخبر الذي جسد به عمر معنى الستر إذ جاءت امرأة إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين إني وجدت صبيًّا ووجدت معه قبطية فيها مائة دينار فأخذته واستأجرت له ظئرًا[7]: وإن أربع نسوة يأتينه ويقبلنه لا أدرى أيتهن أمه؛ فقال لها: إذ هن أتينك فأعلمينى؛ ففعلت؛ فقال لامرأة منهن: أيتكن أمَّ هذا الصبي؟ فقالت: والله ما أحسنت ولا أجملت يا عمر؛ تعمد إلى امرأة ستر الله عليها، فتريد أن تهتك سترها؟! قال: صدقت، ثم قال للمرأة: إذا أتينك فلا تسأليهن عن شيء، وأحسني إلى صبيهن، ثم انصرف [8].

فانظر إلى عمر كيف أخذ برأي المرأة التي ابتغت الستر على من أخطأت وأقرها على ذلك، وما فعل ذلك عمر إلا لما ثبت عنه عن النبي × عندما قال لهزال بن ذئاب بن زيد - رضي الله عنه - الذي أشار على ماعز

والبيهقي في شعب الإيمان برقم 6265 وقال المحقق إسناده منقطع 80/12، 81.

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف 227/10.

(2) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب بشارة من ستر الله تعالى عليه في الدنيا بان يستر عليه في الآخرة حديث رقم (2590).

(3) مكارم الأخلاق للحزنقي ص (495).

(4) المرجع السابق ص(502).

(5) الزهد لوكيع 768/3.

(6) انظر سنن أبي داود حديث رقم (4890) والمصنف لعبد الرزاق (18945) وسنن البيهقي 224/8، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 199/3.

(7) أي المرضعة غير ولدها.

(8) رواه البيهقي في شعب الإيمان 154/17 (9215) وقال المحقق إسناده حسن.

أن يقر بذنبه؛ فقال له النبي ×: «لو سترته كان خيرًا لك» وفي رواية، «ويلك يا هزال، لو كنت سترته بثوبك، كان خيرًا لك » وفي رواية: «يا هزال أما لو كنت سترته بثوبك، لكان خيرًا مما صنعت به» [1].

والذي أريد أن أخلص إليه: أن على المسلم أن يحرص على ستر أخيه عندما يذهب لمناصحته، لا أن يكون غرضه التجسس واستقصاء الأخبار لينشرها بين الناس، ورحم الله أبا العباس المرهبي حيث أنشد قائلاً:

لا تهتكن من مساوئ الناس ما سترا فيهتك الله سترًا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدًا منهم بما فيــك[2]

فعليك عندما تذهب أن تخلص النية لله، وأن يكون همك إصلاحه وهدايته ما استطعت، إلى ذلك سبيلاً، حتى لو وجدته بأسوأ مما تصورت فاستر عليه، ولا تظهر بالشماتة أو التشهير به.

ثالثاً: عدم الشماته به:

عليك أن تحمد الله على أن منَّ عليك بالثبات على الهداية، وحماك وحفظك، فلا تشمت به لقوله ×: « من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً؛ لم يصبه ذلك البلاء» [3].

قال النووي -رحمه الله-: «يقول بعض أهل العلم أنه ينبغي أن يقول هنا الذكر سرًّا، بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه المبتلى، لئلا يتألم قلبه بذلك، إلا أن تكون بليته معصية فلا بأس أن يسمعه ذلك إن لم يخف من ذلك مفسدة»[4].

---

(1) وجميع هذه االروايات ثابتة كما مر معنا؛ انظر المســـند الأحاديث الآتية: رقم (21891)، (21892)، (21893)، وأخرجه النسائي في الكبرى مختصرًا (7279)، والطبراني في الكبير 531/12، والبيهقي في الجامع 144/17 برقم (9206) والحاكم في المســـتدرك، وصـــححه، ووافقه الذهبي. انظر 361/4، وصـــححه شـــعيب، انظر الموســـوعة لحديثيه 215/36-221 وصححه محقق الشعب 47/17.

(2) انظر الجامع لشعب الإيمان 155/17.

(3) أخرجه الترمذي في حديث رقم (3657) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير 157/1 حديث 555.

(4) انظر الأذكار للنووي ص258، وتحفة الأحوذي 276/9، وفيض القدير 451/1.

فهناك مع الأسف من يقوم بالشماتة والسخرية بأخيه المنتكس ويقوم بتتبع عورته ونشر زلته بين الناس.

كتب سعيد بن جبير إلى أبى السوار العدوي:«أما بعد يا أخي فاحذر الناس واكفهم نفسك، والزم بيتك، وابك على خطيئتك، وإذا رأيت عاثرًا فاحمد الله الذي عافاك، ولا تأمن الشيطان أن يفتنك ما بقيت» [1].

بل انظر إلى منهج الصحابة في مثل هذا التعامل؛ فهذا ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول: «إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه، تقولوا: اللهم اخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية فإنا - أصحاب محمد- كنا لا نقول في أحد شيئًا حتى نعلم على ما يموت؛ فإن ختم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيرًا، وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله » [2].

وهذا أبو الدرداء - رضي الله عنه - يؤكد لنا هذا المنهج بما أخرجه عبد الرزاق في المصنف «أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنبًا فكانوا يسبونه فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي، وقال أبو الدرداء: ادع الله في يوم سرائك لعله أن يستجيب في يوم ضرائك » [3].

قال حمدون القصار: « إذا زل أخ من إخوانكم فاطلبوا له سبعين عذرًا، فإن لم تقبله قلوبكم، فاعلموا أن المعيب أنفسكم حيث ظهر لمسلم سبعون عذرًا فلم يقبله » [4].

رابعاً: المبادرة بالعلاج:

عندما نقول: على أصحاب ألاَّ يسارعوا بالاتصال بالمنتكس؛ لا يعني هذا بعد فترة زمنية طويلة، من أسبوع إلى عشرة أيام على سبيل المثال؛ فالمبادرة بالعلاج قد تحمي الشاب من الانخراط في بيئة أخرى قد تكون

(1) انظر الجامع لشعب الإيمان 87/12 برقم 6272
(2) أخرجه عبد الرزاق في المصنف 179/11 برقم (20266)، والطبراني في المعجم الكبير 110/9 برقم (8574)، وابن المبارك في الزهد 313/1، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن القيم في حلية الأولياء 205/4. وقد سبق أن مر معنا.
(3) أخرجه عبد الرزاق في المصنف 180/11 برقم (20267)، وأبو نعيم في الحلية 227/1 والبيهقي في شعب الإيمان برقم 6264 وقال المحقق لجامع شعب الإيمان: إسناده: رجاله ثقات 80/12.
(4) انظر الجامع لشعب الإيمان 362/20 رقم (10684).

سيئة، والتأخر الزائد بحجة: دعه يرجع بنفسه من خلال إعطائه فرصة للتفكير؛ أمر في غاية الخطورة؛ لما يخشى من ترتب آثار عليه كشرب الدخان وتأخره عن أداء الصلاة، بل قد يقوده التأخر إلى مراحل أخرى كتعاطي المخدرات وترك الصلاة بالكلية.

لذا فالمبادرة بالمناصحة أمر في غاية الأهمية.

خامسًا: الدعاء له بظهر الغيب وألا يكون عونًا للشيطان عليه:

إن على الأخ الذي سيذهب لمناصحة أخيه المنتكس أن يدعو له بظهر الغيب من قلب صادق ونية خالصة بأن يهديه الله إلى الحق.

قال ×: « ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل» [1].

لقد كان منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - التعامل مع أحداث الانتكاس بطرق طيبة؛ فهذا عمر - رضي الله عنه - «الذي اشتهر بالقوة، يستخدم الرقة في موطنها؛ وذلك بأن رجلاً كان ذا بأس وكان يفد إلى عمر، وكان من أهل الشام، وإن عمر فقده، فسأل عنه، فقيل له: تتابع في هذا الشراب: فدعا كاتبه فقال: اكتب: من عمر بن الخطاب إلى فلان سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. ثم دعا وأمن من عنده، ودعا له أن يقبل على الله بقلبه وأن يتوب عليه، فلما أتت صحيفةُ الرجل جعل يقرأها ويقول: غافر الذنب قد وعدني الله أن يغفر لي، وقابل التوب شديد العقاب قد حذرني الله عقابه، ذى الطول والطول الخير الكثير لا إله إلا هو إليه المصير. فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر أمره فقال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخًا لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه» [2].

فانظر إلى منهج أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - كيف كان حليمًا رقيقًا مع ما عرف عنه من قوة وشدة، ولكن لكل مقام عنده مقال؛ فهذا لزمت

---

(1) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب حديث رقم (6864).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 80/12 برقم (6263)، وأبو نعيم في حلية الأولياء 98/4، وعبد بن حميد في الدر المنثور 270/7 – 271، وأورده ابن كثير في بداية تفسير سورة غافر، تفسير الآية الثانية 3064/7.
وقال محقق الشعب: إسناده حسن، انظر الشعب 80/12.

هذه السنن واقتديت بهؤلاء القمم.

سادساً: استقصاء أسباب انتكاسه:

قبل زيارتك لصاحبك الذي طرأ عليه التغير حاول أن تتعرف على الأسباب التي قادته إلى هذا الطريق، وستظهر فائدة هذا من خلال ما يلي:

أ- إن كانت عنده مشاكل فستطرح له حلولاً لها، فقد يطرح لك مشكلة عائلية أو دراسية أو مادية أعاقته عن هذا الطريق.

ب- الإجابة عن أسئلته؛ إن كانت هناك أسئلة والتهيؤ لإجابات مقنعة لأسئلة متصورة ومفترضة.

جـ- الإجابة عن شبهاته والاستعداد لها استعدادًا جيدًا، فغالب المنتكسين لا يخلو من هذه الأمور حتى ولو لم يكن مقتنعًا بها، لكن من باب إغلاق الطريق على المناقش، فالاستعداد مهم.

فلا بد بعد تكرار الزيارة له أن تطرح عليه سؤالاً: ما الذي دفعك لترك هذه البيئة؟

فقد يقول مثلاً: فلان يسيء إليّ، أو شيخي لا يحبني، أو أخشى على دراستي، وما شابه ذلك، وكما ذكرت سابقًا أن الاستعداد لأسئلته المتوقعة أمر لا بد منه.

سابعاً: عدم الوقوع في عرضه:

هناك من الشباب من لا يتردد بالوقوع في عرض أخيه المسلم المنتكس، بل ويجاهر في هذا السب والولوغ في عرضه، ثم يفكر بعد ذلك بزيارته ومناصحته، وقد تكون الأخبار قد وصلت إلى هذا المنتكس، مما يجعله عند زيارتك له يفاجئك بهجوم فقد من خلاله السيطرة على أعصابه وتصرفاته،

إن وقوع الشباب بعرض أخيهم بمجرد حدوث تغيرٍ عنده أمرٌ في غاية الخطورة، إن من أكبر المشاكل التي تواجه الشباب، التسرع في الحكم على زميلهم بالانتكاس مع التشهير به، ثم يحرجون بعد ذلك عن مواجهته، بل قد يمتنعون عن مناصحته حياءً مما بدر منهم أو خوفاً من ردة فعله، ولذا انصح نفسي وأحبائي بالبعد عن الوقوع في الأعراض، مع عدم التسرع في الحكم، إن مجرّد سب الأخ المسلم يُعد فسوق، لقوله ×: «سباب المسلم فسوق وقتاله

كفر»[1].

إنني أنصح أن لا يبادر بنصيحة المنتكس شاب وقع في عرضه إلا بعد الاعتذار إليه، إذا تأكد لديه وصول الخبر إليه، حتى لا تتحولَ المناصحةُ إلى عِراكٍ ومُشاجرةٍ.

ثامناً: اختيار وسيلة الاتصال بالمنتكس لدعوته:

بعد أن تبين وتأكد لديك بأن صاحبك قد ابتلاه الله، وابتعد عن طريق الالتزام فعليك البحث عن الطرق المناسبة للتواصل معه، وعدم الاقتصار على وسيلة واحدة بل عليك أن تبحث عن أكثر الطرق تأثيرًا عليه حتى تمارسها معه، ومن الطرق:

1- الزيارة له في بيته.
2- الزيارة له في عمله أو مدرسته.
3- الزيارة له في المسجد الذي يصلي فيه إذا لم يصل إلى مرحلة الانقطاع عن صلاة الجماعة.
4- الرسائل ولها أساليب:

أ- الشفهية مع قريب له؛ كأن تقول: بلغ فلانًا السلام مني.

ب- الرسائل المكتوبة، والتى تحمل في طياتها النصح من مناهج السلف؛ كما سيمر معنا خبر عمر - رضي الله عنه - عندما أرسل لصاحبه الذي وقع في الخمر.

ت- عبر رسائل الاتصالات الحديثة الخاصة به.

أن لهذه الرسائل وقع طيب على نفوس الأخوة، وهذه الرسائل قد تكون عبر البريد أو الإيميلات أو الجوال.

الرسائل مجدية ونافعة في الجملة، وأنصح الشباب أن يتواصلوا مع زملائهم ما بين الفينة والأخرى بالرسائل، مع الحرص أن تكون كالملح بالطعام غير مكثفة ولا مكررة حتى لا تكون مملة، ويا حبذا التجديد في الطرح مع الحرص على الاختصار والخط الجميل العبارة الراقية وأبيات الشعر العذبة.

5- الاتصال الهاتفي أو عبر رسائل التواصل الاجتماعية.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله حديث رقم 18.

تاسعاً: تخيل الموقف والاستعداد له قبل مواجهته:

عليك أن تتأكد قبل الذهاب إلى صاحبك القديم أنك ستشاهد إنسانًا غير الذي تعرفه، قد تلحظ تغير وجهه بإزالة لحيته وإسبال ثوبه أو وجود الدخان بيده، وإن كانت امرأة فقد تجدها أختها الداعية متنمصة أو لابسة ملابس غير محتشمة، أو غير ذلك من الأمور، فعليك أن تحطاط لمثل هذا الأمر، وألا تنصدم، فضع في حسابك أسوأ احتمالات، فقد لا يفتح لك الباب، أو لا يحسن استقبالك، بل قد يغلق الباب في وجهك عندما يعلم أنك أنت الطارق، فكن مستعدًّا لمثل هذه التصرفات بالحكمة والهدوء ورباطة الجأش والحلم والتأني، فكن حكيمًا عند تصرفك، فتعامل على أنه مسكين أصابه الحياء من مواجهتك، وليس المقصود شخصك، بل لو جاءه أي شخص لنفس الغرض الذي جئت من أجله لجوبه بمثل مجابهتك، فتقبل الأمر برحابة الصدر، فلا تيأس ولا تقنط، واحذر ردة الفعل المفاجئة؛ فقد تعود من حيث أتيت، ثم تتحين فرصًا أخرى حتى تظفر بالجلوس معه.

وضع التصورات قبل المواجهة أمر في غاية الأهمية؛ لأن هناك من لايجعل هذه الأمور في حساباته، ثم يُفاجأ بعد ذلك بمثل هذه الأمور، فيصاب بصدمة، أو تحدث منه ردة فعل قد تضر به وبزميله.

عاشرًا: التهيؤ لمقابلته:

عندما تقوم بزيارة صاحبك المتغير فتهيأ لمقابلته بما يلي:

1- إحضار هدية مناسبة له - إذا كنت تملك القدرة على ذلك - واحرص على ألا تكون أشرطة ولا كتبًا؛ لأنه الآن بها زاهد؛ لقوله ×: «تهادوا تحابوا» [1].

2- اختيار الكلام المناسب والعبارات بدقة.

3- احرص على ألا تناقش انتاكسه في مقابلتك الأولى معه، بل قد يكون حضورك وتجاذبك معه أطراف الحديث بعيدًا عن هذا الموضوع دافعًا له وسببًا لعودته، بل حاول إن لم تلحظ عليه تغيرًا في هيئته أو في مظهره ألا تظهر له أنك تعرف شيئًا، بل تعامل معه تعاملاً طبيعيًّا بحيث لا يشعر أن به تكلفًا وتصنعًا. وأذكر حادثة لأحد الإخوة حيث قال: بلغني أن قريباً لي

(1) أخرجه البخاري في الأدب حديث رقم (594).

انقطع عن صلاة الجماعة بالكلية يقول: فذهبت لزيارته، ووصلت إلى بيته قبيل أذان المغرب، وعند مقابلته والجلوس معه، بدأت بالحديث معه ولم أبين له سبب زيارتي وعندما، أذن المغرب سألته: ما هو أقرب مسجد إلى بيتك؟ مبالغة في إظهار أنني لا أعرف عن انقطاعه عن الصلاة بالكلية؛ فاختار لي مسجدًا فألقيت فيه كلمة لم أتعرض فيها إلى الصلاة مطلقًا، حتى لا أشعره بالحرج، بل اخترت موضوعًا عن الرقائق وبعد ذلك عدنا إلى بيته، ومكثت معه قليلاً، ثم ودعته. يقول: فوالله الذي لا له إلا هو ما هي إلا أيام قلائل إلا وقد أخبرني أحد جماعة مسجده بأنه أصبح مواظبًا على الصلاة. يقول: وبعد مدة أخبرني هذا الرجل بأنه قد أعفى لحيته وأصبح يحضر مع الأذان. يقول بعد فترة لا تجاوز شهرين تعلق قلب قريبي بالمسجد، ثم أصبح مؤذنًا له عند غياب المؤذن؛ فزرته حيث أخبرني أحد جيرانه بأنه أصبح مرابطًا في المسجد من بعد المغرب إلى العشاء؛ يقول: فذهبت لزيارته في المسجد، وعندما دخلت إلى المسجد فإذا برجل يتلو القرآن بصوت ندي؛ قلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فالتفت إليّ لما عرفني فنهض ليعانقني، وقال: لقد أثرت فيّ زيارتك الماضية، وكان أكثر ما أثر بي أنك لم تفتح معي الموضوع؛ فلو كنت فتحته معي لكنت أحرجتني، ولا أظن أنني كنت سأعود.

فهذا الموقف الذكي من الداعية والنصيحة غير المباشرة كان لها - بفضل الله - أثر عظيم، وهنا أؤكد على الداعية عند المقابلة الأولى عدم طرح الموضوع بالكلية.

الحادي عشر: إشعاره بأنك محب له وحريص على هدايته:

عندما تقوم بزيارة أخيك، فاظهر حبك الشديد له وحرصك عليه، وبأن الهداية لو تباع لاشتريتها له، وكن به شفيقًا متأسيًا بنبيك × حيث قال تعالى عنه:+لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (1)".

بل بلغ من تصوير حرصه على أمتك أن قال ×: « إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارًا؛ فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ

(1) سورة التوبة، آية: 128.

يحجزكم وأنتم تقتحمون فيه» [1].
فإظهار حبك له وحرصك عليه لا شك أن أثره سيكون قويًّا.

الثاني عشر: لا تتوقع أن يستجيب لك فورًا:

من الأمور المهمة أن لا يعتقد زائر المنتكس أنه سيجد ذلك الشخص الذي يعرفه بصفاء نفسه وسلامة قلبه وأن لا يعتقد بأنه لن يعود إلا والأوضاع جميعها طبيعية، بل عليه أن يحسب ألف حساب لصعوبة المهمة؛ لأن المنتكس قد عاش أجواء أثرت عليه، وجعلت الران يتمكن من قلبه، لذا لا تتوقع الاستجابة الفورية، أو أن يعود إلى الحق ويتراجع عن وضعه بمجرد زيارتك له، نعم قد يظهر لك نوع من الاستجابة فاقنع بها؛ لأن القليل مع التواصل والدعاء والصدق سيزيد بإذن الله، وعليك قبول عودته ولو ظهرت عليه آثار ضعف الاستقامة كتخفيفه من لحيته، أو غير ذلك من المعاصي لأنه سيتلاشى بإذن الله مع مرور الوقت وتأثره بالصحبة الطيبة.

الثالث عشر: عدم التشديد عليه.

إن من الحكمة أن يُعلم المنتكس أن المطلوب منه هو ما افترض الله عليه، وأن يوضح له أنه متى فعل ذلك فإنه يعد من أهل الهدى والاستقامة، ويخبره بالحديث الذي رواه البخاري وغيره أن الرسول × قال: « إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه..» [2].

كما على من يقوم بدعوته أن يخفف الضغط عليه، ويبشره بأنه على خير عظيم ما التزم بهذه الفرائض، ويخفف عنه مصابه، ويؤكد له أنه يعيش وضعًا طبيعيًّا، وسرعان ما يعود بإذن الله إلى الهدى إذا أخلص نيته وصدق مع ربه، ويذكر بقوله ×: «إن لكل عابد شرَّة، ولكل شِرّةٍ فَترة، فإمَّا إلى سُنة، وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة، فقد اهتدى، ومن كانت فترتُه إليَّ غير ذلك، فقد هلك » [3].

---

(1) رواه مسلم كتاب الفضائل باب شفاعته × على أمته، حديث رقم (2284).
(2) أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع حديث رقم (6502).
(3) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (6477)، (6908) وللحديث ألفاظ وروايات متعددة وردت

والشَّرة: معناها الحرص على الشيء والنشاط له. والفترة، ضده، أي: العابد يبالغ في عبادته أول الأمر، ويجد في نفسه قوة على ذلك وشوقاً ورغبة فيه، وكل مبالغ فلابد أن تنكسر همته، وتفتر قوته عن ذلك الجد عادة، فمنهم من يرجع حين الفتور إلى الاعتدال في الأمر، وترك الإفراط فيه، فهذا مهتدٍ، ومنهم من يرجع حين الفتور إلى ترك العبادة بالكلية، والاشتغال بضدها، فهذا هالك والله ـ تعالى ـ أعلم [1].

ثم يخبر بأن المطلوب أن يرجع بعد هذا الفتور إلى الاعتدال حتى يكون مهتديًا، ولا يكون حاله كحال من قاده الفتور إلى ترك العبادة بالكلية، بل والأخطر منه أن ينشغل بغيرها، فهذا قد وقع في الضلال، ويبين له ما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: « إن لهذه القلوب إقبالاً وإدبارًا. فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل، وإن أدبرت فألزموها الفرائض » [2].

الرابع عشر: استمرار التواصل:

وهذا قد يكون سبق ذكره، ولكن هنا من باب المزيد من الإيضاح، فلا بد للمربي أن يتواصل مع تلميذه المنقطع وألا يكتفي بزيارة أو زيارتين، أو رسول أو رسولين، بل لا بد من استمرار التواصل، وعدم الانقطاع، فإن نفسه التي لم تتقبل اليوم قد تتقبل في الغد، فعدم اليأس أو القنوط مطلب ملح، ومنهج سار عليه الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الخامس عشر: عليك بالعتاب الهادئ والنصيحة الصادقة، والبعد عن العنف والتجريح واللوم والعتاب، فأنت طبيب سيعالج قلب هذا المريض، وتحمل بيدك مشرطًا وهو لسانك، فاجعله هادئًا لينًا، فالطبيب عندما يعالج مرضاه فإنه يستخدم مشرطه الجراحي بهدوء وحذر ورفق حتى تنجح عمليته، فلو استخدم القوة والعنف لمات المريض من مشرطه، والناس - وربي- أحوج إلى هذا المنهج في أمراضهم المعنوية.

وتأمل أمر الله لموسى وهارون بأن يُستخدما مع أكبر طاغية على وجه

في كثير من دواوين الإسلام، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين كما قال شعيب. الموسوعة 10/11.

(1) انظر: حاشية الموسوعة الحديثية 11/11.

(2) وجدته في مدارج السالكين لابن القيم 122/3 ولم أجده عند غيره بعد بحث وتقص.

الأرض أسلوب الرفق: قال تعالى: +فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا "[1].

فإذا كان فرعون مع طغيانه وجبروته يأمر الله نبيه موسى وهارون بأن يتعاملا معه باللين فكيف بأخ لك ابتلاه الله؛ أليس هو أولى باللين وأجدر؟

إن الرفق عند مخاطبة المنتكس مطلبٌ شرعي، ولذا قال ×: « يا عائشة عليك بتقوى الله عز وجل والرفق، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولم يُنزع من شيء قط إلا شانه» [2].

وأذكر هنا قصة حدثت معي حيث كنت أقوم بإلقاء درس أسبوعي في السجن المثالي «سجن الملز» بالرياض منذ عشر سنوات، ولاحظت عند أحد السجناء حرصًا شديدًا على الدرس يفوق غيره فضلاً عن اجتهاده في الحفظ للمتن الذي كنت أقوم بشرحه، وعندما لاحظت ذلك انفردت به أحد الأسابيع وسألته عن سبب سجنه لعل الله أن ييسر الإفراج عنه، فأخبرني بأنه كان مع مجموعة من الشباب لاحظوا انتكاس أحد رفقائهم قال: فذهبت لمناصحته فأثار غضبي فقمت بضربه، وكانت نتيجة هذه المضاربة أن كسرت يده، وهذا هو الذي قادني إلى السجن.

فهذا الأخ سلك أسلوب العنف فأضرَّ به وأضرَّ بالمدعو، مع يقيني التام أن العنف باستخدام اليدين أندر النوادر، بل لا يجوز شرعاً وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز للإنسان أن يأخذ حقه بيده، فكيف بمن يستخدم يده في حق الله وهو ليس مأمور إلا بالإنكار باللسان أو القلب، ولكن العنف باستخدام اللسان شائع ومنتشر.

والخلاصـــة:

1- إن على الداعي عندما يخاطب زميله المنتكس أن يتعامل معه بهدوء.

2- أن يقابله بابتسامة وممازحة؛ لأنه عند مقابلته سيكون خائفًا وجلاً؛ فتبعث ابتسامتك مع إشراقة وجهك فيه الراحة والاطمئنان، وستبعد عنه الخوف والوجل.

---

(1) سورة طه، آية: 44.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم (580)، وأخرجه أبو داود حديث رقم (2478)، وأخرجه أحمد في المسند حديث رقم (24307) وقال شعيب في الموسوعة: حديث صحيح 353/40.

السادس عشر: تصحيح بعض المفاهيم عنده:

بعض الشباب ينقطع عن زملائه ويظن أن الدين والتدين محصور بفئة معينة من الشباب، فتواجهه مشكلة مع الشيخ أو المشرف أو أحد زملائه، ثم يترك الالتزام لاعتقاده أن الالتزام محصور بهذه المجموعة، فعلى المربي أن يفتح لتلميذه الذي لم يوفق معه آفاقًا واسعة، وألا يربطه بشخصه الكريم وكأنه أحد أفراد عائلته الذين يجب أن يظلوا معه لا يغادرونه أبدًا، فكم من شاب ترك مجموعته ثم أبدع مع غيرها، فالأنفس قد تتوافق مع أنفس أخرى وتتلاءم مع بيئات غير بيئاتها التي عاشت معها وكما قال الحكم:

العنبر الخام روت في مواطنه وفي التغرب محمول على العنق

فعلى المربي أن يقترح عليه مجموعة غير مجموعته إذا رأى بأنها هي الحل لمشكلته.

السابع عشر: إخباره بأن الجميع معرّض للوقوع في الذنب:

عليك أن تؤكد لهذا الذي وقع في الذنب أنه ليس أول واقع ولا آخر من وقع، وإن الوقوع في الذنوب صفة بشرية؛ فقد قال ×: « لو لا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون؛ فيغفر لهم»[1].

وقال ×: «والذي نفسي بيده! لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم »[2].

فتحثه هنا على الاستغفار، وبأن الله سبحانه وتعالى يحب عبده الذي يتوب بعد الذنب، وليس المقصود هنا الحث على الذنب، بل الحث على الاستغفار بعد وقوع الذنب، ويستحسن تذكيره بألا أحد يسلم من الذنب، كما يستحسن أن تساعده ببيان فضل التوبة وفرح الرب بذلك، لقوله ×: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده.....»[3].

ففي هذا الأسلوب تخفف عنه مصابه وتشجعه على التوبة، وحبذا أن تذكره بأخبار التائبين من ذنوبهم؛ قال علي بن الفضل:

أيا من لا يخيب لديه راج ولم يبرمه إلحاح المناجي

(1) أخرجه مسلم برقم (2748).
(2) أخرجه مسلم (2749).
(3) الحديث رواه البخاري رقم (6308)، ومسلم (2747).

ويا ثقتي على سرفي وجرمي وإيثار التمادي في اللجاج
أقلني عثرتي واغفر ذنوبي وهب لي منك عفوًا واقض حاجي
فما لي غير إقراري بجرمي وعفوك حجة يوم احتجاجي[1]

وكما قال يحيى بن معاذ الرازي:

جلالك يا مهيمن لا يبيد وملكك دائم أبدًا جديد
وحكمك نافذ في كل أمر وليس يكون إلا ما تريد
ذنوبي لا تضرك يا إلهي وعفوك نافع وبه تجود
فهبها لي وإن كثرت وجلت فأنت الله تحكم ما تريد
فلست على عذاب الله أقوى وأنت بغيرها لا تستقيد
فنعم الرب مولانا وإنا لنعلم أننا بئس العبيد
وينقص عمرنا في كل يوم وما زالت خطايانا تزيد
قصدت إلى الملوك فكل باب عليه حاجب فظ شديد
وبابك معد للجود يا من إليه يقصد العبد الطريد [2]

الثامن عشر: فتح باب التوبة له:

عندما يوفقك الرب - عز وجل - بسلوك هذا الطريق العظيم؛ فعليك أن تفتح لهذا المبتلى باب التوبة، وتذكره بأن الكل يخطئ ويذنب، وبأنه ليس أول من أذنب حتى يفعل بنفسه ما يفعل، بل الذنوب يجب أن تقوده إلى التوبة لا إلى ذنوب أخرى؛ كما عليك أن تذكره بالآيات والأحاديث التى تحث على التوبة، وتبين حقارة الذنب عند التوبة فمثلاً:

(1) انظر الجامع لشعب الإيمان (555/12).
(2) انظر (الجامع لشعب الإيمان) (555-556/12).

1- قال تعالى: +وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "[1].

2- +إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ "[2].

3- قال ×: « أذنب عبد ذنبًا. فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب؛ فقال: أي رب اغفر لي ذنبي؛ فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لي ذنبي؛ فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا؛ فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب؛ اعمل ما شئت فقد غفرت لك »[3].

فأنت هاهنا تخفف عنه مصابه، وتهون عليه من الأمر، وتفتح له الأبواب التي كانت بالنسبة له مغلقة، وهذا منهج الرسول ×؛ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله × إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله هلكت؛ قال: «مالك؟» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم - وفي رواية: أصبت أهلي- فقال رسول الله ×: «هل تجد رقبة تعتقها؟» فقال: لا...» الحديث[4].

فأنت تلحظ أن هذا الرجل قد جاء وجلاً إلى النبي ×، بل في رواية عند مسلم أنه قال: « احترقت يا رسول الله »[5].

بل في رواية مرسلة في الموطأ: « جاء أعرابي يضرب فخذه وينتف

---

(1) سورة آل عمران، آية: 135.
(2) سورة الأعراف، آية: 201.
(3) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: +يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ "
حديث رقم (7507)، وأخرجه مسلم، كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب حديث رقم (2758) واللفظ له.
(4) البخاري أطرافه في الفتح (1936)، ومسلم(1111).
(5) مسلم حديث رقم (1112).

شعره يقول: هلك الأبعد»[1].

فانظر إلى أسلوب تعامل النبي × مع هذا المذنب؛ لم يوبخه، ولم يعاقبه ولم يقنطه، بل سارع لبحث طرق علاج مشكلته للتخلص من آثار ذنبه، بطرح أنواع الحلول حتى يختار منها المناسب، لقد فتح له أبواب الأمل، بل جاءه قانطًا خائفًا فحوله النبي × آمنًا مبتسمًا غنيًّا، هكذا يجب أن يفعل الدعاة مع المذنبين التائبين، يفتحوا لهم أبواب الخير وبوارق الأمل، وألا يكونوا منفرين ولا زاجرين، فالناس تحتاج رقة وعطف لا توبيخ وعنف.

التاسع عشر: بذل الجهد لرفع إيمانه:

عندما تقوم بزيارة صاحبك المنتكس عليك أن تتذكر بأن الإيمان يزيد وينقص، وبأن صاحبك قد نقص إيمانه بلا شك، وعليك أن تبذل جهدك لرفع مستوى الإيمان عنده، وكن واثقًا من ذلك، وضع لذلك برنامجًا يتناسب مع سنه وفكره وليكن بشكل تدريجي غير متكلف، وتلقائي غير متعمد، ونبدأ مثلاً بعرض فكرة أداء العمرة، والحج، ونقترح عليه زيارة بعض الصالحين من العلماء والعباد والتجار، ولا مانع من زيارة المقابر فهذه من وسائل رفع الإيمان التى تؤثر بحول الله وقوته إذا نفذت بشكل محكم بالتعاون مع بعض المقربين إلى قلبه.

العشرون: تذكيره بمحاسن الدين والاستقامة:

على من يخاطب المنتكس أن يبين له فضل الدين والاستقامة.

قال القحطاني -رحمه الله-:

الدين رأس المال فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

وقول عياض -رحمه الله-:

ومما زادني شرفًا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي بنيّا

على من يخاطب المنتكس أن يذكره بفضيلة الدين ومحاسن الإسلام وفضل الاستقامة، ويذكره بأن من أعظم النعم عليه أنه مسلم، ويذكره بالجنة

(1) انظر الموطأ 217/1، والبيهقي 225/4 مع أن العمدة على الأحاديث الموصولة أولى وأوجب.

+إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾"[1] آخر القمر، وبقوله تعالى: +إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا"[2].. إلى نهاية الآيات من سورة النبأ وغيرها من الآيات.

الحادي والعشرون: تذكيره بالأيام السعيدة السابقة مع الصحبة الطيبة:

عندما تقوم بزيارة صاحبك المنتكس عليك أن تحاول أن تسترجع المواقف السعيدة التي عاشها مع زملائه، ثم قم بسردها عليه بأسلوب خفيف وممتع دونما إشعاره بتعمدك ذلك واحذر أن تتكلف بذلك، بل حاول أن تجعلها جاءت بشكل تلقائي؛ فلها بإذن الله وقع طيب على من ابتلي بنقص إيمانه وضعف تدينه، كما أحذرك من تذكيره بما كان يحدث له من مشاكل أو ما كان يناله من عقاب عند حدوث أخطاء منه لأن هذا الأسلوب يزيد من نفوره وسيجعله أكثر إصرار على استمرار انتكاسته.

إن هذا الأسلوب له وقع عجيب ومفعول سريع بإذن الله بإعادة الصاحب إلى أصحابه، وأعيد وأؤكد بأن الأسلوب هو الذي يحدد أثر هذا الفعل ونتائج هذا اللقاء.

الثاني والعشرون: فتح آفاق جديدة له:

هناك من الشباب من يربط الاستقامة بأشخاص معينين أو يظن أن لا استقامة إلا معهم وهنا تحدث الإشكالية؛ ولذا أقدم النصائح التالية:

أيها المربي الكريم إذا كان لك تلميذ لم يرتح مع الحلقة التي رزقك الله التدريس بها، فلم يتجانس مع أفرادها ولم تلتق الأرواح مع روحه؛ فعليك إذا لم تنجح بإصلاح وضعه مع المجموعة أن تفتح له آفاقاً جديدة كنصحه بالانضمام إلى حلقة أخرى قد يوفق معها، وعليك أن تكون الوسيط له بذلك متى وجدت عنده الرغبة.

إذا كان المدرس ليس في حلقات تحفيظ طلابية بل مع صحبة؛ فعلى زملائه نصحه بالانضمام لغيرهم عندما يجد عدم تجانسه معهم بأسلوب طيب، ولا يفهم منه ولا يشم الإبعاد والطرد.

إذا كان الانتكاس من رجل عادي ليست له مجموعة فعلى المقربين له

(1) الآيات 54، 55 من سورة القمر.
(2) سورة النبأ، آية: 31.

الاقتراح عليه بالانضمام إلى رفقة صالحة والسعي له بذلك.

كما أن على المنتكس أن يعيد النظر في عبادته التطوعية، وهناك من يمارس عبادة لا يستطيع المواظبة عليها، وعند تخليه عنها تنعته نفسه بالنفاق ثم يترك الدين من جراء ذلك؛ كمن يقوم الليل أو يصوم النفل، وعليه أن يتنبه له دائمًا بأنها نوافل لا إثم بتركها والله الموفق؟

وفي الختام: هذا هو المنهج الذي اخترته عند التعامل مع المنتكس، مع التشديد على أن لا يشهَّر به ولا يسب ولا يشتم ولا يشمت به، عسى الله أن يهديه وأن يردنا إليه ردًّا جميلاً.

الثالث والعشرون: عدم المواجهة المباشرة مع شيخه فى أول الأمر:

يحمل الشاب في قلبه هيبة لشيخه في الغالب، ويصاب بالحرج عند مواجهته، ولذا فمن الأفضل عند انقطاع الشاب ألا يتجه شيخه وأستاذه إليه مباشرة لمناقشته ومناصحته، خشية أن يتصرف الشاب معه تصرفًا مشينًا يصعب بعد ذلك عليه تصحيحه كتهربه منه أو تلفظه عليه.

إن التصرفات التى لا يدرك الشاب المنتكس آثارها في بداية انتكاسه وسوء تعامله مع زملائه قد تحول بينه وبين العودة إليهم مستقبلاً، وتزداد الأمور صعوبة عندما تكون هذه التصرفات مع الشيخ أو المربي أو الأستاذ، مع العلم بأن هؤلاء الفضلاء لا تؤثر فيهم مثل هذه التصرفات لعلمهم بأن لكل مرحلة حكمها، ولكن الخوف ألا يفهم الشاب المنتكس موقف الشيخ من تصرفاته وقدرته على التحمل وعدم عتبه على تصرفات تلميذه في مثل هذه المواقف لأنه مر بتجارب سابقة أو سمعها عنه، وهذا الذي يدفعني إلى القول بأن على الشيخ ألا يقوم بزيارة التلميذ؛ فأول مرة يدعها إلى أقرب زملاء الشاب إلى نفسه حتى يهيأ الشاب إلى مرحلة أفضل، ثم يزوره بعدها الشيخ إما بترتيب مسبق أو بشكل مفاجئ على حسب الظروف والمعطيات.

الرابع والعشرون: عليك عندما تتعامل مع منتكس، أن تنظر في أحواله من خلال معرفة بيئته وعمره.....إلخ.

أ ـ مسألة العمر:

بعض المربين مع الأسف الشديد يضخم الأمور ويعطيها أكبر من حجمها الطبيعي؛ فمثلاً تجده يحوقل ويسترجع عند حدوث التغير من شاب صغير لم يناهز الحلم، ولم يعرف بعد معنى الاستقامة، فيعطي لتراجعه تهويلاً أكبر

من حجمه الحقيقي، بل يصور حالته بأكبر مما تستحق، ويضخم الأمر مع أن من حدث عنده التغير لم يبلغ حتى المرحلة المتوسطة، أو لم يزل بعد في بدايتها، و هذا الاهتمام والنقاش الزائد مع هذا الغلام يؤثر سلبيًّا على هذا الغلام خاصة عندما تعقد له الجلسات المتتابعة لمناصحته ومناقشته من قبل المربي أو بقية أفراد المجموعة، إننى على يقين بأن المربي الذي يفعل مثل هذا منطلقه الحب والحرص، ولكن قد يغيب عن تفكيره الجوانب السلبية، ومنها مثلاً: قد يُغري هذا الاهتمام الزائد بعض أقرانه ليفعلوا مثل ما فعل لينالوا مثل ما ناله من عناية واهتمام وجلسات وزيارات لعدم معرفتهم بنعمة الاستقامة.... إلخ.

ب- مراعاة البيئة:

إن مراعاة البيئات وخاصة البيئة الجاهلة، بفضل التدين والاستقامة، التي قد تكون ضغوطها على الشاب أكبر من طاقاته وقدراته، على التحمل، فعلى المربي مراعاة هذا الجانب باستخدام أساليب تحفظ لهذا الشاب توازنه حتى يمكن أن يتعايش مع مجتمعه فمثلاً: عندما يكون الشاب في بيئة ثرية، ومن عادات الأهل السفر إلى البلاد الغربية لقضاء الإجازات الصيفية هناك، مع بعدهم عن التمسك بتعاليم الدين؛ لأن أفراد الأسرة يعيشون بحالة متردية من الناحية الدينية، فإن التدين المتوقع من هذا الشاب لا بد أن يكون أقل من زملائه نظرًا لتأثير البيئة، قال ×: « إنكم في زمان؛ من ترك منكم عشر ما أُمر به هلك، ثم يأتي زمان، من عمل منكم بعشر ما أمر به نجا»[1].

قال في التحفة في شرح هذا الحديث: « إنكم أيها الصحابة في زمان متصف بالأمن وعز الإسلام؛ فمن ترك عشر ما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن منكر فقد وقع في الهلاك؛ لأن الدين عزيز وأنصاره كثر، فالترك تقصير، فلا عذر، ثم يأتي زمان يضعف فيه الإسلام ويكثر الظلم ويعم الفسق ويقل أنصار الدين، وحينئذ من عمل منهم (أي من أهل ذلك الزمن) بعشر ما أمر به نجا؛ لأنه المقدور، +لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ"»[2].

(1) أخرجه الترمذي وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث نعيم بن حماد، عن سفيان بن عيينة قال: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد حديث رقم (2267) وصححه الألباني في صحيح الترمذي 508/2.

(2) تحفة الأحوذي 450/6

فالتعامل مع الشاب المنتكس من هذه البيئة حبذا أن يكون مختلفًا عن التعامل مع منتكس في بيئة أخرى، فلا يطلب منه ما يطلب من غيره، ويقبل منه اليسير من النوافل حتى يفتح الله عليه وعلى أهله، ولأن وضعه بعد استقامته قد يعادل وضع بعض المنتكسين من بيئات أخرى.

الخامس والعشرون: استقباله عند العوده:

من المنتظر أن يكون للجهود المبذولة دور بعد لطف الله ورحمته، في إعادة الشاب إلى زملائه، كما عليك أن تتأكد بأن هناك من الشباب من يحرصون على العودة إلى زملائهم بعد انقطاعهم من جراء شعورهم بالملل والفراغ، ولكن الخوف من المواجهة الأولى للشاب مع شيخه أو زملائه يمثل هاجسًا وقلقًا عند الشاب، ولذا قسمت هذا المبحث إلى قسمين:

الأول: الزيارة المرتب لها بين المنتكس وشيخه أو أحد زملائه، وهذه الزيارة من المفترض أن يتم التعامل معها وفق الأمور الآتية:

أ- يستقبل استقبالاً عاديًّا بلا تكلف وكأنه موجود بالأمس إذا كان هذا الشاب قد عرف بحيائه وخجله من مثل هذه المظاهر، إن جعل مثل هذا الشاب في موقف حرج بحيث يكون استقباله ملفت للأنظار أمر يصعب عليه تقبله، بل قد يجعله يفكر ويتردد قبل الزيارة، ولذا على من رتب لهذه الزيارة التعهد له بذلك والترتيب المسبق مع الشباب حتى يوفي بالعهد، وإن كان الشاب لا يعرف بالخجل في مثل هذه الأمور؛ فيكون الاستقبال على حسب الظروف، وإن كنت أحبذ أن يكون التعامل معه كالسابق إذا كانت هذه العودة وفق اتفاق مسبق؛ لأن التكلف بالاستقبال والتصنع أمر غير مقبول.

ب- عدم إحراجه بطرح أسئلة من قبل زملائه موجهة له مثلاً: أين كنت في الفترة الماضية؟ هل صحيح ما سمعنا عنك؟ لماذا انقطعت؟ هل بدر منا ما دفعك لهذا؟ إلى غير ذلك من الأسئلة.

إن المربي المحنك هو الذي يجتمع بالشباب قبل زيارة زميلهم لهم، ويقوم بتحذيرهم من مثل هذه الأمور مع التأكيد عليهم بأنهم عرضة للوقوع بمثل ما وقع به، ويؤكد عليهم الابتعاد عن:

1- التكلف والتصنع عند الاستقبال، وإعطاء الأمر أكبر من حجمه الطبيعي.

2- طرح الأسئلة الاستفسارية عن غيابه وعن أيامه الماضية ماذا صنع بها.

جـ- حبذا لو تم اختيار البرنامج المناسب عند عودته لوضعه كشاب، وأضرب على ذلك أمثلة:

1- إن كانت العودة قد ظهرت منه بدون إلحاح ولا ضغط، بل جاءت من رغبة صادقة منه وتوبة ظاهرها الصدق وهو قد عرف بالجد فاقترح أن يعود وفق برنامج قوي كحفظ القرآن أو درس علمي أو الذهاب لحضور محاضرة، أو لقاء مع أحد كبار أهل العلم.... إلخ.

2- إن كانت عودته متزعزعة وضعيفة من المناسب أن تكون عودته في وقت استجمام عند الشباب وترويح عن النفس؛ حتى يشعر بلذة الجانب الترويحي مع الرفقة الطيبة والصحبة الصالحة، وحتى يشعر بقيمة ما فقده في فترة ابتعاده عنهم، ولا حرج على الشباب أن يمرحوا ويفرحوا أو يستجموا بما أحل الله، وكما قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: إني أستجم ببعض الباطل ليكون أنشط لي في الحق[1].

ولا يقصد هنا اللهو الباطل المحرم فحاشاه أن يقصد ذلك، بل يقصد اللهو المباح والذي يسمى باطلاً كما جاء في الحديث: « كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق»[2].

إذا كان هذا الصحابي الجليل يمارس اللهو المباح من أجل إراحة نفسه ودفعها للجد من باب أولى من عداه.

إن عودة الشاب ضعيف التدين في وقت رحلة ترفيهية أمر في غاية الفائدة له.

القسم الثاني: الموقف في التعامل من الزيارة المفاجئة التى قام بها المنتكس لزملائه من غير ترتيب مسبق ولا توقع لمثل هذه الزيارة:

إن بعض المنتكسين قد يعودون من تلقاء أنفسهم بدون إشعار مسبق أو دعوة وجهت له أو زيارة مرتقبة، بل جاءت من مبادرة من تلقاء نفس الشاب بالعودة إلى زملائه، وهنا من المناسب أن يكون الاستقبال له استقبالاً حارًّا، مع عدم مساءلته أو فتح أي حوار عما مضى، بل يكون ترحيبًا مع القيام لاستقباله ومعانقته حتى يظل أثره على نفس الشاب طيباً، وحتى يعرف قيمة الوفاء عند الشباب.

---

(1) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ 249/3، وابن عساكر في تاريخ دمشق 501/46.

(2) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم 1637 وقال عنه: حسن صحيح وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي حديث 163.

إن الفرح بتوبة الشاب وعودته إلى الرفقة الصالحة أمر محمود وأثره على العائد طيب، بل هذا كعب بن مالك - رضي الله عنه - يحدث بعد فترة عن أثر قيام طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - له عند توبة الله عليه بعد قبولها؛ فيقول: «انطلقت إلى رسول الله ×، فتلقاني الناس فوجًا فوجًا، يهنئوني بالتوبة يقولون: هنيئًا لك توبة الله عليك، حتى دخلت أسجد، فإذا رسول الله × جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة »[1].

فانظر إلى أثر استقبال طلحة على قلب كعب وتأثيرها على مشاعره، فالشباب من باب أولى.

(1) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك رقم 4418.

الخاتمـــــة

وفي الختام أشكر الله سبحانه وتعالى على تيسيره وتسهيله، وعلى منه وكرمه، وعطفه وجوده، حيث يسر لي إتمام الكتاب، كما أشكر كل من ساعدني أو شجعني.

وأخص من بينهم زملائي وإخواني الطلبة الذين ما ادخروا وسعًا بمساعدتي بنسخ ما أحتاج إلى نسخه، وتخريج بعض الأحاديث، ومراجعة الكتاب بعد طبعه؛ فأسأل الله عز وجل أن يوفقني وإياهم وعموم المسلمين لما يحبه ويرضاه.

وأقول في ختام هذا الكتاب: إن هذا الكتاب لا يخلو كغيره من الأخطاء، فما فيه من صواب فمن الله، وما فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله وأستعيذ به من الشيطان الرجيم.

كما أطلب من الأحبة القراء تزويدي بما يرونه من ملاحظات على هذا الكتاب، وأرجو منهم تزويدي بما عندهم من أخبار وقصص وفوائد تتعلق بهذا الكتاب على العنوان المثبت.

قاله وكتبه

أبوعبد الإله الدكتور/صَالحُ بْنُ مُقبِلٍ العُصَيْمِيَّ التَّمِيمِيّ

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

والمشرف العام على موقع الإسلام نقي www alislamnaqi.com

تويتر ، وفيس بوك @DrsalehAlosaimi

البريد الإلكتروني: S55549291@gmail.com

رقم الجوال: 00966595670000

أهـــم المراجـــــــع

1 ـ القرآن الكريم

2 ـ الابتلاء والمحن في الدعوات، للدكتور محمد عبد القادر، الناشر: دار الفرقان د. ت.

3 ـ الأبيات الجامعة للمسائل النافعة، عبد الله الجار الله، الناشر: الصميعي، الرياض ط الأولى.

4 ـ الإخلاص، صالح مقبل العصيمي، الناشر: دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى 1415هـ.

5 ـ الأذكار وقفات وأحكام، صالح مقبل العصيمي، طبعة الناشر: أعمال للمجتهد، الرياض.

6 ـ إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل للألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية 1405هـ.

7 ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة،لابن الأثير، تحقيق: محمد البنا ومحمد عاشور ومحمد فايد، بدون ناشر د. ت.

8 ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد الناشر: دار الكتب العلمية ط 1415 هـ.

9 ـ إعلام الزمرة بأحكام الهجرة، للشيخ الأنصاري، الناشر مكتبة الدار بالمدينة د ـ ت.

10 ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم الجوزية، تحقيق وتعليق مجدي السيد ـ دار الحديث القاهرة.

11 ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية، تحقيق د.ناصر العقل الناشر: مكتبة الرشد الرياض. الطبعة الخامسة 1417.

12 ـ البداية والنهاية، لابن كثير تحقيق: عبد الله التركى، الناشر: دار هجر الطبعة الأولى 1419 هـ.

13 ـ البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية، للقصيمي، الناشر:مكتبة

رياض الجنة د - ت.
14 - التثبت والتبين في المنهج الإسلامي تأليف د / أحمد محمد الحليمي الناشر دار ابن حزم بيروت ط1 - 1421 هـ.
15 - تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1415 هـ.
16 - التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، تحقيق: محمد خلف، الناشر: دار التوزيع الطبعة الأولى 1418 هـ.
17 - تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق محمد البنا، الناشر دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1419 هـ.
18 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية.
19 - تفسير جامع البيان للإمام الطبري: الناشر دار ابن الباز، الطبعة الأولى 1412هـ.
20 - تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، لعبد الرحمن السعدي، بدون ناشر. د.ت.
21 - التوبة في ضوء القرآن الكريم، تأليف الدكتورة آمال بنت صالح، الناشر: دار الأندلس الخضراء الطبعة الأولى 1419 هـ.
22 - الثبات عند الممات، لابن الجوزي، تحقيق خالد علي الناشر: دار الأندلس د - ت.
23 - ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه، عذاب محمود، الناشر: دار بدر الطبعة الثالثة 1406هـ.
24 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الناشر: مكتبة دار الباز: طبعة 1413هـ.
25 - الجامع لشعب الإيمان للبيهقي تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، الناشر الدار السلفية في الهند، الطبعة الأولى 1416 هـ.
26 - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، تحقيق: على

بن حسن، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة 1419 هـ.
27 - الحسنة والسيئة لابن تيمية، الناشر: الدار المصرية طبعة 1409 هـ.
28 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. الناشر: دار الفكر.
29 - الحور بعد الكور لمحمد بن عبد الله الدويش، الناشر دار الوطن بالرياض، الطبعة الثانية 1419 هـ.
30 - دراسة عن القصيمي للدكتور صلاح الدين المنجد، الناشر: دار الكتاب الجديدة بيروت الطبعة الثانية 1972م.
31 - ديوان الشافعي تحقيق إميل بديع، الناشر: دار الكتاب العربي.
32 - ذم الهوى لابن الجوزي. تحقيق: أحمد عبد السلام عطا، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الثانية 1413هـ.
33 - الرد القويم على القصيم، بقلم عبد الله بن علي بن يابس، الناشر مطبعة الإمام د - ت.
34 - رهبان الليل، د. سيد حسين العفاني، الناشر دار العفاني، الطبعة الحادية عشرة 1423 هـ.
35 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثالي لأبي الفضل الآلوسي، الناشر المكتبة التجارية مصطفى الباز طبعة 1414هـ.
36 - زاد المسير في علم التفسير لأبى الفرج بن الجوزي، الناشر المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة 1407 هـ.
37 - زاد المعاد في هدي خير الميعاد لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة 1424 هـ.
38 - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، تخريج محمد ناصر الألباني، الناشر المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة 1405 هـ.
39 - السلسلة الصحيحة للألباني. الناشر: مكتبة المعارف الطبعة الرابعة 1408هـ.

40 - سنن ابن ماجه لابن ماجه، الناشر: بيت الأفكار د - ت.
41 - سنن الترمذي للترمذي، الناشر: بيت الأفكار بيروت د - ت.
42 - سنن النسائي للنسائي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1422 هـ.
43 - سوء الخاتمة للمطلق. د.ت.
44 - سير أعلام النبلاء للذهبي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة 1414 هـ.
45 - سيرة ابن هشام، لابن هشام. الناشر: دار الجيل، طبعة 1407 هـ.
46 - شؤم المعصية، لعبد الله السرحان. الناشر: دار شقراء الطبعة الثالثة 1424هـ.
47 - شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين، الناشر دار الثريا للنشر د - ت.
48 - صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1414 هـ.
49 - صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية 1412 هـ.
50 - صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، الناشر بيت الأفكار د.ت.
51 - صحيح الجامع للألباني، الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة 1408هـ.
52 - الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة، لمصطفى العدوي راجعه مقبل الوادعي، الناشر مكتبة التوعية الإسلامية الطبعة الثالثة 1406 هـ.
53 - الصحيح المسند من أسباب النزول، لمقبل الوادعي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ.
54 - صحيح سنن ابن ماجه تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1418 هـ.

55 - صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف الرياض الطبعة الأولى 1419 هـ.
56 - صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الألباني، الناشر مكتبة المعارف الرياض الطبعة الأولى 1420هـ.
57 - صحيح مسلم للإمام مسلم، الناشر: بيت الأفكار د. ت.
58 - ضعيف سنن أبي داود للألباني، الناشر المكتب الإسلامي الطبعة الأولى 1412 هـ.
59 - الضلالة بعد الهدى عبد الله الجار الله، الناشر: دار الصميعي بالرياض د.ت.
60 - الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن لصالح آل الشيخ، بدون ناشر الطبعة الثانية 1413 هـ.
61 - الطبقات الكبرى لابن سعد. تحقيق: محمد عبد القادر: الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1410هـ.
62 - العزلة للخطابي تحقيق ياسر محمد، الناشر دار ابن كثير الطبعة الثانية 1410 هـ.
63 - عون المعبود، شرح سنن أبي داود للعظيم أبادي. تحقيق: عبد الرحمن محمد الناشر دار الفكر الطبعة الثانية 1399 هـ.
64 - الغلو، لعبد الرحمن اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1413 هـ.
65 - فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، الناشر: دار طيبة: طبعة أولى 1426 هـ.
66 - فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب القنوجي تحقيق عبد الله الأنصاري، الناشر المكتبة العصرية، بيروت الطبعة الثانية 1415 هـ.
67 - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد الشوكاني، تحقيق هشام البخاري وخضر عكاري، الناشر المكتبة

العصرية، بيروت الطبعة الأولى 1418 هـ.
68 - قرع السياط في قمع اللواط، للإمام محمد السفاريني، بتحقيق راشد الغفيلي.
69 - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل الزمخشري، الناشر. دار الفكر د. ت.
70 - لطائف المعارف لابن رجب تحقيق ياسين محمد. الناشر: دار ابن كثير، الطبعة الأولى 1413 هـ.
71 - مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي. تحقيق، عبد الله محمد الدرويش، الناشر دار الفكر 1414 هـ.
72 - مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية. تحقيق: محمد حامد وعبد المجيد سليم، الناشر دار ابن القيم الدمام الطبعة الثانية 1406هـ.
73 - مختصر قيام الليل للمروزي د - ت بدون ناشر.
74 - مدارج السالكين بين منازل «إياك نعبد وإياك نستعين» لابن قيم الجوزية تحقيق: محمد المعتصم البغدادي، الناشر دار الكتاب العربي الطبعة الثانية 1414 هـ.
75 - مسند أبي يعلى الموصلي للحافظ أبي يعلى تحقيق حسن سليم، الناشر: دار الثقافة الطبعة الأولى 1413 هـ.
76 - مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أحمد تحقيق: مجموعة من طلاب العلم الناشر مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1420هـ.
77 - مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة 1405 هـ.
78 - مصنف ابن أبي شيبة لابن أبي شيبة تحقيق سيد اللحام، الناشر: دار الفكر الطبعة الأولى 1409 هـ.
79 - مصنف عبد الرزاق لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الأعظمي، بدون ناشر د - ت.

80 - معالم التنزيل للبغوي، تحقيق محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش، الناشر: دار طيبة الطبعة الثانية 1414 هـ.
81 - المعجم الكبير للطبراني. تحقيق حمدي السلفي، الناشر دار إحياء التراث د. ت.
82 - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، دايم رافق بدون ناشر د - ت.
83 - المقدمات والممهدات لابن رشد، الناشر دار الفكر د - ت.
84 - من أصولي إلى ملحد قصة انشقاق عبد الله العصيمي تأليف: يورغن فازلا ترجمة محمود كبيبو، الناشر دار الكنوز الأدبية الطبعة الأولى 2001هـ.
85 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
86 - موسوعة أطراف الحديث، سعيد زغلول. الناشر: مصطفى الباز، طبعة 1414 هـ.
87 - موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم × إعداد مجموعة من المختصين. الناشر دار الوسيلة، جدة الطبعة الرابعة 1426هـ.
88 - الهجرة، للشيخ عبد الرحمن تاج، الناشر: دار الحرمين، الدوحة الطبعة الثانية 1403 هـ.

فهرس الموضوعات

مقدمـــــة الطبعة الرابعة لكتاب من أخبار المنتكسين 6
الدراسات السابقة 11
منهج البحث: 11
التمهيد 13
المطلب الأول: تعريف الانتكاس 13
المطلب الثاني: مفهوم الانتكاس 13
الفصل الأول 17
دور الشهوات في الانتكاس 17
المبحث الأول 18
الشهـــوة الجنسيـــــة 18
الدش «القنوات الفضائية»: 27
المبحث الثاني 30
التعـــرض للشهـــــــوات 30
المبحث الثالث 32
حب المال وخـــوف الفقـــــر 32
المبحث الرابع 36
حب الرئاسة والصدارة 36
أولاً: حب الشهـــرة: 37
ثانيًا: حب المال: 40
المبحث الخامس 41
الترخـــص والتساهـــل 41
المبحث السادس 42
إتيان محقـــرات الذنـــــوب 42
المبحث السابع 46
الحنين إلى الماضي وعدم القضاء على آثاره 46

المبحث الثامن.....51
استقامة ناقصة خير من انتكاسة كاملة.....51
الفصل الثاني.....53
أثر ضعف الإيمان والبعد عن المحاسبة في الانتكاس.....53
المبحث الأول.....54
عدم العمل بالعلم.....54
المبحث الثاني.....56
عدم بذل الجهد بالمحافظة على الالتزام.....56
المبحث الثالث.....57
عدم ملاحظة التقصير.....57
المبحث الرابع.....59
عـــــدم المحاسبـــــــة.....59
الفصل الثالث.....61
دور البعد عن وسائل زيادة الإيمان في الانتكاس.....61
المبحث الأول.....62
عدم الحرص على وسائل زيادة الإيمان.....62
وهنا أذكر بعض وسائل التربية الروحية:.....63
الترغيب في قيام الليل.....64
السلف وقيام الليل.....65
عوائق قيام الليل.....67
المبحث الثاني.....70
إهمـــــال المواعـــظ.....70
المبحث الثالث.....73
عدم القدرة على تحمل العبادة عند انفراده.....73
الفصل الرابع.....74
دور البعد عن الأذكار في الانتكاس.....74

المبحث الأول 75
عدم الاهتمام بالدعاء 75
ب- عدم استشعاره عظمه الدعاء وآثاره 76
المبحث الثاني 79
عدم سؤال الله الهداية 79
المبحث الثالث 81
الشماتة بأصحاب المعاصي والذنوب 81
المبحث الرابع 82
عدم بذل الجهد في التوبة 82
المبحث الخامس 83
الزيـــغ 83
الفصل الخامس 84
التشديد على النفس 84
المبحث الأول 85
الغلو في الدين وتحميل النفس ما لا تطيق 85
المبحث الثاني 91
الميـــــل للعزلـــــة 91
الفصل السادس 93
عدم تحمل الأذى واستعجال النتائج 93
المبحث الأول 94
عدم تحمل الأذى في سبيل الله 94

قال: ومع الإنسانة شنة() فيها ماء، فنفد الماء فعطشت وانقطع لبنها، فعطش الصبي، فنظرت أي جبل أدنى من الأرض، فصعدت بالصفا، فتسمعت هل تسمع صوتًا، أو ترى أنيسًا؟ فلم تسمع فانحدرت، فلما أتت على الوادي سعت وما تريد السعي كالإنسان المجهود الذي يسعى وما يريد السعي، فنظرت أي الجبال أدنى من الأرض، فصعدت المروة فتسمعت هل تسمع صوتًا، أو ترى أنيسًا، فسمعت صوتًا، فقالت كالإنسان الذي يكذب سمعه: صه، حتى استيقنت، فقالت: قد أسمعتني صوتك فأغثني، فقد هلكت وهلك من معي، فجاء الملك فجاء بها حتى

انتهى بها إلى موضع زمزم، فضرب بقدمه ففارت عينًا، فعجلت فجعلت في شنها، فقال رسول الله ×: «رحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عينًا معينًا»(). 97
وهذه بعض الصور من الابتلاء التي تعرض لها الأنبياء والرسل، ومع ذلك لم يثنهم ذلك عن الدعوة، وأكتفي بهذا القدر من صور ابتلاء الأنبياء..... 97
المبحث الثاني 106
التزعزع عند الفتن، وتأصيل ابن تيمية لها. 106
المبحث الثالث 109
التزعزع عند الفتن وتأصيل ابن القيم لها: 109
المبحث الرابع 112
(عدم التضحية في سبيل الدين) 112
المبحث الخامس 118
الخجـــل من الناس 118
المبحث السادس 119
استعجال النصر وانتظار قطف الثمر 119
ومن أسباب تأخر النصر: 122
الفصل السابع 127
دور الأسرة في الانتكاس 127
المبحث الأول 127
عدم تحمل ضغط الأهل 127
المبحث الثاني 136
دور الآباء في ضياع بيوتهم 136
المبحث الثالث 138
اللامبالاة من الآباء ودورها في الانتكاس 138
أولاً: إهمال المتابعة للسائق: 138
المبحث الرابع 141
عدم معرفة الآباء للطرق التربوية بالتعامل مع الأبناء 141

قلة معرفة الأب للنواحي التربوية:.....141
وأذكر هنا نماذج: 141
النموذج الأول: 141
النموذج الثاني: 144
المبحث الخامس.....146
دور الزوج في انتكاس الزوجة 146
المبحث السادس.....148
دور الزوجة في انتكاس الزوج 148
الفصل الثامن.....150
إهمال الدعاة والمربين للمدعوين ودوره في الانتكاس 150
المبحث الأول 151
الخطأ في التعامل من بعض المربين 151
أمثلة على أخطاء المربين 152
أولاً: التركيز على الشكليات: 152
ثانيًا: المباهاة في الحفلات: 153
ثالثًا: مطالبة الشاب فوق طاقته: 155
رابعًا: عدم وضع الفرد المناسب في المكان المناسب: 158
خامسًا: الخطأ في تقدير العقاب:.....158
سادسًا: عدم مراعاة النفسيات: مثال ذلك: 159
سابعًا: عدم التفريق بين الكبار والصغار في المحاسبة:.....159
ثامنًا: عدم مراعاة الظروف: 160
تاسعًا: عدم مراعاة الفروق الفردية: 160
عاشرًا: رفع شعار المساواة: 162
الحادي عشر - رفض المربي للنقد: 163
الثاني عشر - قتل طموح الشباب بإبعادهم عن التنافس: 163
الثالث عشر - المعاقبة غير المشروعة:.....164
المبحث الثاني 166

ترك الالتزام لأسباب.....166
المبحث الثالث.....168
المبالغة في الاهتمام بالمدعو ثم التغير المفاجئ.....168
المبحث الرابع.....170
حرمة جعل البدع وسيلة للدعوة إلى الله وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية حول ذلك 170
المبحث الخامس.....177
ضعف القدوة وإهمال دور العلماء.....177
المبحث السادس.....178
الغياب المفاجئ للقدوة 178
المبحث السابع.....181
عدم المتابعة من المربي.....181
المبحث الثامن.....183
سوء ظن المتربي.....183
المبحث التاسع.....185
عدم اختيار المتربي ما يلائمه.....185
المبحث العاشر 186
تقاعد الدعاة عن الدعوة اكتفاءً بما سبق.....186
الفصل التاسع.....189
دور البيئة في الانتكاس.....189
المبحث الأول 190
ضغط البيئة ودوره في الانتكاس.....190
إذا كـنت لا تـدري فتـلك مصيبةٌ 192
وإن كنت تـدري فـالمصيبة أعـظَمُ.....192
المبحث الثاني 194
عدم الهجرة في سبيل الله 194
أقوال أهل العلم في الهجرة:.....196

تنبيه مهم:.....198
المبحث الثالث.....198
عدم تكييف المسلم مع بيئته.....198
المبحث الرابع.....200
الهجرة إلى بلاد الغرب.....200
ثانيًا: الهجرة إلى بلاد الغرب لضرورة: 201
المبحث الخامس.....203
إثارة الفتن والقلاقل في بلاد المسلمين، ثم اللجوء إلى بلاد الغرب(). 203
الفصل العاشر 209
أمراض القلوب ودورها في الانتكاس 209
المبحث الأول 210
النفاق.....210
المبحث الثاني 212
الاستهزاء بالدين 212
المبحث الثالث.....215
الغـــــــــــرور.....215
دوافـــع الغـــرور: 216
أ- المـــــــال: 216
ب- الجاه والمكانة:.....216
جـ- العلـــــم: 217
المبحث الرابع.....220
العُجـــــــــب 220
المبحث الخامس.....224
الأمـــن مـــن الانتكاس 224
المبحث السادس.....226
الالتزام من أجل المصالح الشخصية.....226
المبحث السابع.....228

عدم الإخلاص وعدم الصدق في الالتزام 228
المبحث الثامن.....229
الحســــــــــــد 229
المبحث التاسع.....233
مـــوت القلـــــب.....233
الفصل الحادي عشر 235
قصص لبعض المنتكسين.....235
المبحث الأول: الرجال بن عنفوة. 235
المبحث الثاني: بلعام بن باعورا. 235
المبحث الثالث: عبد الله القصيمي.....235
المبحث الرابع: عيسى الداوي.....235
المبحث الخامس: خيرية حيدر. 235
المبحث السادس: ربيعة بن أمية. 235
المبحث السابع: قصة قارون. 235
المبحث الثامن: برصيصا الراهب. 235
المبحث التاسع: عقبة بن أبي معيط. 235
المبحث العاشر: النعمان بن محمد بن منصور. 235
المبحث الحادي عشر: ارتداد من افتتن بالجهاد.....235
المبحث الثاني عشر: جبله بن الأيهم. 235
المبحث الثالث عشر: ابو شجرة. 235
المبحث الرابع عشر: ابن خطل.....235
المبحث الخامس عشر: عبيد الله بن جحش.....235
المبحث السادس عشر: التجارة هي السبب.....235
المبحث السابع عشر: قصة شاب انتكس بسبب مشاحنة. 235
المبحث الثامن عشر: أقاربه أغروه بالكره.....235
المبحث التاسع عشر: قصة شاب إنتكس بسبب روايه. 235
المبحث العشرين: قصة رجل ألحه بسبب قراءة بداية والنهاية. 235

المبحث الحادي والعشرون: قصة شاب انتكس بسبب الدش. 235
المبحث الثاني والعشرون: الشاب الذي تنصر في الجهاد. 235
المبحث الثالث والعشرون: ردة كاتب الوحي. 235
المبحث الأول 236
الرجّـــال بن عُنفـــــوة 236
المبحث الثاني 238
بلعـــام بـــن باعـــــورا 238
المبحث الثالث 240
عبـــد الله القصيمـــــي 240
أسبـــاب الـــــــردة 244
1- الشك والحيرة وكثرة الجدل: 244
2- الغرور والغطرسة: 245
ملاحظـــــــة: 247
3- الاتهام بالعمالة: 247
4- العقد النفسية: 248
مواقف في حياة القصيمي 249
مقتطفات من أقواله 251
المبحث الرابع 254
عيســـى الـــــداوي() 254
المبحث الخامس 255
خيـــريـــة حيـــــــدر () 255
المبحث السادس 257
ربيعـــــــة بن أميـــة 257
المبحث السابع 258
قـــــــــــارون 258
المبحث الثامن 260
برصيصـــــا الراهـــب 260

المبحث التاسع.....263
عقبـــة بن أبي معيـط 263
المبحث العاشر 266
النعمان بن محمد بن منصور 266
المبحث الحادي عشر 267
ارتداد من افتتن فـــي الجهـــاد.....267
المبحث الثاني عشر.....268
جبلـــه بن الأيهـــــم().....268
المبحث الثالث عشر 273
أبـــــو شجـــــــــــرة.....273
المبحث الرابع عشر 275
ابـــــن خطـــــــــل ().....275
المبحث الخامس عشر 276
عبيـد الله بـن جحـــــش() 276
المبحث السادس عشر 278
التجـــارة هـــي السبب.....278
المبحث السابع عشر 279
قصة شاب انتكس بسبب مشاحنه 279
المبحث الثامن عشر 281
أقاربـــه أغروه بالكـــرة 281
المبحث التاسع عشر 282
قصة شاب انتكس بسبب قراءة رواية غربية 282
المبحث العشرون 283
قصة رجل ألحد بسبب قراءة البداية والنهاية.....283
المبحث الحادي والعشرون.....284
قصة شاب انتكس بسبب الدش.....284
المبحث الثاني والعشرون 286

الشاب الذين تنصر وهو في الجهاد 286
المبحث الثالث والعشرون 288
ردة كاتـــــــب الوحـــــــــي 288
الفصل الثاني عشر.....289
المنهج في التعامل مع المنتكس 289
المنهج في التعامل مع المنتكس 290
من المخاطب بموضوعي هذا هو:.....291
اتبع الخطوات التالية عند دعوة المنتكس ومناصحته وذلك عبر ما يلي: 292
أولاً: التثبت والتبيُّن: 292
والخلاصـــــة:.....294
ثانيًا: أن لا يكون هدفك تتبع عورته: 295
ثالثاً: عدم الشماته به: 301
رابعاً: المبادرة بالعلاج: 302
خامسًا: الدعاء له بظهر الغيب وألا يكون عونًا للشيطان عليه: 303
سادساً: استقصاء أسباب انتكاسه: 304
سابعاً: عدم الوقوع في عرضه:.....304
ثامناً: اختيار وسيلة الاتصال بالمنتكس لدعوته: 305
تاسعاً: تخيل الموقف والاستعداد له قبل مواجهته: 306
عاشرًا: التهيؤ لمقابلته: 306
الحادي عشر: إشعاره بأنك محب له وحريص على هدايته: 307
الثاني عشر: لا تتوقع أن يستجيب لك فورًا: 308
الثالث عشر: عدم التشديد عليه.....308
الرابع عشر: استمرار التواصل:.....309
والخلاصـــة: 310
السادس عشر: تصحيح بعض المفاهيم عنده: 311
السابع عشر: إخباره بأن الجميع معرّض للوقوع في الذنب: 311
الثامن عشر: فتح باب التوبة له: 312

التاسع عشر: بذل الجهد لرفع إيمانه: 314
العشرون: تذكيره بمحاسن الدين والاستقامة: 314
الحادي والعشرون: تذكيره بالأيام السعيدة السابقة مع الصحبة الطيبة: 315
الثاني والعشرون: فتح آفاق جديدة له: 315
الثالث والعشرون: عدم المواجهة المباشرة مع شيخه فى أول الأمر: 316
الرابع والعشرون: عليك عندما تتعامل مع منتكس، أن تنظر في أحواله من خلال معرفة بيئته وعمره.....إلخ..... 316
ب- مراعاة البيئة: 317
الخامس والعشرون: استقباله عند العوده: 318
الخاتمـــة 321
أهـــم المراجـــــع..... 322
فهرس الموضوعات 329